عباس الثانى خديو مصر الأخير

١٨٩٢ - ١٩٤٤

صفحات من تاريخ مصر المعاصر

د. عبد المنعم إبراهيم الجميعى

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مقدمـــة

تتناول هذه الدراسة فترة هامة من تاريخ الحركة الوطنية المصرية، تبـدأ بتولية عباس الثانى أريكة الخديوية فى عام ١٨٩٢ وتنتهى بعزلـه فـى عـام ١٩١٤م ثم محاولاته المتعددة للعودة إلى عرشه، وفشله فى ذلك وتنازلـه فـى نهاية الأمر للملك فؤاد.

وتبرز أهمية هذه الفترة فى انتقال الأمة المصرية مـن مرحلـة اليـأس والقنوط والأذعان للحكم الأجنبى – بعد انتكاس أعلام الثورة العرابية فـى التـل الكبير – إلى مرحلة اليقظة الوطنية والدعوة إلى الجلاء والمناداة برحيل قـوات الاحتلال عن أرض الوطن، وتتميز هذه الفترة بعدة سمات بارزة هى:

١- وقوف خديو مصر لأول مرة بجانب الحركة الوطنية ومـسايرتها لفتـرة من الزمن مما شد من أزرهـا أمـام الاحـتلال، فاضـطرت الـسلطات البريطانية فى مصر إلى مواجهة جبهتين فى وقت واحد همـا الحركـة الوطنية والقصر.

٢- ظهور رجال أفذاذ قاموا بمحاولة إعادة الثقة إلى نفوس مواطنيهم وقادوا حركة التنوير، وكانوا مثالا للبذل والتضحية والفـداء، وحـسبهم أنهـم كرسوا حياتهم لخدمة أمتهم وإعلاء شأنها، ومن هؤلاء الرجال مصطفى كامل ومحمد فريد.

٣- ظهور الأحزاب لأول مرة فى مـصر عـام ١٩٠٧ بتأسـيس الأحـزاب المصرية الثلاثة (حزب الأمة – وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية – والحزب الوطنى).

٤- إنتهاء نظام الخديوية فى مصر بعزل الخـديو عبـاس الثـانى وإعـلان الحماية البريطانية علـى مـصر فـى ١٨ ديـسمبر ١٩١٤ وموقـف المصريين من ذلك ودعوتهم لعودة الخديو إلى عرشه.

٥- محاولات الخديو المستميته للعودة إلى العرش وسنوات الصراع العنيـف بينه وبين الملك فؤاد وموقف الانجليز من ذلك.

٦- تصفية أملاك الخديو المعزول فى مصر ومنعه من دخول البلاد ومصادرة أمواله وأملاكه.

٧- استسلام الخديو واعترافه بالملك فؤاد ملكا شرعيا والمفاوضة على ذلك وتوقيع شروط التنازل.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى أحد عشر فصلا اعتمدت على مجموعة مـن المصادر الأصلية والوثائق كما هو مبين فى قائمة المصادر.

والله ولى التوفيق ،،

الفصل الاول

الخديو عباس الثانى بين السلطان والقنصل البريطانى

---

١ ــ ظروف تولية عباس الثانى أريكة الخديوية ٠

٢ ــ علاقة عباس الثانى بالسلطان (ازمة الفرمان) ٠

٣ ــ علاقة عباس بالانجليز فى العام الأول من حكمه ٠

٤ ــ الأزمة الوزارية ١٨٩٣ ٠

٥ ــ وزارة رياض وحادث الحدود ٠

٦ ــ وزارتى نوبار ومصطفى فهمى ٠

١ ــ ظروف تولية عباس الثانى أريكة الخديوية :

بعد ضرب الثورة العرابية صفيت الحركة الوطنية وركنت الأمة الى الاستكانة والخضوع ، وتضاءلت الروح الوطنية فى النفوس ، وأصبحت الحيـــاة السياسية فى مصر تدور حول الخـــديوية من ناحية وسلطات الاحتلال من ناحية أخرى وظل هـــذا الموقف سائدا فى السنوات الأولى للاحتلال ، وقـــد سارت انجلترا بخطوات واسعة فى تحقيق أغراضها الاستعمارية وبسط حمايتها المقنعة على مصر والتدخل فى شئونها .

وفى ٧ يناير ١٨٩٢ اشتد المرض بالخـــديو توفيق حتى بلغ مرحلة الخطر [١] فى وقت كان فيه الموقف فى مصر دقيقا ، فسلطة الخـــديو كانت ضائعة ومسلوبة لقضاء الانجليز عليها خلال السنوات العشر الأولى لاحتلالهم البـــلاد ، والحكومة الموجودة على رأسها صنيعة الاحتلال مصطفى فهمى الذى يشارك الانجليز عواطفهم دون تحفظ [٢] والذى كان ممقوتا من الشـــعب مكروها من الصـــحافة [٣] وقد كان الانجليز يتصرفون فى شئون البلاد كما يشاءون .

ولخشية الانجليز من تدخل السلطان العثمانى فى أمر مصر بعـــد وفاة الخـــديو توفيق اجتمع السير ايفلين بارنج [٤] مع مصطفى فهمى رئيس النظار وتجران باشا ناظر الخارجية والسير ألوين بالمر المستشار

---

(1) Cromer. Abbas II P. 2 - 3.

(2) Milner. A. England in Egypt P. 132.

(٣) د. محمد نجيب أبو الليل : الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية ص ١٠٧ .

(٤) منح السير ايفلين بارنج لقب Pair فى ٢٤ مايو ١٨٩٢ ، وهذا اللقب يخول لصاحبه لقب لورد فسمى لورد كرومر من هذا التاريخ .

المـالى وتباحثوا فى الأمر [٥] واتفقوا على استدعاء نجله عباس من فينا حيث كان يتلقى العلم فى كلية الترزيانوم وذلك لأنه أكبر أنجـال الخـديو توفيق •

وفى ٧ يناير ١٨٩٢ توفى الخديو فى الساعة السابعة وسبعة عشرة دقيقة مساء بسراى حلوان [٦] على أثر اصابته بحمى شديدة [٧] •

ولما كان البرنس عباس نجل الخديو الراحل لا يزال فى فينـا فقد أخطر تلغرافيا بالخبر كما أخطر الباب العالى [٨] وتقرر أن يدير مجلس النظار تحت رئاسة مصطفى باشا فهمى أعمـال الحكومة حتى يصل الخديو الجديد [٩] •

وفى ٨ يناير أرسل البرنس عباس من أوربا تلغرافا الى مصطفى فهمى رئيس النظار أوضح فيه أنه سيصل على الوابور الذى سيصير

---

(٥) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، من ١٨٩٢ — ١٩٠٢ ص ١ .

(٦) الوقائع المصرية : عدد ٨ يناير ١٨٩٢ .

ويوضح اللورد كرومر اثر وفاة الخديو توفيق على الاحتلال بأن وفاته قوضت نظاما كان يتوقف وجوده الى درجة كبيرة على اطالة اجله .

Cromer : Op. Cit., P. 7.

(٧) محمود فهمى المهندس : البحر الزاخر فى تاريخ العالم واخبـار الأوائل والأواخر ، القاهرة — المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٢ هـ ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

(٨) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . القسم الأول من ١٨٩١ — ١٨٩٧ تحت عنوان سنة ١٨٩٢ اول جمادى الثانية ١٣٠٩ .

(٩) الوقائع المصرية : السنة الحادية والستون رقم ٤ فى ٨ ينـاير سنة ١٨٩٢ .

تحضيره في تريستة بلا تأخير وأنه على يقين من أن الأعمال فى الحكومة ستسير بكل همة ونشاط حتى يتم وصوله الى مصر (١٠) .

كما أرسل الصدر الأعظم العثمانى تلغرافا الى رئيس مجلس النظار بتاريخ ٨ يناير ١٨٩٢ أوضح فيه أنه بعد عرض أمر وفاة الخديو على السلطان وافق على أن يؤول منصب الخديوية الى البرنس عباس حلمى أكبر أولاد المرحوم محمد توفيق باشا ، حسب فرمان وراثة الخديوية المصرية ، وحتى يصل الخديو الجديد من أوربا ليتسلم مهامه فى مصر تكون ادارة الحكومة بواسطة رئيس مجلس النظار بالاشتراك مع الوزراء (١١) .

وعندما اتخذت المراسيم الرسمية لتولية الخديو الجديد ظهرت مشكلة شائكة وهى أن عباس الثانى لم يكن قد بلغ سن الرشد حين وفاة والده الخديو توفيق فالأمر يقتضى أن لا يكون سن الأمير أقل من ثمانية عشر عاما ، وبما أن عباس ولد فى ١٤ يوليه ١٨٧٤ فانه لم يبلغ سن الرشد الا فى ١٤ يوليه ١٨٩٢ بينما كانت وفاة والده المفاجئة فى ٧ يناير ١٨٩٢ مما أظهر شبح تكوين مجلس وصاية ما دام الأمير لم يبلغ سن الرشد (١٢) .

---

(١٠) مذكرات محمد فريد : القسم الأول ١٨٩١ — ١٨٩٧ تحت عنوان سنة ١٨٩٢ .

(١١) الوقائع المصرية : السنه الحادية والستون رقم ٥ فى ٩ ينساير سنة ١٨٩٢ تحت عنوان « القسم الرسمى » .

(١٢) ورد فى صورة الخط الهمايونى الذى صدر بخصوص توارث الحكومة الخديوية أنه اذا لم يبلغ اكبر أبناء الوالى الذكور سن الثمانيــة عشر سنة عند وفاة والده يشكل مجلس وصاية من الذوات الموجودين فى الداخلية والجهادية والمــالية والخارجية ومجلس الأحكام المصرية وسردارية العساكر المصرية وتفتيش الأقاليم وينتخبون منهم وصيا .

أنظر : كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب — الجزء الخامس .
الآستانة : الطبعة الأولى — مطبعة الجوائب ١٢٩٤ هـ ، ص ٩٣ .

ولكن أحد العلماء اقترح أن يحسب سن الأمير المسلم حسب السنين الهجرية التى تبلغ أيامها ٣٥٤ يوما وبما أن السنة الهجرية تقل عن السنة الميلادية فى عدد الأيام اتضح أن سن البرنس عباس بالتاريخ الهجرى يصل الى ثمانية عشر عاما فى يوم ٢٤ ديسمبر ١٨٩١ أى قبيل وفاة والده بأربعة عشر يوما فتمسك كرومر بذلك رغبة منه فى ابعاد تشكيل مجلس للوصاية خشية تدخل السلطان ، وبذلك حسمت المشكلة [١٣] .

استدعى عباس من فينا ، كما أبلغ السلطان بما تم التوصل اليه فوافق وأصدر منشورا عاما باستمرار النظار فى أعمالهم لحين وصول الخديو الجديد واستلامه زمام أمور البلاد .

يتخذ البعض من موقف كرومر بجانب حساب سن الخديو عباس هجريا بأن عباس يدين بالفضل فى تعيينه فى مسند الخديوية الى الانجليز [١٤] ومع أننا نتفق مع هذا القول من ناحية تمسك كرومر بأن يحسب سن الأمير حسب السنين الهجرية فى البلاد الاسلامية ، واسراعه فى استدعاء عباس من فينا فاننا نرى أيضا أن عباس يعتبر ولى العهد الشرعى ومن حقه تولى الخديوية حسب الفرمانات السلطانية وان المسألة كانت مسألة وقت لا يزيد عن أربعة عشر يوما وأن كرومر قد فضل تولية الخديو الجديد عن قيام مجلس للوصاية خشية تدخل السلطان العثمانى فى الأمر .

وصل عباس الى الاسكندرية فى الساعة الواحدة من صباح السبت ١٦ يناير ١٨٩٢ ونزل بقصر رأس التين حيث أجريت له التشريفات ثم أخذ يضطلع بمهام الأريكة الخديوية وتذكر « جوليت آدم » أن أول

---

(13) Cromer : Op. Cit., P. 2 - 3.

(١٤) يوسف خليل جاد الله : تطور الحركة القومية فى مصر ١٨٨٢ — ١٩١٩ (رسالة دكتوراه غير منشورة) ص ٢١١ .

كلمة لفظها الخديو عند وصوله الى مصر كانت « انى أفضل الموت عن النزول عن أصغر حق من حقوقى »[١٥] ، كما انتقد سياسة والده فى الاستكانة لأغراض الاحتلال آسفا كل الأسف لتعاون الوزارات مع رجال الاحتلال فى السيطرة على البلاد واستنزاف مواردها [١٦] وقد أدى ذلك الى احساس اللورد كرومر بأن الخديو الجديد يختلف عن والده فقال فى رسالة له الى اللورد سالسبورى « انى أرى أن الخديو الشاب سيكون مصريا بحتا » [١٧] .

ويذكر أحمد شفيق أن عباس لم يكن مستريحا لسياسة والده مع المحتلين فعندما حضر الى مصر فى الأجازة الدراسية التى سبقت توليته سأل بعض رجال الحاشية عن سير الأمور العامة فعلم منهم أن الأمور تجرى وفق سياسة المعتمد البريطانى التى ينفذها مصطفى فهمى رئيس النظار بكل دقة فاجتمع بوالده وأبدى ملاحظاته على هذه السياسة فأجابه والده « يا ابنى أنت لا تزال صغيرا ولا تدرك مثل هذه الأمور » [١٨] .

ولقد جعلت هذه الرواية البعض ينتظرون خيرا من الخديو الجديد كما قابلت البلاد الأمير الشاب بالترحاب مما جعله وهو فى فتوة الشباب ومتعلم فى بلاد حرة مثل النمسا يصور سياسته على أساس التمسك بما له وما لمصر من حقوق .

وعندما توجه الخديو الى الصلاة فى المسجد الحسينى يوم الجمعة ٢٢ يناير تزاحم الناس فى الطرقات المؤدية الى المسجد ، وتهافتوا عليه

---

(١٥) جوليت آدم : انجلترا فى مصر — ترجمة على فهمى كامل . ص ١٤١ .

(١٦) المصرى : فى مايو ١٩٥١ ، مذكرات الخديو عباس الثانى .

(17) Cromer : Op. Cit., P. 4.

(١٨) احمد شفيق : اعمالى بعد مذكراتى ، ص ٣٢٧ .

مصفقين وفكوا الخيول من العربة وجروها بأنفسهم الى المسجد [١٩].

وطبقا لمنهج البحث العلمى فاننا لا نقيس أعمال الخديو عباس الثانى بعام أو عامين من حكمه بل القياس سيكون على الفترة التى قضاها فى حكم مصر ، والمواقف التى وضعته تحت الاختبار وأظهرت موقفه تجاه الحركة الوطنية وتجاه المحتلين أيضا .

وقد ساعد عباس على مناوأة الانجليز الموقف الدولى العام فتركيا كانت قلقة من تواجد الانجليز على ضفاف النيل ، وفرنسا التى خسرت نفوذها المتفوق فى مصر حاولت أن تسترد هذا النفوذ بمعاونة الخديو الجديد ، وهناك الدول صاحبة الامتيازات ثم كانت هناك الوزارة المصرية المتعاونة مع الاحتلال ، والى جانب هؤلاء كان شعب مصر يرزح تحت ضربة الهزيمة والذى رأى فى الأمير الجديد متنفسا لآماله ومخلصا له من الاحتلال [٢٠] .

وكانت الحكومة الانجليزية تود أن يقتفى الخديو عباس أثر سياسة أبيه فأشارت عليه من طرف خفى بضرورة اتباع خطة والده مع الانجليز فذكرت أن انجلترا فقدت بوفاة المغفور له توفيق حليفا أمينا تمكن بحسن سياسته من اعادة السلم والنظام والرفاهية للبلاد المصرية ثم أعربت ملكة بريطانيا عن تمام ثقتها فى أن الخديو الحالى سيقتفى أثر هذه السياسة [٢١] .

لقد تملك عباس فى الفترة الأولى من حكمه شعور حماسى واستقلال

---

(١٩) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن حـ ٢ ، من ١٨٩٢ -- ١٩٠٢ ، ص ١٧ .
(٢٠) محمد على علوبة : ذكريات اجتماعية وسياسية ، مخطوط بدار الوثائق ..
(٢١) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ ، ص ١٦ .

فى الرأى يؤهلانه لأن يكون قائدا وطنيـا فأحس أن له ولمصر حقوقا يجب أن تصان [٢٢] ، ولولا الصعاب التى اعترضته والاحتلال الذى قلم أظـافره ورده الى شيء من الخوف لسار على هـذه السياسة أمـدا أطـول .

قام الخديو عباس الثانى باجراء بعض تنقلات وتغييرات فى المعية التى كانت على أيام والده الى أفراد آخرين فأبعد من كانت سيرته غير حميدة مما أدى الى ارتياح الرأى العام [٢٣] كما عين بعض من يثق فيهم مثل أستاذه النمساوى Louis Rouiller أستاذ الاقتصاد السياسى بمدرسة العلوم الشرقية بجامعـة فينا والذى كان مدرسـا خصوصيا له أيام أن كان طالبا بكلية الترزيانوم فعينـه فى ١٤ أبريل سنة ١٨٩٢ سكرتيرا عاما لديوانه عقب تنظيم المعية [٢٤] كما نقل أحمد شفيق من نظارة الخارجية الى المعية السنية [٢٥] .

ومع أن علاقة الخديو مع السلطان والانجليز فى أول الأمر كانت مبهمة وغير منظمة فقد أثار فى أول الأمر حملة شديدة ضد تركيا ثم واجه الانجليز وبدأ فى ممارسة مهامه فأبدى ملاحظاته على الضباط الانجليز الذين لا يقومون بأداء التنظيمات العسكرية اللازمة له أثناء مروره من

---

(٢٢) مذكرات قلينى فهمى جـ ١ ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(٢٣) دار الوثائق القومية : مذكرات محمد فريد ، القسم الأول الفترة من ١٨٩١ — ١٨٩٧ تحت عنوان سنة ١٨٩٢ .

(٢٤) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٢٥) دار الوثائق : ديوان خديو رقم ١٦ ملف نظارة الخارجية رقم (١) عام ١٨٩٢ مذكرة بتوقيع ناظر الخارجية بتاريخ ١٥ فبراير ١٨٩٢ .

أمامهم [٢٦] . كما أخذ يتدخل فى شئون الادارة ويصدر أوامره مباشرة من السراى الى المديريات بخصوص الفيضانات أو المنازعات التى تنشب بين الموظفين الانجليز وبين المصريين فان ذلك يرجع الى خبرته القليلة عن حقيقة الموقف فى مصر وحقيقة وضعه هو أيضا والى الحماس الذى يمكن أن ينتاب الشبان فى مثل سنه .

اتجه الخديو عباس الى الأمة فأصدر أوامره فى ٦ نوفمبر ١٨٩٢ بالعفو عن عدد كبير ممن اشتركوا فى أحداث الثورة العرابية ومنحهم حق التمتع بجميع الحقوق المدنية ورد اليهم ما كانوا قد جردوا منه من العناوين وعلامات الشرف [٢٧] ثم صار يستقبل الطوائف مرتين كل شهر ليوطد علاقته بالناس ويجمعهم حوله [٢٨] .

٢ ــ علاقة الخديو عباس الثانى بالسلطان (أزمة الفرمان) :

حاولت القوى المؤثرة على الوضع السياسى فى مصر الضغط على الخديو لكى تضمه الى صفها مستغلة فى ذلك صغر سنه ثم قلة خبرته بأحوال البلاد فدخل السلطان العثمانى صاحب السيادة الشرعية على مصر تسانده كل من فرنسا والروسيا فى سباق مع انجلترا المؤيدة بدول

---

(٢٦) لقد كان الأستاذ روليه من اشد رجال الحاشية دفعا للخديو للمطالبة بحقوقه الشرعية فقد زين له فكرة اخراج العساكر الانجليز من القلعة بحجة وجود جامع محمد على وديوانه الاثرى فى هذه المنطقة كما أيده فى ملاحظته على الضباط الانجليز من عدم قيامهم بأداء التعظيمات له اثناء مروره بموكبه .

احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ القسم الأول ، ص ٣٨ ، ص ٥٢ .

(٢٧) الأستاذ : العدد ١٢ فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٨٨ تحت عنوان « ثناء وتهنئة » .

(٢٨) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦ ــ ٣٧ .

التحالف الثلاثى للسيطرة على الخديو ، وقد بدأ السلطان ذلك حين طلب من عباس زيارته وهو ما يزال فى أوربا قبل أن يصل الى مصر ، ولكن عباس تجنبا للضغط من السلطان عليه سافر الى مصر مباشرة مما أغضب السلطان الذى لجأ الى تأخير فرمان ولايته ، كما حاول اقتطاع شبه جزيرة سيناء من مصر على زعم أنها تتبع ولاية الحجاز ، ودارت المفاوضات فى هذا الصدد قبل تحرير الفرمان على أساس أن تتخلى مصر عن العقبة ومنعا لتوتر العلاقات بين مصر والدولة العثمانية قبل الخديو ذلك .

ولما جاء المشير أحمد أيوب المندوب العثمانى الى مصر فى ٤ أبريل ١٨٩٢ ــ أى بعد تولية الخديو بأكثر من شهرين ــ حاملا فرمان تولية عباس الثانى الصادر فى ٢٦ مارس ١٨٩٢ كان الفرمان الذى يحمله مطابقا لفرمان ٧ أغسطس ١٨٧٩ الصادر لوالده الخديو توفيق فيما عدا نقطة واحدة وهى أنه عين أملاك مصر وفقا للفرمان الصادر الى محمد على فى يونيه ١٨٤١ منتزعا منها شبه جزيرة سيناء بما فى ذلك العقبة والطور التى كانت قد ضمت الى الادارة المصرية فى عهد الخديو اسماعيل وبهذا تصبح حدود مصر ممتدة من العريش الى السويس[٢٩] وقد زاد من تدهور الموقف أن سفير انجلترا فى الآستانة لم يطلع على هذا الفرمان [٣٠] مما جعل الحكومة الانجليزية تشك فى الأمر فأرسل اللورد سالسبورى رئيس الوزراء الانجليزى الى المعتمد البريطانى فى مصر اللورد كرومر بالمعارضة فى تلاوة الفرمان قبل الاطلاع عليه وكان هدف انجلترا من ذلك هو رفضها أن يكون لتركيا قوات مطلة على قناة السويس [٣١] رغبة فى تأمين مصالحها التى تقتضى بحماية الطريق الى

---

(٢٩) يوسف خليل : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٣٠) أحمد شفيق : منكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، ص ١٠ وما بعدها .

(٣١) د. عباس مصطفى عمار : المدخل الشرقى لمصر ــ شبه جزيرة سيناء ، ص ٧ .

الهنـــد ، ولمـــا كان فرمان تولية عباس الثانى يقتطع شبه جزيرة سيناء كلها من مصر فقد منعت انجلترا نشر الفرمان حتى تصدر أوامر سلطانية بترك شبه جزيرة سيناء الى مصر ، ونتيجة لذلك حدثت أزمة بين انجلترا والدولة العثمانية اضطر السلطان خلالها أن يصدر ارادة سلطانية باسناد ادارة شبه جزيرة سيناء الى مصر (٣٢) وبناء على ذلك أصبحت شـــبه جزيرة سيناء كما يحدها الخط الممتد من شرقى العريش الى رأس خليج العقبة تحت ادارة مصر (٣٣) فانفرجت الأزمة وتلى الفرمان مع الارادة السلطانية المكملة له فى ١٤ أبريل ١٨٩٢ بسراى عابدين .

والواضح أن علاقة الخديو بالسلطان العثمانى كانت علاقة معقدة ذات شقين فالخـــديو يخشى الســـيطرة العثمانية على مصر وفى نفس الوقت يتخذها أداة للتخفيف من السيطرة الانجليزية استنادا الى تبعية مصر للدولة العثمانية وتوضيحا لذلك نقـــول أن الخـــديو كان يخشى السلطان عندما تؤول له أمور مصر وخصوصا وأن له قوة روحية يعتد بها فمع أن المصريين كانوا حريصين على ما نالوا من استقلال محدود ، وضد أى عودة الى الحكم التركى المبـــاشر فقـــد كانت عواطفهم مع السلطان باعتباره خليفة للمسلمين ورئيس لأكبر دولة اسلامية يتجهون اليها طلبا للعون ضـــد الاحتلال كما كان أحمد مختار باشا المنـــدوب العثمانى فى مصر والجرائد الموالية للســـلطان تعمل على تقـــوية ذلك الشعور لذلك كان الخـــديو يخشى السلطان ويجعل تعاونه معه مشوبا بالحذر والشك وفى نفس الوقت كان يحـــاول التخلص من الســـيطرة الانجليزية بالاســـتناد الى تبعية مصر للدولة العثمانيـــة ومســـاعدة السلطان له .

وبالنسبة للسلطان فان الانجليز لم يقتطعوا عليه حقا كان ينعم به

---

(32) Cromer : Modern Egypt. Vol 2 P 268 - 269.

(٣٣) الرافعى : مصطفى كامل ؛ ص ٣٠٦ .

فهم معترفون بسيادته مؤدون لخزينته الأموال ، كما ظل قاضى مصر عثمانى مقلدا من قبل السلطان ، فالانجليز لم يقطعوا ما بين مصر وتركيا لذلك رأى السلطان أن الاحتلال شر بلا شك ولكن اذا ما زال هـذا الشر فكيف يضمن السلطان ألا يفقد ما سمح له به الاحتلال ؟ فقد ينقل كله الى المصريين ، وقـد ينقل كل شىء الى دولة أخرى أوربية ، فماذا يدعو تركيا للعمل على تغيير الحالة والانجليز أنفسهم لا يبـدو منهم أنهم يعتزمون اجراء أى تغيير (٣٤) .

وكان كرومر دائما ما يهدد الخديو بامكان عقد اتفاق مع السلطان على أساس احتلال انجليزى لمصر وسيطرة تركية اذ لم يكف الخـديو عن مقاومة الاحتلال وظلت الشكوك تساور العـلاقات بين الخـديو والسلطان مما أدى الى عدم قيـام تعـاون مثمر بينهما فى مقـاومة الاحتلال ، وساعد على ذلك موضوع جزيرة طاشوز Thasos ومع أن عباس كان يكره السيطرة التركية فانه كان يعارض قطع علاقته بالسلطان نهائيا بل كان يريد أن يستبقى من مظاهر السيادة التركية الحد الأدنى الذى يحول دون أن تعلن بريطانيا حمايتها على مصر .

٣ ــ علاقة الخديو عباس الثانى بالانجليز فى العام الأول من حكمه :

لم يظهر فى بداية حكم الخديو عباس ما يدل على عدائه للانجليز كما يذكر البعض (٣٥) بل كان عداؤه للأتراك واضـحا ، وعلى تفاهم ودى مع الانجليز فى العام الأول من حكمه ، وذلك لأنه كان فى حاجـة ماسة الى تأييدهم فى مسألة تعديل الحدود فأرضاه بارنج بعدم تعيين مجلس وصاية له (٣٦) حتى بلوغه سن الرشد بالسنين الأفرنجية فكان

---

(٣٤) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية جـ ١ ص ٢٠ .

(٣٥) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣٢١ .

(36) Comanos Pacha : Mémoires, 1920, P. 36.

لذلك وقع حسن فى نفس الخديو الشاب كما وقف المعتمد البريطانى الى جانب الخديو حين علم بمحاولة السلطان انتزاع جزء من الأراضى المصرية وذلك لأن شبه جزيرة سيناء بما فى ذلك العقبة كانت قد ضمت لمصر فى عهد اسماعيل باشا فأرادت تركيا سلخها ، وجعل حدود مصر من العريش الى السويس ، فطلب كرومر من الحكومة المصرية الاطلاع على الفرمان قبل قراءته ، كما أبلغ حكومته بالأمر وتمت الاتصالات بين مصر والدولة العلية كما كتب قناصل فرنسا وروسيا الى سفرائهم بالآستانة للسعى لدى السلطان بابقاء شبه جزيرة سيناء تحت حكم مصر [٣٧] وازاء اصرار انجلترا تراجع السلطان وأعاد الحدود الى ما كانت عليه فى عهد الخديوية السابقة [٣٨] ومما يدل على رضاء الخديو على الانجليز فى تلك الفترة أنه أراد فى أوائل مارس ١٨٩٢ أن يمنح ضباط البحرية الانجليز المكلفين بحراسته والذين استقبلوه بالاسكندرية عند عودته من النمسا أوسمة ولكن وزير الخارجية البريطانية اعتذر عن قبول هذه الأوسمة لأن قوانين المملكة لا تسمح بقبول الأوسمة الا فى حالات خاصة لا تنطبق على هذه الحالة [٣٩] .

وقد وضح اللورد كرومر فى خطاب له الى اللورد سالسبورى بتاريخ ١٥ أبريل ١٨٩٢ علاقة الخديو عباس بالانجليز فى العام الأول من حكمه فأوضح أنه بالرغم من أن الخديو الصغير تتضاربه مصالح مختلفة تجعله كالألعوبة الا أنه تصرف تصرفا طيبا تجاه بريطانيا كما أنه يتعلق به أكثر مما يجب [٤٠] .

---

(٣٧) مذكرات محمد فريد : القسم الأول تحت عنوان سنة ١٨٩٢ .

(٣٨) « وردت الأخبار الرسمية من الصدر الأعظم الى الخديو والمندوبين العثمانيين بتلبية الباب العالى لمطالب مصر ، وبذلك انتهت كافة العقبات الحائلة ضد تلاوة الفرمان » .

مذكرات محمد فريد : القسم الأول .

(٣٩) يوسف خليل جاد الله : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(40) Zetland, M. The life of Lord Cromer P. 19.

ويبدو أن أسباب تعلق الخديو بكرومر فى أول الأمر أنه لم يكن مرتاحا الى وجود الغازى مختار باشا مندوب السلطان فى مصر وقد ظهرت بوادر الاحتكاك بينهما منذ البداية خاصة بعد طلب المندوب العثمانى من الخديو تغيير الوزارة مما ضايق الخديو ، وعد ذلك تدخلا فى شئون بلاده الداخلية فأبرق الى السلطان يشكوه ويسأل عمن يكون ممثلا للسلطان فى مصر الخديو أم مختار باشا ؟ كما قام بدعوة النظار وأبدى لهم فى حضور مختار باشا ثقته التامة بهم ورضاءه عنهم [٤١] .

وهكذا سارت العلاقات بين الخديو والانجليز فى السنة الأولى من حكمه فى صالح الاحتلال مما دفع جريدة التايمز الى القول « ان وجود الانجليز أصبح ضروريا لتثبيت مركز الخديو الحالى ، وأن السير بارنج يجب أن يبقى فى مصر لخبرته بشئونها ، وأن على الخديو الجديد أن يستمع الى نصائح المستشارين الانجليز » . ثم لمحت الجريدة الى أهمية تعيين مستشار انجليزى للقصر ليسترشد الخديو بآرائه نظرا لصغر سنه [٤٢] .

وعلى كل حال فان علاقة الخديو الحسنه بالانجليز لم تدم طويلا فالخديو الشاب رأى أنه ليس له من الأمر الا اللقب ، وأن اللورد كرومر كان يعتبر نفسه الحاكم الحقيقى ، فحاول أن تكون مسئوليه الحكم والسلطة فى يده لا أن يكون دمية فى يد الانجليز ومن هنا بدأت أزماته مع الاحتلال .

لقد تمسك الخديو بأن يكون حكم مصر وفقا للفرمانات السلطانية التى تحددها تسوية ١٨٤٠ بحيث يكون الوضع القانونى والدولى للبلاد سندا له يمنع انجلترا من انتحال أى حقوق تمكنها من دوام تدخلها

---

(41) Cromer : Abbas II, P. 5.

(٤٢) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ ، القسم الأول ، ص ١٥ .

فى شئون مصر ، وقد زاد من سخط الخديو على الوضع فى مصر أن رئيس النظار مصطفى فهمى كان شديد الاهتمام بمطالب كرومر بينما كان يهمل مطالبه ويمده بمعلومات غير صحيحة [٤٣] ، كما أنه أبعده عن الشئون العامة ووقف مع الانجليز فى مسألة منشور البوليس ضد رغبة الخديو حيث وافق على اصدار منشور يأمر فيه المديرين بأن تكون جميع المكاتبات الخاصة بالضبط ، وتعيين العمد والمشايخ والخفراء باسم مفتش عموم البوليس الانجليزى لا باسم ناظر الداخلية مما أغضب الخديو وزاد من الاستياء العام لأن ذلك معناه تحويل أعمال ناظر الداخلية الى مفتش البوليس وهو انجليزى [٤٤] .

ولما أحس كرومر بما يدور فى خلد الخديو أخذ يذكره بأن للانجليز الفضل فى وجوده على العرش ، وأن الشعب المصرى يريد الثورة على الأسرة المالكة .

وفى أثناء غياب كرومر فى لندن فى صيف ١٨٩٢ شكا الخديو للمستر آرثر هاردنج الذى كان ينوب عن كرومر أثناء غيابه عن مصر من أن المصريين يعتبرون مصطفى فهمى انجليزيا أكثر من اللازم وليس مصريا الى الدرجة الكافية [٤٥] .

وبعد عودة كرومر من انجلترا وجد أن الأمور أصبحت تنذر بأشياء جديدة فالخديو الذى كان صديقا له ومتوددا للانجليز قد أصبح مناوئا لهم ينظر الى كل موظف انجليزى فى الحكومة المصرية بعين الكراهية كما وجد كرومر نفسه فى مقدمة المكروهين [٤٦] .

---

(43) Cocheris, J. Situation internationale de L'Egypt et du Sudan, Paris 1903 P. 248.

(٤٤) مذكرات محمد فريد : القسم الأول من ١٨٩١ — ١٨٩٧ — يناير ١٨٩٣ .

(45) Cromer : Abbas II, P. 10.

(46) Ibid P. 31.

الأزمة الوزارية ١٨٩٣ :

أخذ الخـــديو عباس الثانى يرسم سياسته على مقاومة التدخـــل الانجليزى والتمسك بحقوق مصر وعدم التنازل عن حقوقه (٤٧) ولما وجد فى رئيس نظاره مصطفى فهمى خضوعا كاملا للانجلير حيث كان ينفـــذ أوامر معتمدهم ولا يتصرف فى أى شأن من شئون الحكومة الا بعد أخذ استشارته كما أراد أن يوضح للخديو ضرورة خضوعه لسلطة كرومر (٤٨) فى محاولة لاقصائه عن كل سلطة (٤٩) ، مما أدى الى استياء الخـــديو الذى رأى أن خضوع مصطفى فهمى للانجليز يتسم بضعف الوطنية لديه حيث أنه لم يكن من أصل مصرى بل جاء أسلافه من كريت الى مصر (٥٠) كما أنه ضعيف التعلق بالمبادىء الاسلامية ، ومعاديا لتركيـــا وسياسة التعاون معها (٥١) .

ولمـــا رأى الخديو أن التعاون مع مصطفى فهمى مستحيلا استقر رأيه على تغير النظارة الفهمية وترشيح تيجران باشا رئيسا للنظـــارة الجديدة وأبلغ اللورد كرومر بهذا الترشيح ، ولمـــا كان كرومر يعلم أن تيجران باشا يكره السيطرة البريطانية على مصر ، ويميل الى الفرنسيين وأن الخديو يريد أن يوليه منصب رئاسة النظار لذلك لم يقر كرومر هذا التدبير بأسلوب ينم عن مهارة سياسية فذكر أن عدم رغبته فى اســـناد هـــذا المنصب الى تيجران يرجع لسببين وهما :

١ — أنه يعتقد أن تيجران يتبع سياسة العداء للانجليز .

---

(٤٧) جوليت آدم : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(48) Cocheris, J. Op. Cit., P. 248.

(٤٩) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

(٥٠) المصرى : فى ٩ ابريل ١٩٥١ — مذكرات عباس حلمى الثانى .

(51) Cromer : Op. Cit., P. 19.

٢ ـ أن تيجران أرمنى مسيحى ، ولا يستطيع قيادة الرأى العام الاسلامى ورغم أن كرومر كان يريد التخلص من تيجران خشية اتباعه سياسة العداء للانجليز فقد ركز على السبب الثانى لأنه يعلم أن العاطفة الدينية عند الشرقيين قوية والذى يريد أن يقنعهم يأتيهم من هذا الباب ومع ذلك فقد تولى نوبار باشا وهو أرمنى مسيحى رئاسة الوزارة من قبل ولم يعترض أحد بل أن كرومر نفسه أشار بتعيين نوبار باشا بعد ذلك (٥٢) .

استخلص الخديو من أسباب رفض كرومر تعيين تيجران أنه يستطيع أن يعين رئيس نظاره من المسلمين دون استشارة كرومر فانتهز فرصة مرض مصطفى فهمى باحتقان فى الرئتين فأراد التخلص منه (٥٣)، وكان الرسول الذى يتعقب حالته الصحية هو محمود باشا شكرى رئيس الديوان التركى بالسراى ، فكان يكرر الزيارات يوميا لمصطفى فهمى متظاهرا بالمحبة والاخلاص مع أنه كان يود أن يكون المبشر الأول للخديو بوفاته ؛ ولما صعب ذلك وتحسنت صحة مصطفى فهمى أرسل الخديو اليه محمود شكرى ليخبره بأن صحته تستلزم الراحة ويشير عليه أن يقدم استقالته فكان جواب مصطفى فهمى بأنه سيفكر فى الأمر، وأنه سيعطى جوابه فى صباح اليوم التالى (١٥ يناير ١٨٩٣) وفى الحال أرسل مصطفى فهمى الى مستشار المالية الانجليزى بالمر يخبره بما حدث فنصحه برفض الاستعفاء (٥٤) ، ولما حان الموعد المحدد لرد مصطفى فهمى أرسل الخديو اليه يطلب الرد فكان الجواب رفض

---

(٥٢) الوطن : العدد ٦٠٤٢ فى ٢ مارس ١٩١٥ تحت عنوان « سياسة اللورد كرومر فى مصر » .

(٥٣) المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٩ ابريل ١٩٥١ .

(٥٤) مذكرات محمد فريد : القسم الأول يناير ١٨٩٣ .

الاستعفاء [٥٥] وأنه من الأوفق لسـموه أن يستشـير فى ذلك اللورد كـرومر •

كبر على الخديو الأمر وأصدر قرارا باقالة مصطفى فهمى بحجة اعتلال صحته وتم تكليف حسين فخرى ناظر الحقانية بتأليف الوزارة الجديدة [٥٦] فكان لهذا التبديل صدى كبير فى كافة الأوساط عالميـة ومحلية لأنه تم دون استشارة اللورد كرومر •

أرسل الخديو المسيو روليبه بك سكرتيره العام الى كرومر يبلغه بتغيير الوزارة وتعيين حسين فخرى فأجاب اللـورد بأنه سيتوجـه لمقابلة الخـديو •

رأى كرومر فى اقالة مصطفى فهمى قلبا لميزان السلطة ومحـاولة من جانب الخديو لتوجيه ضربة قاصمة للنفوذ البريطانى لأنه لم يستشره فى تعيين فخرى باشا ولو استشاره قبل اسناد المنصب اليه لمـا اعترض على تعيينه [٥٧] ولكن الخطورة فى نظر كرومر تكمن فى أن تغيير الوزارة دبره الخـديو ونفذه دون أن يأخـذ رأيه ، وكان من المسـتحيل على كرومر الموافقة على أى تغيير يهدف الى ضرب النفوذ البريطانى •

ذهب كرومر لمقابلة الخـديو فى ١٢ يناير ١٨٩٣ وأبلغه اعتراضه الشديد على ما حدث لأن الحكومة البريطانية لها حق اختيار الوزراء طبقا لمنشور جرانفيل فى ٣ يناير ١٨٨٣ فأجابه الخديو بأن الفرمانات السلطانية تعطيه حق اختيار وزرائه بنفسه فنصحه كرومر بألا يقـاوم

---

(٥٥) المؤيد : عدد ٢ ابريل ١٨٩٣ حديث لمحمود باشا شكرى ، مذكرات قلينى فهمى باشا ، ص ١٢٠ — ١٢١ •

(56) H. D. Traill : Lord Cromer. London 1897 P. 281 - 9.

(57) Cromer : Op. Cit., P. 9 - Blunt : My Diaries VI, P. 106.

انجلترا حتى لا يفقد عرشه وسلطته (٥٨) وتعكر الجو وحدثت الأزمة(٥٩)، ومع أن الخـــديو تمسك بموقفه الا أنه وعد كرومر بعدم نشر تشـــكيل الوزارة فى الجريدة الرسمية الا بعد اعطائه الوقت الكافى للمفاضة مع وزارة الخارجية البريطانية (٦٠) .

رأى كرومر انتهاز الفرصة لتلقين الخـــديو درسا لا ينساه فاتصل باللورد روزبرى وزير الخارجية البريطانية وأبلغه بالخبر ، وبأن تغيير الوزارة دون أخذ رأيه سيكون له عواقب وخيمة اذا لم يحسم الموقف مع الخديو ، ويوضع حد لهـــذه المسألة لأن الخديو يعتقد أن الحكومة البريطانية لا تؤيده كما كانت تؤيد الحكومة السابقة (٦١) وطلب كرومر ارسال برقية توضح فيها الحكومة البريطانية أنه يجب أن تستشار فى المسائل الهامة مثل مسألة تغيير النظار ، وأن التغيير الذى قام به الخديو غير مرغوب فيه ، وانها لا توافق على تعيين فخـــرى باشـــا كما طلب اعطاءه السلطه لاتخاذ الاجراءات الفعالة اذا لزم الأمر للحيلولة دون احداث هـــذا التغيير ثم أوضح كرومر للحكومة البريطـــانية بأنه اذا تمكن الخـــديو من الحصول على أى مكاسب من جراء هـــذا الحـــادث فانه لم يستطع السير على الخطة التى يسير عليها منذ عشر سنوات . أما اذا أعطى للخـــديو درسا فسيصعب عليه احداث أى متاعب أخرى مستقبلا (٦٢) ومع أن الخديو قـــد بر بوعده بعدم نشر تعيين الوزارة الجديدة حتى يتفاوض اللورد كرومر مع حكومته فانه طلب من الوزراء

---

(58) Cocheris, J. Op. Cit., P. 248.

(59) Le Besphore Egyptien 21 Janvier 1893.

(60) Cromer : Op. Cit., P. 22.

(٦١) لمـــا استقالت وزارة سالسبورى وتولى المستر جلادســـتون السلطة أحس الخـــديو بأن جلادستون يميل الى الاسراع بالجلاء عن مصر مما ساعده على مناواة كرومر .

(62) Cromer : Op. Cit., P. 23 - 24.

الجدد الذهاب الى دواوينهم مما ضايق كرومر فأصدر أمرا الى الموظفين الانجليز بعدم الاعتراف بالوزارة الجديدة أو التعاون معها حتى يسمح لهم بذلك [٦٣] .

رأت الحكومة البريطانية فى عزل الخديو لرئيس الوزراء المتعاطف مع السلطة البريطانية فى مصر وتعيين آخر دون استشارتها أمر من الصعب الموافقة عليه لأنه سيؤدى الى اهتزاز مركزها فى مصر كما رأى مجلس العموم البريطانى أن من سوء حظ الخديو عدم اتصاله بالحكومة البريطانية قبل عزل وزارة مصطفى فهمى ورغم أن بعض الأعضاء أيدوا فكرة عزل رئيس الوزراء لمرضه فان أغلبية أعضاء المجلس لم يوافقوا على ما قام به الخديو حتى لا ينتهى الأمر بضياع نفوذ انجلترا فى مصر [٦٤] أرسلت الحكومة البريطانية برقية الى اللورد كرومر ذكرت فيها « أن حكومة جلالة الملك يجب أن يؤخذ رأيها فى المسائل الهامة مثل مسألة تغيير النظار ، وأنه فى الوقت الحالى لا توجد ضرورة للتغيير لذلك فهى لا توافق على تعيين فخرى باشا » .

وقد كلفت الحكومة البريطانية كرومر بأن يقابل الخديو ويبلغه بالبرقية ، كما طلبت منه ألا يتخذ أى اجراءات أخرى قبل الاتصال بلندن [٦٥] .

قابل كرومر الخديو فى ١٧ يناير ، وأبلغه بالبرقية التى وصلته من حكومته وطلب منه اعادة مصطفى فهمى الى رئاسة الوزارة فرفض الخديو طلبه وأوضح له أنه استعمل حقه فى اختيار الوزراء حسب

---

(٦٣) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣٠٨ .

(64) The Parliamentary Debates, For Session 1893 Vol XIII, P. 115.

(65) Cromer : Op. Cit., P. 24.

الفرمانات السلطانية ، فهدده كرومر بأن نتائج رفضـــه ستكون وخيمة وحذره من عواقب مقاومة انجلترا لأنه بذلك يجازف بسلطته فرد عليه الخديو بأن تنازله عن العرش أفضل له من ارجاع مصطفى فهمى [٦٦]، ولمـا علمت الحكومة الانجليزية بهذا الرد طلبت من كرومر أن يوضح للخديو بأنه اذا رفض الخضوع للنصائح البريطانية فان عليه أن يتحمل أخطر النتائج [٦٧] .

دارت عدة مقابلات بين الخديو ونظاره للبحث عن طريق لحـل الأزمة فحاول حسين فخرى أن ينقذ الخديو من ورطته بتقديم استقالته ، كما ذهب بطرس باشا وتيجران باشا الى كرومر ملتمسين منه التساهل فى حل الأزمة فرأى كرومر أن من المـلائم حل الأزمة دون العـودة لاستشارة حكومته فى لندن ، وبعد أخـذ ورد طويلين استقر الرأى على تسوية الأزمة على أساس ألا يتمسك كرومر باعادة مصطفى فهمى على أساس أنه ليس من الصواب اذلال الخديو الشاب على أن يعزل حسين فخرى ويتم تعيين رياض باشا مكانه ويقدم الخديو بلاغا رسميا — وضع كرومر صيغته — يبدى فيه رغبته فى توجيه العناية للبحث عن أفضل العلاقات الودية مع الحكومة البريطانية وأن يتبـع فى المستقبل نصائحها فى المسائل الهامة [٦٨] .

وفى صباح ١٨ يناير زار الخديو وتم ما اتفق عليه وبذلك انتهت الأزمة الوزارية دون أن ينال أحـد من الفريقين نصرا مؤزرا .

وهكذا انتهت الأزمة الخطـيرة التى أثارها عنـاد اللورد كرومر

---

(66) Cromer : Op. Cit., P. 24.

(67) Trail : Op. Cit., P. 286.

(68) Cromer : Op. Cit., P. 27.

ليفرض بالقوة تواجد رئيس وزراء لم يتردد يوما فى الدفاع عن المصالح البريطانية ، وأن يضحى فى سبيلها بمصالح بلاده (٦٩) .

وعلى كل حال فقد كان حل الأزمة مرضيا لفرنسا نظرا لابعاد مصطفى فهمى الذى كان يعمل ضد نفوذها ، ومرضيا لكرومر نظرا لابعاد حسين فخرى الذى كان يظهر تأييده لفرنسا ، ومرضيا للخديو حيث نفذ رغبته فى ابعاد مصطفى فهمى (٧٠) .

ومما سبق يتضح مدى التناقض بين أقوال الاحتلال وأفعاله فانجلترا التى كانت تسوغ احتلالها لمصر بدعوى المحافظة على حقوق الخديو تمنعه من حقه فى اختيار وزرائه وتفرض عليه الوزراء التى تريدهم أما عن الموقف الدولى للأزمة فقد قاومت أوربا هذا التعسف الانجليزى بشىء من الضعف ومع أن الخديو كان ينتظر مساعدة كل من فرنسا والروسيا له فقد وقفت الحكومة الفرنسية موقفا ضعيفا واكتفت بأن كلفت سفيرها فى لندن بالاحتجاج على الاجراءات التعسفية التى اتخذها كرومر ضد الخديو ومعرفة الدور الذى لعبه كرومر فى استقالة نظارة فخرى باشا فكان رد اللورد روزبرى أن الاجراءات التعسفية كانت من جانب الخديو ولم تكن من جانب كرومر لأنه هو الذى عزل رئيس النظار وعين رئيسا جديدا للوزارة لا يليق بهذا المنصب دون استشارة أحد (٧١) .

أما روسيا فلم تتدخل فى الأزمة بينما تخاذلت تركيا فى اتخاذ موقف واضح فاكتفى الباب العالى بتكليف سفيره فى لندن أن يصرح لوزير الخارجية البريطانية أن الخديو يعتبر ممثل السلطان فى مصر والتعرض

---

(69) Le Bosphore Egyptien : 20 Janvier 1893.

(٧٠) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ القسم الأول ص٦١ .

(71) Trail : Op. Cit., P. 288 - 289.

له انما هو تعرض لشخص السلطان ، وكان رد روزبرى أن كرومر لم يقصد التعدى على حقوق الخديو وأن الحكومة البريطانية ترى فى تعيين رياض باشا رئيسا للنظار حلا مرضيا (٧٢) .

أما عن الموقف الداخلى تجاه الأزمة فقد قوبل موقف الخديو من الأزمة بابتهاج كبير لأن مصطفى فهمى كان بغيضا الى نفوس أبناء الأمة لمالأته للاحتلال فالتفت الأمة حول الخديو ، وأصبح موضع حب الشعب وازداد النداء بحياته أثناء تنقلاته كما هجمت بعض الصحف الوطنية مصطفى فهمى واعتبرته خائنا للوطن لأنه توقف عن تنفيذ أوامر الخديو استنادا على الانجليز فقالت « الأستاذ » أنه ما كان ينبغى أن يوقف أمر سيده وأمير البلاد الشرعى على مشورة أجنبى ، كما أيدت موقف الخديو من الأزمة وذكرت أنه طبق ما فوضه اليه السلطان من السلطة وما أوجبته عهود الوراثة من الحقوق ، وطالبت المصريين جميعا بالخضوع للسلطان والاعتراف بسيادته وسلطته عليهم (٧٣) كما هرعت وفود الأمة الى سراى عابدين فى صبيحة الأربعاء ١٨ يناير ١٨٩٣ وكان منهم الأمراء والعلماء والأشراف والأعيان والتجار وأعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وقضاة المحاكم وكبار الموظفين يهنئون الخديو ويظهرون اخلاصهم له فكان الخديو يخطب فيهم وفدا وفدا موضحا لهم أنه عازم على عدم التنازل عن أى حق من حقوقه (٧٤) فكان جواب بعض الحاضرين « يا أفندينا ربنا كتب خلاص البلاد على أيديك ، وما رأينا هذا الحماس وحب البلاد وأهلها صدرا غيرك ربنا يخليك ويطول عمرك » (٧٥) .

---

(٧٢) احمد شفيق : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٣ .
(٧٣) الأستاذ : الجزء الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٠ — ٥٤١ تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .
(٧٤) نفسه : ص ٥٤٢ .
(٧٥) مذكرات قلينى فهمى : ص ١٢٢ .

وفى يوم الجمعة ٢٠ يناير أدى الخديو فريضة الجمعة فى مسجد الحسين فاستقبله الشعب بالحماس والهتاف ، كما اجتمعت الألوف فى المسجد وعلى جانبى الطريق يهتفون له الهتافات العالية (٧٦) .

وفى مساء السبت ٢١ يناير حضر الخديو تمثيل رواية (عايدة) فى الأوبرا فقامت مظاهرة رائعة له اشترك فيها الوطنيــون والأجانب اذ وقف الجميع حين دخول الخديو اللوج وصدحت الموسيقى بالسلام وهتفوا له هتافا عالية ، ودوى المكان بالتصفيق المتواصــل فأجابتهم الموسيقى بالسلام الخــديو مثنى وثلاث ورباع ، وكلمــا عزفت زاد الهتاف والتصفيق طالبين اعادة الســلام الخــديو حتى أشار عليهم الخديو بالجلوس (٧٧) .

أما عن مصطفى كامل فقد اعتلى منصة الخطابة فى ٢٠ يناير ١٨٩٣ بين جموع الطلبة الذين احتشدوا للتعبير عن سخطهم على المحتل ، وكانت هــذه هى المــرة الأولى التى يتكلم فيهــا بين عدد ضخم من المستمعين ، وقد عاب مصطفى كامل فى خطبته على ضعف الحــكومة موجها نداءه الى المصريين للتكتل استعدادا للكفاح ضد المحتل (٧٨) كما هاجم هو وزملاؤه جريدة المقطم (٧٩) لموقفها العدائى من الخديو

---

(٧٦) وضح محمد فريد ذلك فى مذكراته فقال « صلى الخديو الجمعة بجامع الحسين وكان بانتظاره بداخل المسجد وخارجه على حافتى الطريق الوف الألوف من الناس ، وتظاهروا عند مروره تظاهرا لم يسبق اليه مثيل فى مصر ، واشترك الأجانب غير الانجليز مع المواطنين فى هــذا الاحتفال التظاهرى ، ورغب بعض الشبان حل خيل عربة الخديو وجرها بأنفسهم تعظيما لمقامه السامى فأبى ذلك » .
مذكرات محمد فريد : القسم الأول تحت عنوان يناير ١٨٩٣ .

(٧٧) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

(78) Bosphore Egyptien 22 Janvier 1893.

(٧٩) هذه الصحيفة اعتمد عليها الاحتــلال وأمدها كرومر بالمــال وبكافة المواد الصحفية التى تكفل لها الرواج ، وقد صدر العدد الأول منهــا فى يوم الثامن عشر من شهر أبريل ١٨٨٨ .

لما قام به احداث الأزمة الوزارية [80] ثم ذهب وفد من الطلبة برئاسة مصطفى كامل الى مكاتب صحيفة لوبوسفور اجبسيان Bosphore Egyptien لشكرها على ما أبدت من شعور نحو مصر والمصريين أثناء الأزمة الوزارية •

ولقد كان لهذه الحركة الشعبية الرائعة أثرها الواضح فى تقوية مركز الخديو أمام كرومر حتى أن كرومر نفسه لم ينكر ذلك وان كان قد صوره تصويرا مشوها اذ قال : « حدثت كثير من التغييرات الوزارية خلال حكم توفيق أثارت الأحاديث فى القاهرة ، ولكن أثر هذه الأحاديث لا يلبث أن يزول سريعا الا أنه من الواضح أن هياج الشعب هذه المرة قد تجاوز حده حتى أصبح الموقف قريبا لما كان عليه فى بداية الثورة العرابية مع اختلاف واحد هو أن الخديو هذه المرة كان قائدا للحركة ، والتف حوله بعض الشباب الذين رفعوا شعار الثورة فى وجه الحضارة الغربية : والباشوات الذين جردوا من امتيازاتهم أو أنقصت سلطتهم ، وكل مسلم متعصب يكره الأجانب فى سريرة نفسه ، وكل راغب فى منصب ويرنو الوصول اليه بأساليب غير سليمة وكل موظف فاسد وقفت الرقابة الأجنبية حائلا بينه وبين الحصول على كسبه الحرام ، وكل شاب اعتبر نفسه أفضل من رئيسه الانجليزى • كل هؤلاء التفوا حول الخديو فى حركته ، وهكذا اتحد المصرى المتفرنج مع الباشا المتخلف الذى يود عودة حكم البلاد بالكرباج والفساد » [81] •

والواقع أن الأزمة الوزارية أثبتت حاجة الشعب المصرى الى من يقوده للمواجهة مع الاحتلال لذلك وقف بجانب الخديو يشد أزره

---

(80) Landau : Parliaments and Parties in Egypt London P. 109.

(81) Cromer : Op. Cit., P. 34 - 35.

ويؤيده ، ويشـــاركه شـــعوره فى أن يثبت أن لمصر خـــديويا جديراً بلقبـــه [٨٢] .

كما أن هـــذه الأزمة أثبتت التناقض الواضح بين أقوال الاحتلال وأفعاله فرغم أن الانجليز تذرعوا بأن سبب احتلالهم لمصر هو حماية عرش الخديو ، وتأييد سلطته فان الأزمة الوزارية أوضحت أن الانجليز لا يعترفون بسلطة الخديو فى اختيار وزرائه [٨٣] ويفرضون عليـــه الوزراء الموالين لهم مما يعتبر تحديا صريحا له واعتداء صارخا على حقوقه وعلى المعاهدات الدولية التى تحدد مركز مصر [٨٤] .

أما عن موقف الخـــديو من الأزمة فكان مشرفا فلم يقبل بقـــاء وزارة عرفت بالخضوع للاحتلال ورغم التهـــديد بعزله اذا أصر على موقفه ، ونجح فى عزل مصطفى فهمى وان لم يتمكن من ابقاء وزارة حسين فخرى التى أمر بتشكيلها .

وعلى كل حال فقـــد خـــرج الخـــديو بمكسب هام من الأزمة الوزارية هو التفاف الشعب حوله وظهوره بمظهر الزعيم الوطنى الذى لم يقبل وزارة عرفت بالخضوع للاحتـــلال واستعمل حقـــه فى تعيين وزارة يرى فيها الاستقلال عن النفوذ الانجليزى .

٥ ــ وزارة رياض وحادث الحدود :

شكلت هـــذه الوزارة فى ١٩ يناير ١٨٩٣ ، وكان كرومر يظن أن رياض باشـــا سيتمكن من التأثير على الخـــديو ليخفف من كراهيته للاحتلال ، ولكن ما اتبعه رياض كان على العكس من ذلك فقد شجع

---

(82) Bosphore Egyptien : 21 Janvier 1893.

(٨٣) اللواء : العدد ٣١ فى ٦ فبراير ١٩٠٠ تحت عنوان « السلطة الشرعية فى مصر » .

(٨٤) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .

الخديو على معاكسة انجلترا ، وذكر عقب الأزمة الوزارية أن سلوك الخـــديو قـــد رفعه فى أعين الشعب وأكســـبه احتراما عاما : وأن جميع المصريين الآن فى جانبه وقد علق كرومر على ذلك بقوله : « ان هـــذا لا ينطبق الا على طبقة الباشوات » (٨٥) .

وقـــد حاول رياض باشا الحـــد من تغلغل النفوذ الانجليزى فى البلاد كما كان يتمنى أن يفارق كل أوربى البلاد غير أنه فى أعمـــاله كان يضطر الى أن يعترف بأنه لا غنى عن الأوربيين ، ومع أن رياض كان يكره الصحافة الحرة كل الكره فقـــد شجع الصـــحافة المناوئة للاحتلال ، وكان يسير ضد كل ما هو أوربى ثم تضطره الظروف الى التراجع فمثلا رفض السماح للسير جون سكوت وغيره من الموظفين البريطانيين حضور جلسات مجلس النظار (٨٦) الا أن كرومر اضطر الى اصدار أمر يلغى هـــذا القرار (٨٧) كما أنه أصدر منشورا يأمر فيه جميع الموظفين المصريين بالامتناع عن الاتصـــال بضباط الجيش من الانجليز ثم ما لبث أن ألغى هـــذا المنشـــور (٨٨) ، وكان يشجع الصحافة المتعصبة ضد انجلترا ثم ينقلب فجأة فيطلب من أحد الصحفيين المشهورين بتعصبهم الوطنى وهو عبد اللـــه النديم أن يغادر البلاد .

ونتيجة لموقف رياض باشا المناوىء للاحتـــلال وتغير الموقف فى مصر لصلحة الحركه الوطنية رأى كرومر ضرورة كبح جماح الوطنيين قبل تفاقم الموقف فطلب من حكومته زيادة عدد القوات الانجليزية فى مصر نظرا لتطور الأمور فيها وقـــد وافقت الحكومة البريطانية على

---

(85) Cromer . Op. Cit., P. 42.

(٨٦) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ص ٥٩ .

(87) Cromer : Op. Cit., P. 42.

(88) Ibid : P. 44.

طلبه [٨٩] وكلفته بابلاغ الخـــديو ورئيس النظار بقرارها بشأن هذه الزيادة دون توضيح السبب الذى دعا الى هذا القرار [٩٠] .

ونتيجة لقرار الحكومة البريطانية بزيادة عدد قواتهـا فى مصر تغيرت خطة رياض باشا ضد الانجليز ، وتوقفت حركة الهياج وهدأت خواطر الأوربيين ، ولكى تبرر انجلترا الأسباب التى دعتها الى زيادة قواتها أمام الدول الأوربية أرسل المستر جلادستون منشورا الى الدول يبلغها بأن زيادة قوة جيش الاحتلال لا يقصد منه أى تغيير فى خطة انجلترا نحو مصر ولا فى وعودها بالجلاء فردت فرنســا بأن ما جاء بالمنشور ليس كافيا لايضاح أسباب زيادة هــذه القوة فأجاب وزير خارجية انجلترا بأن ذلك يرجع الى أن انجلترا سحبت فى السنوات الأخيرة قسما من جيش الاحتلال غير أنها وجدت أن الباقى ليس كافيا لحماية الأجانب أو لصد ثورة محتمل وقوعها [٩١] .

وفى ١٦ فبراير وجه روزبرى الى كرومر رسالة نشرت علنا [٩٢] وضح فيها سياسة الحكومة الانجليزية بصدد مصر وهى تنطوى على وجود استمرار الاحتلال لعدة اعتبارات هى :

١ ـــ حماية مصالح وسلامة الأوربيين المقيمين بمصر .

٢ ـــ ان قيام أى هياج قصــير لا يجبر انجـلترا على تعديل سياستها فى مصر .

---

(89) The Parliamentary Debates. For Session 1893 Vol. XIII, P. 2 - 3.

(90) Cromer : Op. Cit., P. 37 - 38.

(٩١) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ص ٧٠ .

(92) Charles - Roux : Histoire de la Nation Egyptienne, Vols. II, P. 157.

٣ ـ ان انجلترا أقدمت على عمل فيه مصالح للحضارة ولأوربا ولا يمكنها أن تتراجع عنه .

٤ ـ ان معنى سحب القوات الانجليزية من مصر هو عودة الفوضى والفساد اليها .

كما أشار روزبرى بضرورة المحافظة على النظام الادارى الذى أقيم بالارشاد الانجليزى ثم أشار الى احتمال قيام اجراء مفاوضات مع تركيا والدول الأوربية وذكر أن الفرصة سانحة لكى تتحرر مصر من الرقابة الأوربية لأنها لم تتهيأ لذلك ، كما أن الحوادث الأخيرة تجعل انجلترا تفكر تفكيرا أكثر وضوحا (٩٣) .

أما عن الخديو عباس الثانى فقد لجأ الى السلطان طالبا تحديد فزاره فى يوليو ١٨٩٣ (٩٤) ؛ وكان تجران باشا والشيخ على يوسف وعدد كبير من الأعيان والتجار والموظفين واثنين من أعضاء مجلس شورى القوانين (٩٥) ، وقد حاول الخديو اكتساب تأييد السلطان كما طاف تجران باشا على السفارات الأجنبية فى الآستانة موضحا موقف الخديو ؛ ومع أن السلطان رحب بالخديو وأعلن رضاه عنه وأهداه نيشان الامتياز المرصع فأنه طلب منه الابتعاد عن مناوأة انجلترا وأن يحسن علاقته مع الانجليز ، كما استدعى تجران باشا وطلب منه أن يوقف خطته المناوئة للانجليز : وبذلك عاد الخديو من الآستانة مهيض الجناح ؛ فقد قضى السلطان على الآمال التى كانت تراوده .

والجدير بالذكر أن الخديو عباس الثانى اهتم بأمر الجيش

---

(93) Cromer : Abbas II. P. 40 - 41.

(٩٤) احمد شفيق : المرجع السابق ؛ ص ٩٣ .

(٩٥) نفسه .

منذ اعتلائه أريكة الخديوية فوطد صلته به ، وأمر بترقية الكثير من الضباط المصريين [٩٦] كما فتح باب الترقى لهم الى الرتب التى تعلو رتبة الأميرالاى بعد أن كانوا يتوقفون عند هذه الرتبة [٩٧] كما كان يرتدى الملابس العسكرية كأحد ضباط الفرق ويشاهد المناورات الحزبية بنفسه ، ويقوم بالتفتيش على الثكنات للوقوف على حالة الجنود مما أغضب اللورد كتشنر Kitchener سردار الجيش المصرى فاحتج لدى اللورد كرومر ، واستقر الأمر على انتهاز أول فرصة لخنق اهتمام الخديو بالجيش [٩٨] .

وقد أسند الخديو وكالة نظارة الحربية الى الفريق ماهر باشا محافظ الاسكندرية [٩٩] فى أثناء غياب كرومر فى لندن ، فكان ذلك بداية المتاعب الحقيقية بين الخديو والاحتلال حيث عمل ماهر باشا على التقليل من شأن كتشنر واتاحة الفرصة للخديو للاشراف الحقيقى على وزارة الحربية [١٠٠] فحاول أن يحصل على بيان بمرتبات الضباط والموظفين بالجيش المصرى للمقارنة بينها وبين مرتبات أقرانهم من المصريين ، وكان كتشنر يخفى ذلك البيان عن الخديو وكانت هذه المرتبات تقدم بصورة عامة فى الميزانية السنوية بدون تفصيل [١٠١] .

وقد تمكن ماهر باشا من الحصول على هذا البيان كما تمكن من التعرف على الطريقة التى تصرف بها الأموال التى كانت تحصل من

---

(٩٦) دار الوثائق : ديوان معية سنية عربى — صادر افادات وتحريرات مجموعة رقم ٤٢ ، ص ٤ مسلسل ٩٨ بتاريخ ١٠ اغسطس ١٨٩٢ وأيضا ص ٤٩ مسلسل ١٣٢ بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٨٩٢ .

(٩٧) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى ، فى ٣ مايو ١٩٥١ .

(٩٨) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٩٩) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، القسم الأول ، ص ٨٠ .

(100) Zetland : Op. Cit., P. 208.

(١٠١) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

المصريين مقابل الاعفــاء من الخــدمة العسكرية والمعروفة بالبــدل العسكرى والتى كانت تصل الى حوالى ٢٥٠،٠٠٠ جنيه فاتضح أنهــا تستخدم للصرف على قلم المخابرات الانجليزى فى مناطق متعددة من الوطن العربى منها السودان والحجاز واليمن وطرابلس [١٠٢] .

كمــا تمكن الخــديو من بث بعض العيــون فى فــرق الجيش ووحداته التعليمية لمعرفة أحوال الجيش ، كما استطاع أن يبث عيونه فى بيت السردار نفسه وكان يتصــل برجال الجيش عن طريق العمــد والمشايخ فى القرى ، وعن طريق هؤلاء اتضح للخديو أن الضــباط الانجليز الذين يقومون بتدريب الجيش المصرى ماسونيون [١٠٣] كانوا يشجعون الضباط المصريين بعد تخرجهم الى الالتحــاق بالمــاسونية الانجليزية ، كما كان رئيس المخــابرات الانجــليزية فى مصر رئيسا للمحفل العسكرى الانجليزى [١٠٤] .

وبمناســبة الاحتفال بعيد جلوس الخــديو فى ٨ ينــاير ١٨٩٤ استعرض عباس الثانى بعض وحــدات الجيش المصرى فى القــاهرة

---

(١٠٢) جريدة المصرى : مذكرات عبــاس الثانى فى ٣ مايو ١٩٥١

(١٠٣) المــاسون Macon كلمة فرنساوية معناها بناء ، فالماسونية بمعنى البناية وجماعة البنائين هم الأعضاء ، وكانت لهم كلمات واشارات يتعارفون بها .

جرجى زيدان : تاريخ المــاسونية العام . القــاهرة ــ مطبعــة المحروسة ١٨٨٩ ، ص ٢١ .

والمــاسونية من مهمتها : « أن تدخل فى روع الناس أنهم متساوون، وأن الميزات القومية والمعتقدات كلها اصطناعية لا قيمة لها » .

ر. فورستيه : هــذه هى المــاسونية ــ ترجمة بهيج شــعبان . بيروت ١٩٥٥ ، ص ٩ ، ١٢ .

وللتفاصيل انظــر : عبد الرحمن ســامى عصمت . الصهيونيــة والمــاسونية ، ص ٨٤ .

(١٠٤) المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٤ مايو ١٩٥١ .

ذلك أحمد شفيق فيذكر أن الشكوك اتجهت الى حسين محرم الذى كان على صلة بكتشنر [١٠٩] وعلى كل حال فقد شك الانجليز فى الأمر واعتبروه غير حقيقى [١١٠] .

ومع أن شكوك أفراد المعية حول من أبلغ نية الخديو كانت تحوم حول حسين محرم [١١١] فانه يتضح من دواوين المعية السنية أن الخديو لم يفاتحه فى هذا الأمر ؛ ولم يتخلى عنه بل قربه اليه [١١٢] مما يجعلنا نستبعد أن حسين محرم هو الذى أفشى بنيات الخديو الى الانجليز .

استعرض الخديو قوات الجيش فى وادى حلفا وبجانبه ماهر باشا وكيل وزارة الحربية [١١٣] فى ١٨ يناير ١٨٩٤ وأبدى بعض انتقاداته وملاحظاته على سلوك الجند فى الاستعراض العسكرى فعند

---

(١٠٩) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(110) George Arther : Op. Cit., Vol 1, P. 182 .

(١١١) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(١١٢) بالرغم مما قيل عن صلة حسين محرم بكتشنر فان دواوين المعية السنية توضح لنا أن الخديو لم يتخلى عنه بل قربه اليه ورقاه فعينه ياورا أول ويتضح ذلك من الديوان رقم ٤٥٤٠١ ؛ ص ٢ : نمرة ٣ بتاريخ ٢ أبريل ١٩٠٥ حيث يذكر « انه قد سمحت المكارم الخديوية الفخيمة بترقية حضرة الميرلاى حسين محرم من ياوران الجناب الخديو الى رتبة اللواء وتعيينه ياورا أول » وفى الديوان رقم ٤٥٤٠٩ نجد أن حسين محرم رقى الى رتبة فريق وتعين ناظرا للخاصة الخديوية « فصدر أمر عال الى سعادة الفريق حسين محرم باشا بتاريخ ١٨ مايو ١٩١٢ بتعيينه ناظرا للخاصة الخديوية من التاريخ المذكور » .

انظر : دار الوثائق : دواوين المعية السنية عربى سجل س/١٥/١٥ تحت رقم عام ٤٥٤٠٩ .

(١١٣) رقى الخديو ماهر باشا الى رتبة الجنرال وعينه محافظا للاسكندرية بعد أن كان وكيلا لمديرية الحدود بأسوان ، ثم عينه وكيلا لوزارة الحربية .

جريدة : مذكرات عباس الثانى فى ٣ مايو ١٩٥١ .

مرور الأورطتين الثانية والحادية عشر التفت الى ماهر باشـــا وكان بجواره وقال له : « ان هــذه الجنود فى حالة تدعو الى الخجل»[١١٤] كما قال لقومندان الأورطة الثانية الانجليزى « ان سير هــذه الأورطة ليس حسنا كسير الأورطة الأخرى »[١١٥] كما أبدى مثل هذه الملاحظة على الأورطة الحادية عشر وطلب القومندانات بآخر الطابور وأبدى لهم ملحوظاته على الجيش [١١٦] كما ألقى خطبة على مسامع الضـــباط انتقد فيها طريقة التعليم التيينتهجها الضباط البريطانيون ازاء الجيش المصرى [١١٧] وصرح الخـــديو لكتشنر أنه يمـدح كل ضـــابط يقوم بواجباته ويلوم كل من يقصر فيما عليه نحو جنوده [١١٨] ، وقد تأثر كتشنر من سلوك الخديو نحو الضباط الانجليز وانتهز الفرصة للنيل من مهابة الخـــديو أمام الجيش [١١٩] فأعلن أن كرامة الضباط الانجليز قـــد امتهنت واحتج على ذلك بأن قدم استقالته ، ولمـــا أحس الخديو بتوتر الموقف حاول حمل كتشنر على العـــدول عن استقالته فقال له أنا قلت ما رأيته كمصرى وكقائد للجيش ؛ ولكى ألفت نظر القائدين الانجليزيين الى ضرورة بذل الجهد لاستكمال النظام ولا أقصد توجيه اهانات شخصية لك فلماذا تريد استخدام القضية لغايات سياسية[١٢٠] فرد كتشنر بأنه اذا كان الضباط الانجليز ينتقدون علنا بهذا الشكل فان مركزهم فى البلاد يصبح من الصعب تأييده ؛ وانه فى هذه الحالة يصعب عليه تماما الحصول على ضباط أكفاء للعمل بالجيش المصرى ؛

---

(١١٤) دار الوثائق : مذكرات مصطفى كامل ، ملف ٢٥ تلغـــراف رقم ٨٢ بتاريخ ٢٣ يناير ١٨٩٤ .

(١١٥) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(١١٦) مذكرات مصطفى كامل : التلغراف السابق الذكر .

(١١٧) احمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(١١٨) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(١١٩) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣١١ .

(١٢٠) بشارة تقلا باشا : مختارات من اقواله المنشورة بالأهرام القاهرة ــ مطبعة الأهرام ١٩٠٢ ، ص ٣٥٩ .

فأوضح له الخديو بأن لديه الثقة التامة به ، وأنه لم يقصد سوى أن يلفت نظر القائدين الى ضرورة السهر على الكمال والنظام ، كما أنه فعل ذلك مدفوعا بحبه لجيشه ، ولهذا لا يفهم لماذا يريد أن يعطى لهذا الأمر الخصوصى معنى سياسيا ، فأوضح له كتشنر بأنه ربما لا يصر على استقالته وان كان لم يسحبها نهائيا (١٢١) ثم أرسل ضابطا الى كرومر ليشرح له تفاصيل الحادث (١٢٢) كما أرسل تلغرافين الى كرومر أيضا يشكو فيهما من انتقادات الخديو للجيش وبأنه صرح بأن حالة الجيش عار على مصر (١٢٣) وأنه أبدى ملاحظات فيها تحقير للضباط الانجليز .

ويدفعنا موقف كتشنر الواضح فى تصعيد الأزمة الى أن نتساءل ما هو الهدف الذى يرمى اليه من ذلك ؟

الواقع أن كتشنر كان ينقم على الخديو اهتمامه بالجيش : وكان قد أرسل من قبل الى كرومر يشكو له من محاولات الخديو التدخل فى شئون الجيش ، وقد تم الاتفاق بينهما على انتهاز فرصة مناسبة للنيل من هيبة الخديو أمام الجيش ، وكان حادث الحدود هو الفرصة المرتقبة (١٢٤) ، كما أن كتشنر كان من مجموعة كرومر التى ترى ضرورة شل سلطة الخديو والضغط عليه حتى يمكن تنفيذ أغراض انجلترا فى مصر .

وعلى كل حال فقد هالت كرومر خطورة الموقف فذكر أن انتقادات الخديو للضباط الانجليز تعتبر أسوأ سلوك رآه فى حياته كما رأى أن

---

(121) Cromer : Abbas II, P. 51 - 52.

(١٢٢) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(١٢٣) مذكرات مصطفى كامل : ملف رقم ٢٥ تلغراف رقم ٧٧ بتاريخ ٢٢ يناير ١٨٩٤ ونص التلغراف ضمن ملاحق الرسالة .

(١٢٤) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣١١ .

الفرصة التى كان ينتظرها لتوجيه ضربة قوية ومناسبة الى الخـــديو قـــد حانت ، كما أن الفرصة مناسبة أيضا لعزل ماهر باشا وكيل وزارة الحربية المناوىء للانجليز فأبلغ حكومته بالأمر كما اقترح على الخديو بأن تسوية الموقف لا تتم الا بنقل ماهر باشا واصـــدار أمر عسكرى يثنى فيه الخديو على الضباط الانجليز والجيش والا فانه سيضطر الى وضع الجيش المصرى بكامله تحت سلطة الاحتلال (١٢٥) .

استاءت الحكومة البريطانيـــة من الحـــادث وأبلغت كرومر بأن يخبر الخديو بخطـــورة الموقف بعد أن أصـــبح من عادة سموه اهانة الضباط الانجليز . وأن الترضية الوحيدة التى يمكن للخديو أن يقدمها هى نقل ماهر باشا واصدار أمر عسكرى يثنى فيه الخديو على الضباط الانجليز والجيش (١٢٦) وفى حالة رفضه اعطاء هـــذه الترضية ننظر فى استعمال الشدة التى يكون من ورائها وضع الجيش المصرى رأسا تحت السيطرة الفعلية لانجلترا حتى يمكن ضـــمان حماية الضـــباط الانجليز من المعاملة المهينة (١٢٧) .

وبعد أن أبلغ كرومر برد حكومته قابل رياض باشا ونجران باشا وأوضـــح لهما خطورة الحادث وطلب منهما تنفيـــذ ما طلبته الحكومة البريطانية وهدد بخلع الخـــديو من عرشـــه اذا لم يعتـــذر ويسحب انتقاداته (١٢٨) .

ولمـــا كان الخـــديو لم يعد الى القاهرة بعد ، فقد هرع رياض باشا وبصحبته بطرس غالى ناظر المـــالية الى الصعيد وقابلا الخديو بعد رسو يخته فى جرجا وأخبراه باستياء كرومر منه وتهديده بالخلع

---

(125) Cromer : Op. Cit., P. 56.

(١٢٦) مذكرات مصطفى كامل : ملف ٢٥ تلغراف رقم ٧٧ .

(127) Cromer : Op. Cit., P. 57 - 58.

(١٢٨) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

اذا لم يسحب انتقاداته وطلبا منه تقديم الثناء والاعتذار للضباط الانجليز (١٢٩) فاندهش الخديو لتطور المسألة عند هذا الحد ، وأحس أن الغرض من ذلك هو احراجه والضغط عليه فأراد المعارضة ولكن رياض باشا أوضح له خطورة الحالة وأن النتائج ستكون وخيمة العقبى اذا لم يقدم الترضية اللازمة (١٣٠) كما ذكر له أن قنصل فرنسا يرفض التدخل وينصح الخديو بالاستسلام (١٣١) .

والواقع أن قنصل فرنسا قد حاول الضغط على كرومر للحصول على شروط أيسر للخديو ولكن كرومر أصر على أنه لا يقبل غير الشروط التى أعلنها ، ولذلك اقتصر عمل القنصل الفرنسى وقنصل الروسيا على استخدام نفوذهما للتوفيق بين الطرفين (١٣٢) .

وتشاور الخديو فى الأمر مع بطرس غالى ونوبار باشا ثم أمر بأن يرسل رياض باشا برقية الى تجران باشا ناظر الخارجية لابلاغها الى كرومر ومضمونها أن الخديو قد اندهش من تطور الأمور وأنه يحتفظ لنفسه فى تقرير حقيقة الواقع فيما بعد ، ولما كان يهمه ألا يكون هناك أى شك فى رضائه لجيشه . فانه يكرر صدور الأمر للسردار للاعراب عن رضائه عن الجيش وعظيم الامتنان الذى شمله عند تفقده له (١٣٣) .

ولما وصلت كرومر هذه البرقية اعتبرها غير كافية للترضية

---

(١٢٩) محمد على علوبة : المخطوط السابق ، ص ٣٧ .

(١٣٠) جوليت آدم : انجلترا فى مصر — ترجمة على فهمى كامل ، ص ١٤٢ .

(١٣١) ذكر عباس الثانى أن ما ذكره رياض غير صحيح وأنه علم من المسيو دى ريفرسو أن رياض لم يقابله .
جريدة المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٤ مايو ١٩٥١ .

(132) Cromer : Op. Cit., P. 58.

(١٣٣) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

الكاملة وأصر على أن يصدر الخديو منشورا يعرب فيه عن رضائه عن أحوال الجيش فى الحدود وعن الضباط الانجليز الذين يقومون بتدريبه، وأن يبعد ماهر باشا عن الجيش كما أصر كرومر على أنه فى حالة اذا ما أراد الخديو تقديم أى شكوى ضد الضباط الانجليز فعليه أن يقدمها للقائد العام لجيش الاحتلال [١٣٤] .

وقد قابل رياض الخديو بالفيوم وأخبره بمطالب كرومر وبخطورة الموقف فأراد المعارضة ، ولمـــا علم أنه لم يسمح له بمواصلة السفر من الفيوم الى القاهرة الا اذا اعتذر [١٣٥] أصدر تصريحا بالفرنسية نصه : « قبل أن أترك الوجه القبلى وأعود الى مصر ، أريد ان اكرر ما أظهرته من العناية وحسن الالتفات للجيش عند زيارتى للحدود ، وأثبت حسن رضائى الذى أبديته لكم من جهـــة حسن حالة الجيش ونظامه ، وانى لمسرور من أن أهنىء الضباط الذين يرأسونه مصريين كانوا أو انجليز ؛ وانى لمرتاح أيضا بأن أقدر الخـــدمات التى أداها الضباط الانجليز لجيشى وأملنا أيها السردار أن تعلنوا أمرنا هذا على الضباط والعساكر »[١٣٦] .

ولما كان نص هـــذا التصريح قد نشر بالفرنسية فقد أصر كرومر على نشره بالعربية فأجيب الى طلبه [١٣٧] ولمـــا أصر كرومر على ابعاد ماهر باشا عن نظارة الحربية أجابه الخديو الى طلبه وعينه محافظـــا للقنـــال [١٣٨] .

وبذلك أذعن الخديو لمـــا طلبه كرومر وأصيب نفوذه من جـــراء

---

(١٣٤) نفســـه .

(١٣٥) محمد على علوبة : المخطوط السابق ، ص ٣٨ .

(١٣٦) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(١٣٧) نفســـه .

(138) La Réforme : 27 Janvier 1894.

ذلك بضربة قوية كما تصدعت هيبته فى نفوس أفـراد الجيش الذين أدركوا أن سلطة السردار أقوى من سلطة الخـديو ، وأن خضوعهم لسيطرة الانجليز هو السبيل الى الترقى ، وانتهى الأمر بأن أصـبح العساكر والضباط المصريين لا يعرفون رئيسا عسكريا لهم سوى كتشنر باشا ولا رئيسا سياسيا سوى اللورد كرومر [١٣٩] » .

هـذا هو الحادث المعروف بحادث الحدود ، ولكى يخفف الخديو من الصدمة ويقلل من وقع الحادث أمام الرأى العام الانجليزى ويقلل من هجوم الجرائد الانجليزية عليه أرسل تقرير سرى عن الحادث الى ملكة بريطانيا يدافع فيه عن نفسه فذكر أنه عندما استعرض الحاميات العسكرية فى أسوان وكورسكو ووادى حلفا أثنى عليها بصـفة عامة غير أنه انتقد ما وجده من اهمال فى الأورطتين الثانية والحادية عشر وأنه لم يقصد من وراء انتقاده سوى اظهار أخطاء مؤقتة لفتت نظره ووجهها دون أن يقصد من ذلك اهانة الضباط الانجليز [١٤٠] .

ويتضح لنـا من هـذا التقرير تراجع الخديو عن موقفه العدائى تجاه الاحتلال وخصوصا بعد أن رأى عدم جدية فرنسا فى مسـاندته وتهديد الانجليز له باحلال شقيقه الأصغر محمـد على مكانه [١٤١] . أما عن الأزمة فيتضح استغلال كرومر للحادث استغلالا يدل على تمتعه بمهارة سياسية واحاطة تامة بكل ما حوله من الظروف . كما يتضـح تضاؤل نفوذ الخديو واشتداد الجفاء بينه وبين رياض باشا الذى لم يقف معه باخلاص [١٤٢] لأن الموقف لم يكن بالخطورة التى صورها له وانه كان من الممكن أن تحل الأزمة بطريقة أفضل لو أن رياض وقف

---

(١٣٩) بشارة تقلا : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

(١٤٠) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(141) Chocheris, J. Op. Cit., P. 259.

(١٤٢) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣١٣ .

بجانبه ، ولم ينصحه بتقديم الاعتذار المهين [١٤٣] لذلك نقم عليه وحاول التخلص منه فى أقرب فرصة كما طلب من الصحف الموالية له مهاجمة رياض لتقصيره فى مساندة الخديو أثناء الحادث ولما أحس رياض بذلك قدم استقالته فى ١٤ أبريل ١٨٩٤ ، وقبل أن يصدر الخديو قراره فى الأمر اتصل بكرومر واستشاره محافظة على وعده للحكومة البريطانية بشأن من سيخلف رياض فأشار عليه بتعيين نوبار باشا .

وزارة نوبار واطلاق يد الانجليز فى الادارة المصرية :

اتضح للخديو بعد حادث الحدود أنه دفع الثمن غاليا فى مناوءته للانجليز فقد فقد فى السنوات الثلاث التى جلس فيها على العرش من السمعة والهيبة والنفوذ الكثير ، وأن مقاومته العلنية للاحتلال سببت له أضرارا قد تودى بعرشه لذلك سلك طريق المقاومة السرية للاحتلال فشجع العناصر المعارضة له سرا بينما أظهر الوفاق مع الانجليز علنا .

وقد تألفت وزارة نوبار فى ١٦ أبريل ١٨٩٤ ، وكان من المتوقع أن تضع هذه الوزارة حدا للعلاقات العدائية بين الخديو وكرومر ولكن كل منهما لم يكن لديه الاستعداد بقبول هذه السياسة ، وكان الخديو يعتقد أن نوبار سيقاوم سيطرة الانجليز على الادارة مثلما قاومها فى وزارته السابقة [١٤٤] ، ولكن ما حدث هو أن نوبار قد اتبع عكس ذلك فسار على سياسة الخضوع الكامل للاحتلال حيث كان قد فقد الكثير من قدرته على المقاومة اذ كان فى السبعين من عمره ويتوقع أن تكون هذه آخر وزارة له ، يضاف الى ذلك أن المنظمات الأرمينية المطالبة بالاستقلال كانت تجد التأييد من انجلترا ، كما أن انجلترا وافقت

---

(١٤٣) جريدة المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٥ مايو ١٩٥١ .

(١٤٤) تعتبر هذه الوزارة هى الثالثة بالنسبة لنوبار فقد كانت الأولى فى عهد الخديو اسماعيل والثانية فى الفترة من ١٨٨٤ — ١٨٨٨ .

اتفق على أن يكون تعيينه مؤقتـا وألا تكون له أى سلطات تنفيذية ، وتكون اتصالاته بمختلف الادارات عن طريق الوزير .

ولمـا قدم نوبار المشروع الى الخديو للموافقة اعترض عليه فهدد نوبار بالاستقالة ، وتحت ضغط كرومر قبل الخـديو المشروع وتحقق للانجليز السيطرة على وزارة الداخلية مما أدى الى استياء الخـديو من نوبار .

وقد وصلت العلاقة بين الخديو ونوبار الى درجـة الأزمة حين مرض الخديو اسماعيل بالسرطان وأرسل الى حفيده عباس الثانى لكى يأذن له بالعـودة الى مصر مراعاة لصحته وشيخوخته [١٤٩] حيث أن هواءها يوافقه ولأن الأطباء رأوا ضرورة مغادرته للآستانة [١٥٠] .

ولمـا كان الخديو يميل الى تحقيق هـذه الرغبة خصوصا وأنه كان يحب جده حبا شديدا [١٥١] تباحث مع النظار فى ذلك ثلاث مرات ولكن مجلس النظار برياسة نوبار رفض فكرة عودة الحديو السـابق اسماعيل الى مصر حتى لا يسبب ذلك أزمات سياسية مع الانجليز [١٥٢] ومع الدول التى اشتركت فى خلعه ، ولمـا أصر الخديو على طلبه أصر النظار على موقفهم ، ولمحوا بأنهم يفضـاون الاسـتقالة اذا لم يحترم الخديو رأيهم ؛ فغضب عباس على نوبار وحاول التخلص منه بمضاعفة الحملات عليه فى الصحف ، ولكن كرومر كان يرى أن أى تغيير وزارى فى هـذه الظروف يجعل المصريين يدركون أنهم لا يستطيعون البقـاء فى مناصبهم اذا لم يتعاونوا مع الخديو ضد الاحتلال فطلب التأييد من

---

(١٤٩) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣١٣ ـ ٣١٤ .

(١٥٠) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(١٥١) مذكرات الأميرة جويدان زوجة الخديو عباس الثانى . القاهرة الهلال العدد ٣٥٦ فى اغسطس ١٩٨٠ ، ص ٨٢ .

(152) La Réforme : 14 Février 1895.

الحكومة البريطانية فأبلغته بأنهـا لا ترى داعيا لأى تغيير وزارى فى الوقت الحالى ، وأنه لو حدث ذلك ستعتبره موجها ضدها ، وعلى الخديو أن يتحمل النتائج المترتبة على ذلك .

ولما كان التهديد بالعزل واضحا فى تلك اللهجة أنكر الخديو رغبته فى تغيير الوزارة وكانت هـذه هى المرة الثالثة التى ينهار فيها الخديو أمام كرومر . المرة الأولى فى الأزمة الوزارية ١٨٩٣ والثانية فى حادث الحدود ١٨٩٤ وقد ترتب على هـذه الأزمة نتيجتين هما :

١ — ضرورة أن يتبع الخديو نصيحة وزرائه .

٢ — استشارة الخديو لكرومر قبل عزل وزرائه [١٥٣] .

وقد استغل كرومر ذلك الوضع وطالب بتشكيل محكمة مخصوصة لمحاكمة من يعتدى على أفراد جيش الاحتلال فأرسل الى الحكومة المصرية ما خلاصته « أن القانون الدولى يخول لجيش الاحتلال اقامة الأحكام العرفية على جميع الذين فى مصر من وطنيين وأجانب لمحاكمة المعتدين على جنودنا لذلك فانى أرى اقامة محكمة مخصوصة ، وأطلب تشكيلها من خمسة أعضاء ثلاثة انجليزووطنيين اثنين برياسة السيرسكوت[١٥٤] » وعقب ذلك صدر قانون فى ٢٥ فبراير ١٨٩٥ بتشكيل هذه المحكمة لتحكم فيما يقع من الأهالى من الجنايات والجنح على عساكر أو ضباط جيش الاحتلال أو على البحرية الانجليزية [١٥٥] .

---

(١٥٣) المسدى : المرجع السابق .

(١٥٤) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(١٥٥) انتهز كرومر فرصة اشتباك ثلاثة من البحارة الانجليز مع بعض الوطنيين فهول من شأن هذه المشاجرة البسيطة واعتبرها أثرا من آثار التعصب الدينى ، وعقد النية على تشكيل محكمة عسكرية لمحاكمة المعتدين .

احمد شفيق : المرجع السابق : ص ١٨٧ .

وقد أحدث ظهور هـذا القانون ضجة كبيرة فى الأوساط الوطنيه حيث يعتبر انتهاكا لسلطة القضاء المصرى وتثبيتا لأقدام الاحتلال فهاجمه مصطفى كامل فى مقال له تحت عنوان « صواعق الاحتلال »[١٥٦] كما أرسل الشيخ على يوسف بعريضة الى الخديو يطلب فيها الغاء القانون الصادر بتشكيل هذه المحكمة « حتى يزول هـذا العيب الكبير المشوه لنظام القضاء المصرى » [١٥٧] ولكى يصبح كرومر الحاكم بأمره فى مصر لم يبق أمامه سوى تعيين وزارة أكثر خضوعا للاحتلال ، وقد ساعده على ذلك الجفاء القائم بين الخديو ونوبار ، وتدهور صحة نوبار بعد أن أصيب بكسر فى قدمه [١٥٨] .

وقد قدم نوبار استقالته فى ١١ نوفمبر ١٨٩٥ بعـد استشارته لكرومر فى ذلك فخلفه مصطفى باشا فهمى وكانت عودته لرئاسة الوزارة دليلاً على قوة نفوذ كرومر لأن مصطفى فهمى كان صديقا وفيا للانجليز. وكانت بعض الصحف تسميه « سير مصطفى فهمى » [١٥٩] .

وقد ألف مصطفى فهمى وزارته الجديدة فى ١٢ نوفمبر ١٨٩٥ دون تعديل فى الوزراء الذين كانوا فى وزارة نوبار [١٦٠] وتعتبر هذه الوزارة وزارة استسلام وخضوع للاحتلال وقد ظلت فى الحـكم حتى نوفمبر ١٩٠٨ أى أنها دامت ثلاثة عشر عاما لذلك يطلق عليها بعض المؤرخين اسم الوزارة الطويلة لأنها أطول الوزارات عمرا فى تاريخ مصر الحديث

---

(١٥٦) الاهرام : فى ٤ مارس ١٨٩٥ .

(١٥٧) محافظ عابدين : ديوان خديو — محفظة رقم ١٢ التماسات جماعية .

(١٥٨) بينما كان نوبار يتفقد اطيانه فى شبرا وقع وانكسرت رجله. نجيب مخلوف : المرجع السابق ؛ ص ١٨٥ .

(159) l'Echo d'orient : 14 November 1895.

(١٦٠) أحمد شفيق : المرجـع السـابق ج ٢ — القسم الاول ، ص ١٧٩ — ١٨٠ .

وفى عهد هـذه الوزارة تمكن كرومر من تعيين نائب عمومى انجليزى وأصبحت سلطة النيابة وهيئتها تحت تصرفه كما صدر فى عهد هـذه الوزارة مرسوم بتأسيس البنك الأهلى (١٦١) .

ومما سبق يتضح أن السياسة التى اتبعها كرومر تجاه الخـديو أدت الى فقد الخديو للكثير من سلطاته وأوضحت له بأنه لا جدوى من المقاومة العلنية للانجليز فقد خسر الكثير مع الانجليز أثناء مقاومته لهم جهارا فى الأزمة الوزارية وحادث الحدود .

ولذلك اتبع الخديو سياسة الوفاق مع الاحتـلال علنا وتشجيع الحركات المناوئة للاحتلال سرا .

---

(١٦١) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

الفصل الثانى

الخديو عباس الثانى وبدايات اتصالاته بالحركة الوطنية

(أ) علاقة الخديو عباس الثانى بالحركة الوطنية ٠

(ب) الخديو والنديم ٠

(جـ) الخديو والشيخ محمد عبده ٠

(د) نشاط الخديو السرى ضد الاحتلال ٠

(أ) علاقة الخديو عباس الثانى بالحركة الوطنية :

باعتلاء عباس الثانى أريكة الخديوية بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحركة الوطنية فى مصر ، فقد فرح المصريون بالخديو الجديد لأنهم يبغضون والده الذى استعان بالانجليز فى القضاء على الثورة العرابية ، وتوسموا فى أن يقاوم الخديو الشاب نفوذ الانجليز ، ويخلص البلاد من الاحتلال الذى جثم على صدر البلاد حوالى عشر سنوات[(١)]. وخصوصا بعد أن سمعوا منه أنه لم يكن مستريحا لسياسة والده مع المحتلين [(٢)] ، فأقبلوا عليه ، وأبدوا استعدادهم لوضع أيديهم فى يده . وقد ساء الخديو الشاب أن يرى الانجليز مسيطرين على كل مرافق البلاد الحيوية دونه ، فاعتزم وضع حد لهذه الحالة حتى لا يكون دمية فى يد الانجليز ، ورسم لنفسه سياسة مقاومة السيطرة البريطانية فى أوائل حكمه بقصد أن يكون له يد فى ادارة الحكومة ، مما ضايق المعتمد البريطانى كرومر ، وسبب متاعب مزعجة للانجليز [(٣)] ، وجعل الحكومة الانجليزية تلوح بالنصح للخديو ليسير على سياسة والده توفيق . ويستمع الى نصائح اللورد كرومر اذا أراد الاحتفاظ بعرشه [(٤)] ، ولكن عباس اتبع عكس ذلك . ومضى فى مقاومة سلطات الاحتلال ، وأخذ يتقرب الى الشعب ، واستقبل طوائفه كل شهر كما أفرج عن بعض مسجونى الثورة العرابية ومنهم عبد الله النديم [(٥)] وعين بعضهم فى

---

(١) محمد على علوبة : ذكريات اجتماعية وسياسية ، ص ٩ .

(٢) احمد شفيق : اعمالى بعد مذكراتى ، ص ٣٢٧ .

(3) H. D. Traill : op. cit., p. 281.

(4) The Parliamentary Debates. for Session 1893 Vol. XIII p. 115.

(٥) الوقائع المصرية : فى ٣ فبراير ١٨٩٢ تحت عنوان « عفو كريم صادر لنظارة الداخلية بتاريخ ٣ رجب ١٣٠٩ علما بأن الحكومة المصرية لم توافق على عودة المنفيين بسيلان .

Parliamentary Debates Vol. V 1892 p. 441.

وظائف خارج الجيش بفروع النظارات والمأموريات [٦] وخصوصا فى نظارتى الداخلية والمــالية [٧] ، وأعاد اليهم نياشينهم [٨] ، ومنحيم حق التمتع بجميع الحقوق المدنية .

(ب) الخديو والنديم :

عاد النديم الى مصر فى ٩ مايو ١٨٩٢ بعد اختفاء طويل دام حوالى عشر سنوات ، وظل مترددا بين القاهرة والاسكندرية أكثر من شــهر ، فوجد أن تغيرا كبيرا قد حل بالبلاد [٩] ، اذ تغلغل الاستعمار فى جميع مرافقها ، ووطد للانجليز أركان حكمهم ، وكأن الأمر قد استتب لهم تماما ، كما خيم على الشعب المصرى روح الهزيمة والاستسلام بعد أن كان يتأجج بالوطنيـــة ، فقد فترت الهمم زمنا ، وامتلأت قلوب الناس رهبة من السياسة وهيبة من الاشتغال بها مما جعل سلطات الاحتــلال تعتقد أن سكوت المصريين علامة على رضــا أهل البــلاد عن الادارة البريطانية [١٠] ، وكان بوسع النديم أن يكتفى بما بذله من تضحيات فى سبيل مصر ، وأن يجنح الى مسالمة الاحتلال ويخلد الى الراحة بعد المتاعب والأهوال التى تعرض لهــا أثناء فترة اختفــائه [١١] ، ولكن وطنيته أبت عليه ذلك ، وآثر استئناف الجهاد ، وقد عبر عن ذلك بقوله

---

(٦) دار الوثائق : معية سنية عربى ــ مجموعة ٣٦ سجل ٤٥٣٨٥ ص ١ تحت بند السردارية بتاريخ ٧ مارس ١٨٩٣ .

(٧) دار الوثائق : ديوان خديو عربى رقم ١٨ ــ المكاتبات الرسمية بتلم عرضحالات ديوان الخديو تحت بند السردارية فى ١٧ أغسطس ١٨٩٣

(٨) ديوان معية سنية عربى ــ صادر افادات وتحريرات ــ مجموعة ٤٢ مسلسل ١٣٤ بتاريخ أول ديسمبر ١٨٩٢ ، مذكرات محمد فريد القسم الأول ــ الجزء الثالث كراسة ١٦ ص ٣ .

(٩) الأستاذ : العــدد الثانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ص ٢٨٨ تحت عنوان « ثناء وتهنئة » .

(10) Elgood : Egypt and the Army p. 5.

(١١) الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٥١٧

« ودينى الذى فطرت عليه ومذهبى الذى أميل اليه هو تحرير العباد واصلاح البلاد واظهار مجد الدين [١٢] ».

وأخذ النديم يدرس أحوال البلاد ليعرف ما فاته من شئون مصر مدة غيابه [١٣] ، ثم تحمل مسئولية ايقاظ الشعور الوطنى فى الشعب ، وبث روح المقاومة للاستعمار بين طبقاته ، فحاول اعادة الثقة الى الشعب الذى اجتمعت عليه الأحداث ، لتغير من نفسيته حيث انتشرت روح النفاق والنفعية ، ولما كانت الظروف قاسية والعيون تترقب للنديم ، والشرط الذى صحب العفو عنه يحرم العمل فى السياسة ولا مجال أمامه للخطابة . فلم يكن أمامه سوى الصحافة ليصل عن طريقها الى الشعب .

وقد اتبع النديم أسلوب العمل السرى فى دعوته أول الأمر نظرا لتربص الاحتلال به ، وتحريمه للاجتماعات العامة فصار يجمع الشباب المثقف حوله ، وكان على رأس هؤلاء مصطفى كامل الذى تتلمذ عليه وقرأ مؤلفاته وبفضل ذلك استطاع التعرف على حقيقة التيار السياسى فى البلاد ، كما عرف منه الأخطاء التى وقعت فيها مصر وأدت الى ضياعها .

وقد أفادت هذه المعلومات مصطفى كامل فأخذ يتعرف على مواطن الخطأ وأسباب اخفاق الثورة ليتجنبها ، وتبين مصطفى كامل أن خداع السياسة الانجليزية كان السبب الرئيسى فى ضرب الثورة العرابية [١٤] .

---

(١٢) د. محمد أحمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية ص ٩٤ رسالة من النديم الى عرابى بسيلان .

(١٣) احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث . القاهرة — النهضة المصرية ١٩٤٨ ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥ .

(١٤) جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ج ١ ص ٢٩٥ .

ولما كان الخديو عباس الثانى يبحث عن مؤازرة الوطنيين لمواقفه أمام تسلط المعتمد البريطانى فقد اتصل بالنديم وبمجموعة الشبان الذين تعلموا معنى الوطنية على يديه ، وتوثقت عرى الصداقة بينهم وبينه رغم محاولات كرومر اجتذاب النديم الى الجانب المعادى للخديو .

وقد تضايق أعضاء الأسرة الخديوية من تقريب عباس الثانى للنديم الذى هاجمهم أثناء الثورة العرابية ، ونعت الخديو توفيق بأقذع النعوت وعمل على تقويض ملكهم [١٥] .

وعبرت الحركة الوطنية عن نفسها فى ذلك الوقت عن طريق الصحافة فاستطاع النديم اصدار مجلة أسبوعية تحت اسم الأستاذ بهدفه الاصلاح الاجتماعى ، وكتب النديم فيها مقالاته التى تدعو الى ايقاظ الهمم فوجد نفوس الناس مستعدة لتقبلها ، وذاع صيت مجلة الأستاذ وانتشرت انتشارا فاق غيرها من الصحف .

وعلى كل حال فان النديم لم يتعرض فى بداية كتاباته فى صحيفة الأستاذ للاحتلال علانية بل كان ذلك من طرف خفى ، ولما وقعت أزمة الانقلاب الوزارى فى يناير ١٨٩٣ كانت هذه الحادثة بمثابة الحد الفاصل بين توخى النديم الحذر فى كتاباته وبين كشفه النقاب عن معارضته للاحتلال فقام يستنهض الهمم ، ويحض على مؤازرة الخديو ويثير العواطف القومية ضد الاحتلال [١٦] ، وبدا ذلك واضحا فى مقاله الصادر فى ١٧ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان « لو كنم مثلنا لفعلتم فعلنا » حيث بين فيه تشجيع الانجليز على نشر دور القمار والخمر والدعارة

---

(١٥) ولى الدين يكن : المعلوم والمجهول ص ٣٠ ، ومجلة آخر ساعة العدد ١١٩١ فى ٢١ أغسطس ١٩٥٧ مقال للأستاذ عباس العقاد تحت عنوان « حياة قلم » .

(16) Tignor (Robert) Modernization and Pritish Colonial Rule in Egypt p. 153.

فى البلاد ، ووسائل الدول الأوربية فى اضعاف الشرق ، ووضع ما تفعله الحكومات الغربية لترقية شعوبها وما تنشره فى البلاد الشرقية من انحلال ، ودعا النديم الشعب فى هذا المقال الى الالتفاف حول الخديو والمحافظة على حقوقه الشرعية ، كما دعا الى الوحدة القومية وهاجم الشرقيين الذين يمالئون الاحتلال طمعا فى المناصب ، وندد بافتراءات الأوربيين فى التقليل من شأن الشرقيين لتبرير أسباب احتلالهم لمصر [١٧] . وقد استمر النديم فى مهاجمته للانجليز فى مجلة الأستاذ معبرا فى مقالاته عما يدور من أزمات بين الخديو وكرومر ، فكتب النديم مقالا بعنوان « هذه يدى فى يد من أضعها » طالب فيه الأهالى بالوقوف الى جانب الخديو ووضع أيديهم فى يده موضحا أنه من الخير لمن يريد وضع يده فى يد الاحتلال أن يقطعها بدل من أن يضعها على هذا المنوال ، كما هاجم سياسة اذلال انجلترا لمصر واخلافها لوعودها [١٨] وفى مقال آخر للنديم بعنوان « الحقوق المقدسة » طالب المصريين جميعا بالخضوع للخديو والاعتراف بسلطته عليهم [١٩] وتحدث عن الأزمة الوزارية ، وناصر الخديو فى موقفه ، وهاجم موقف كرومر من الأزمة ، ثم ندد بالانجليز ، فذكر أنهم يعيثون فى البلاد فسادا ويجتهدون فى التقليل من ثروتها ، وابعاد أبنائها عن الأعمال والوظائف العالية ، كما أوضح أن البلاد « فى حاجة لهجر باب الأجنبى وملازمة أبواب الحكام الوطنيين » [٢٠] .

وعلى كل حال فقد كانت مقالات النديم بالأستاذ صرخة مدوية

---

(١٧) الأستاذ : الجزء الثانى والعشرون من السنة الأولى فى ١٧ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٠٧ — ٥٣٣ .

(١٨) الأستاذ : العدد التاسع والعشرون فى ٧ مارس ١٨٩٣ ، ص ٦٩٥ .

(١٩) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٠ .

(٢٠) الأستاذ : العدد التاسع والعشرون ، ص ٦٩٥ — ٦٩٨ .

أيقظ بها الشعور الوطنى لدى المصريين ، وطالبهم بمناصرة الخديو الحاكم الشرعى للبلاد .

وبذلك استطاع النديم عن طريق مجلة الأستاذ اشعال نار الوطنية المصرية من جديد ، وقد فجرت الأزمة الوزارية ما يجيش بصدره من كراهية نحو الاحتلال فخرجت المظاهرات لأول مرة بعد وقوع مصر فى قبضة الاحتلال تساند موقف الخديو وتعلن كراهيتها للاحتلال ، كما هرع الناس الى سراى عابدين يهنئون الخديو على ثباته فى موقفه (٢١) ، وخرج الشباب وعلى رأسهم مصطفى كامل بمظاهرات هاجمت جريدة المقطم وأحرقتها لانحيازها لأعداء الوطن والخديو مما دفع السلطات الانجليزية الى التهديد باستعمال القوة بحجة المحافظة على الأمن العام (٢٢) ، والى التلويح للخديو بضرورة اتباع سياسة والده حتى يستطيع المحافظة على عرشه (٢٣) .

ولكن الخديو لم يستمع اليهم ، بل تقرب الى الشعب وأيد الحركات المناوئة للاحتلال ، مما دفع النديم الى تأييده والذود عنه ، ومطالبة المصريين جميعا بالخضوع له والاعتراف بسيادته عليهم ، كما أشاد به على صفحات مجلته (٢٤) ، وحث الأمة على التمسك بمحبته (٢٥) ، وكال له المدح ، ووجه تلاميذه الى الالتفاف حوله وتأييد سياسته .

---

(٢١) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون فى ٢٤ ينـاير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٢ تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(٢٢) الأستاذ : العدد الرابع والعشرون فى ٣١ ينـاير ١٨٩٣ ، ص ٥٥٥ تحت عنوان « لا دليل على دعوى تهديد الأمن العام » .

(23) The Parliamentary Debates. for Session 1893 Vol. XIII p. 115.

(٢٤) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون ص ٥٤٥ بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(٢٥) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون ص ٩٢٦ بتاريخ ٢٣ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان « أعداء الحضرة الخديوية » .

ثم هاجم المقطم التى اتخذت جانب العداء من الخديو[٢٦] ، فقال « والأجراء التزموا فى جريدتهم اليومية تنفير الأمة ، وتحسين الاعتراف بسلطة الغير والتلويح بما يشف عن سوء مقاصدهم فى الجانب الخديوى ثم خرجوا عليه خروج البغاة ٠٠ فهم أعداء المسند الخديوى الجليل وان كانوا لا يضرونه بشىء ، فان نباح الكلاب لا يؤذى القمر فى مداره[٢٧] » ٠

وقد اتصل الخديو بالنديم ، وتوثقت أواصر الود بينهما فزاد الأمل فى ضرورة ايقاظ الأمة من ثباتها ، ولما أحس أتباع كرومر بخطورة اتصال النديم بالخديو حاولوا اجتذابه بالمنصب والجاه نظير مهادنة الاحتلال ، ولكن النديم واصل كفاحه السياسى من أجل الدفاع عن حقوق بلاده ، ونتيجة لذلك ولخشية انجلترا من تدهور الموقف فى غير صالحها قامت بزيادة عدد قواتها فى مصر[٢٨] ، كما قام كرومر بمحاولات للتقرب من الشعب باقامة الحفلات والادعاء بأن الانجليز لا يرغبون سوى مصلحة الشعب ، وأن الخديو لو انفرد بالأمر سيعود الى دكتاتورية أجداده ٠

وهكذا أثبت الاحتلال الانجليزى لمصر التناقض الواضح بين أقواله وأفعاله اذ كانت انجلترا تردد دائما أنها ما جاءت الى مصر الا للمحافظة على حقوق الخديو ، وهاهى الآن تحرمه من سلطاته ٠

ولما أحس كرومر بخطورة الموقف وقوة مكانة النديم فى نفوس الناس[٢٩] طالب بنفى النديم خارج البلاد وأصر على موقفه حتى خرج النديم من مصر الى يافا ٠

---

(٢٦) الأستاذ : العدد السابع والثلاثون ص ٨٨٩ فى ٩ مايو ١٨٩٣

(٢٧) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون ص ٩٢٦ بتاريخ ٢٣ مايو ١٨٩٣ تحت عنوان « أعداء الحضرة الخديوية الفخيمة » .

(28) The Parliamentary Debates. for Session 1893 Vol. XIII p. 2 - 3.

(٢٩) احمد تيمور : ترجم اعيان ، ص ٢٦ ٠

(جـ) الخديو والشيخ محمد عبده :

ازداد تقرب الخديو الى الأمة المصرية بعد حادث الحدود وفشله في السيطرة على الجيش فأخذ يدعو اليه العلماء والمثقفين من أبناء البلاد أمثال الشيخ محمد عبده والشيخ حسونة النواوى شيخ الجامع الأزهر وغيرهما ، وكان يسمح لهم بعقد الجلسات في قصره أول الأمر [٣٠] .

وقد اتصل الخديو بالشيخ محمد عبده عن طريق أحد أعوانه وهو ماهر باشا [٣١] ، وتوطدت العلاقات بينهما لدرجة أن الشيخ كان دائم الاتصال بالخديو ، يزوره في قصر عابدين مقر العمل الرسمى تارة ، ويدعى لزيارته أحيانا في قصرى القبة والمنتزه ، حيث يقضى الخديو معظم أوقاته في أعماله غير الرسمية [٣٢] ، وفى احدى المقابلات بينهما اشتكى الخديو للشيخ محمد عبده من استيلاء الانجليز على كافة أعمال الحكومة ، ووقوفهم أمام ما يرجوه للبلاد من الاصلاح ، فانتهز الشيخ محمد عبده هذه الفرصة ، واقترح على الخديو العمل على اصلاح الأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية على أساس أن هذه المصالح الثلاث اسلامية محضة لا شأن للانجليز بها ، كما أن اصلاحها يساعد على اصلاح التربية والتعليم في البلاد ، كما يساعد على اطلاح المساجد واستقرار أمور العائلات ، وأنه لا يمكن اصلاح الأمة قبل أن يتم ذلك [٣٣] ، ولما اقتنع الخديو برأى الشيخ محمد عبده أشار عليه

---

(٣٠) كف الخديو عن عقد هذا الاجتماع بقصره بعد أن وصل الى علم كرومر أمر هذه الاجتماعات .

جريدة المصرى : مذكرات عباس الثانى في ٦ مايو ١٩٥١ .

(٣١) احمد امين : المرجع السابق ، ص ٣١٦ .

(٣٢) عباس العقاد : محمد عبده ، ص ٢٢٣ .

(٣٣) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده الجزء الأول . القاهرة — مطبعة المنار — الطبعة الأولى ١٣٥٠ هـ . ص ٤٢٧ .

أن يبدأ باصلاح الأزهر ، واتفقا على أن يقدم الشيخ محمد عبده مذكرة الى الخديو تتضمن ما يراه من الاصلاح المطلوب ، وكتب الشيخ المذكرة ، وانتهى البحث فيها الى تأليف مجلس لادارة الأزهر كما عين الشيخ حسونة النواوى وكيلا للأزهر ، على أن يقوم بمساعدة الشيخ محمد عبده فى الاصلاح المنشود .

وكانت أول خطوة لاصلاح الأزهر زيادة رواتب شيوخه ، ووضع قانون للمرتبات فى الأزهر ، ليكون « لكل عالم حق معلوم يتناوله فى وقته من غير تزلف الى شيخ الجامع أو غيره [٣٤] » ، كما وضع قانونا لكساوى التشريف ومرتباتها ، وكان الرأى فيها من قبل لشيخ الجامع يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء ، فصارت تعطى لمستحقيها ، فسر الشيوخ من ذلك ، كما وجه الشيخ محمد عبده عنايته الى اصلاح نظام التدريس والامتحانات ، والى انشاء دار الكتب الأزهرية ، ثم وضع نظاما لتوزيع الجرايات ، وعمل على الاهتمام بصحة طلاب الأزهر ، فسعى الى تعيين طبيب ، وانشاء صيدلية فى الجامع ، وتجديد مبان صحية فى الأروقة [٣٥] .

تلك كانت قصة الملتقى التاريخى بين الشيخ محمد عبده والخديو عباس الثانى وظلت العلاقات بينهما حسنة فى أول الأمر ، فكان الخديو يستعين برأى الشيخ كلما تطلبت الأمور ذلك ، وعندما تعقدت الأمور بين الخديو والانجليز حول تعيين قاض مصرى محل القاضى التركى أخذ الخديو رأى الشيخ محمد عبده ، وعندما تسببت مسألة ليون

---

(٣٤) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ .

(٣٥) نفسه : ص ٤٢٩ .

فهمى [٣٦] فى توتر العلاقة بين الخديو والاحتلال وخصوصا بعد محاولة كرومر تفتيش قصر الخديو استشار الخديو الشيخ محمد عبده فيما يجب فعله .

وهكذا ظلت العلاقة طيبة بين الخديو والشيخ محمد عبده لفترة خصوصا وأن الخديو أراد أن ينتفع بقدرة الشيخ وشجاعته ومكانته الدينية فى الوقوف أمام سلطات الاحتلال ، وتوثقت العلاقة بينهما لدرجة أن الشيخ محمد عبده كان يؤم صلاة الجمعة فى مسجد الخديو أحيانا دون أن يذكر اسم السلطان أو يدعو له فى الخطبة وذلك حين كانت العلاقة بين الخديو والسلطان متوترة [٣٧] .

ولم يقدر للعلاقة الحسنة بين الخديو والشيخ أن تستمر فقد أخذت هذه العلاقة تسوء تدريجيا وقد أوضح أحمد شفيق السبب فى ذلك فقال « ان العلاقات بين الخديو والشيخ محمد عبده ظلت على أحسن حال ولكن حدث يوم ٨ نوفمبر أن قابل مصطفى كامل والشيخ على يوسف سمو الخديو ، ومكثا عنده مدة كبيرة : وبعد أيام بلغنى أن الخديو ينقم على الشيخ محمد بسبب ما قدماه فى حقه من الوشايات [٣٨] » .

---

(٣٦) اتهم ليون فهمى بتزوير اختام باسم رئيس كتاب السلطان فقبض عليه الخديو وحبسه ، وتدخل كرومر فى الأمر وطلب من الخديو تسليم ليون فهمى ولما انكر الخديو معرفة مكانه اراد كرومر تفتيش قصر الخديو ، فاستشار الخديو الشيخ محمد عبده فى الأمر فأشار عليه ان يتأكد اولا من خلو القصر ويخت المحروسة من ليون فهمى ثم يكتب بلاغا الى معتمدى الدول المعترفين باستقلال مصر بأن كرومر يريد الاعتداء على حرمات قصره ، وان يبلغ فى نفس الوقت كرومر بأنه سيفعل ذلك اذا اجترأ على تنفيذ أمر التفتيش ، ولما فعل الخديو ذلك تراجع الانجليز عن تفتيش القصر .
أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ .

(٣٧) المسدى : المرجع السابق .

(٣٨) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٤١٣ .

والواضح أن هناك أسبابا أخرى غير ذلك نذكر منها :

١ ـ أن بعض علماء الأزهر اتصلوا بالخديو ، وشككوه فيما كان أقنعه به الشيخ محمد عبده من فساد التعليم فى الأزهر وفساد أخلاق رجال العلم والدين ، والحاجة الى تجديد التربية والتعليم وأوضحوا له أن الشيخ كان مبالغا فى وصف سوء حالهم [٣٩] .

٢ ـ كان للشيخ محمد عبده شخصية قوية تجلت فى علاقته مع الخديو حتى قال عنه « أنه يدخل عليه كأنه فرعون [٤٠] » .

٣ ـ اتهام البعض للشيخ محمد عبده أنه يكره أسرة محمد على « ويؤلف عصبية فى مصر لنزع الامارة منهم وجعلها جمهورية [٤١] » .

٤ ـ علاقة الشيخ محمد عبده الودية مع الانجليز وتعدد اتصالاته بهم لدرجة أن كرومر كان يأخذ رأيه فى بعض الأمور وقد صور البعض للخديو هذه العلاقة بأنها تأييد للاحتلال الانجليزى لمصر .

٥ ـ اتضاح ميول الخديو الاستبدادية لدى الشيخ محمد عبده الذى بدأ يحس به عمليا بعد أن أصبح عضوا فى مجلس ادارة الأزهر ورأى محاولات الخديو لاجتذاب العلماء بوسائل لم يوافق عليها الشيخ .

وقد بدأت الاحتكاكات بين الخديو والشيخ عندما خلا مكان الكسوة التشريفية فى الأزهر بموت أحد كبار العلماء ، فطلب الخديو من شيخ الأزهر منح هذه الكسوة لمفتى المعية الشيخ محمد راشد [٤٢].

---

(٣٩) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٥٧٠ .
(٤٠) نفسه : ص ٥٧٣ .
(٤١) نفسه : ص ٥٧٤ .
(٤٢) الشيخ محمد راشد المالكى من علماء الأزهر : عمل خطيبا بمسجد حلوان ولما توفى الشيخ محمد البسيونى مفتى الديوان الخديو عين الشيخ محمد راشد فى هذه الوظيفة بماهية شهرية ثمانية عشر جنيها.
دار الوثائق : معية سنية عربى رقم ٤٥٣٨٣ سجل ٣٨١ نمرة ٢٤٢ بتاريخ ٧ نوفمبر ١٨٩٢ .

ولما كان هـذا لا يتفق واللائحة اعترض الشيخ محمد عبده على الأمر وطلب اعطاء الكسوة للمستحق مما أدى الى استياء الخديو .

ولما اجتمع العلماء عند الخديو فى مقابلة التشريفات الشهرية قال الخديو لشيخ الأزهر بصوت الاستياء ألم يصلك أمرى ، بتوجيه الكسوة الى الشيخ محمد راشد ؟ فتلعثم شيخ الأزهر فى الاعتذار ، فنهض بالجواب الشيخ محمد عبده ؛ وقال بصوت جهورى ان الذى قرره مجلس ادارة الأزهر يعتبر تنفيذا للأوامر الخديوية ، أما الأوامر الشفوية فلا نعرفها ، « واذا شاء أفندينا أن تكون كساوى التشريف العلمية بمقتضى ارادته الشخصية فليصدر بذلك قانونا آخر [٤٣] » .

ولما سمع الخديو جواب الشيخ محمد عبده الذى يحمل معنى الحق والعدل غضب ، ووقف ايذانا للحاضرين بالانصراف فانصرفوا ، وقد أعقب هـذه الحادثة وقوف الشيخ محمد عبده ضد رغبة الخديو فى استغلال أموال الأوقاف . فبعد الهزائم القوية التى لقنها كرومر للخديو ، بدأ الخديو يوجه أنظاره الى جمع الأموال من كل مورد مفتوح أمامه ، ولما كانت أهم هـذه الموارد هى خزائن الأوقاف ، ووصايا التركات ، والتى بحكم منصب الشيخ محمد عبده فى الافتاء يكون له سلطة اقرار الأموال التى تصرف من هذه الأوقاف ، فقد حدث الصدام بينهما خصوصا وأن الخديو كان ينفق من هـذه الأموال على أوقاف أسرته ، ومزارعه الخاصة .

ولما عرض الخديو على مجلس الأوقاف الأعلى فى نوفمبر ١٩٠٣ استبدال بعض أراضى الأوقاف المعدة للبناء فى الجيزة بمزرعة من مزارعه الخاصة بتفتيش مشتهر على أن يحصل فى نظير ذلك على ثلاثين ألف جنيه كفرق للاستبدال ، على أساس أن ريع المزرعة أكثر من ريع الأرض ، اعترض الشيخ محمد عبده على أساس أن الأنفع

---

(٤٣) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٥٧٣ .

للوقف فى مثل هـذه الأمور انما يعرف بتقدير الثمن لا بالغلة السنوية، وطلب تعيين لجنة برئاسة باشمهندس الأوقاف لتقدير ثمن كل من الأرض والمزرعة وقد وافق حسن باشا عاصم نائب الخديو فى مجلس الأوقاف [٤٤] ، وتقرر تأليف لجنة لفحص الموضوع ، وبعد الفحص تقرر بأن الذى يدفع الفرق هو الخديو وليس الأوقاف ، وتحدد أن يدفع الخديو عشرين ألف جنيه فوق المزرعة واضطر الخديو الى الموافقة على ما قررته اللجنة .

ونتيجة لذلك ازداد التوتر بين الخديو والشيخ فأراد عزله من منصب الافتاء ، ولما كان هـذا المنصب بعيدا عن سيطرة الحكومة رأى الخديو اقناع كرومر بعزل الشيخ محمد عبده ، ولكن كرومر أوضح للخديو بأنه لا يوافق على فصل الشيخ من منصبه طالما ظل معتمدا بريطانيا لمصر [٤٥] .

ولما لم يتمكن الخديو من فصل الشيخ محمد عبده أراد الحط من شأنه والتشهير به وحض الجرائد الموالية له على مهاجمته .

وقد تلقى الشيخ محمد عبده سؤالين من بعض مسلمى الترنسفال وهما :

١ — بقر يضرب على رأسه بالبلطة حتى تضعف مقاومته ، ثم يذبح قبل أن يموت بدون تسمية الله عليه ، فهل يجوز أكل لحمه ؟ فأفتى الشيخ بحلها ، فانتهز العلماء المناوئين له ذلك وأقاموا عليه قيامتهم انها محرمة .

٢ — يوجد أفراد مسلمون فى بلاد الترنسفال يلبسون القبعات

---

(٤٤) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٤٩٧ .

(٤٥) احمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ — القسم الثانى ، ص ٣٥ — ٣٩ .

لقضـــاء مصالحهم ، فهل يجـــوز ذلك ؟ فأفتى الشيخ بالجواز وقال :
« أما لبس البرنيطة اذا لم يقصد فاعله الخروج من الاسلام والدخول
فى دين غيره فلا يعد مكفرا ، واذا كان اللبس لحاجة من حجب الشمس
أو دفع مكروه فذلك مباح [٤٦] » .

وكان هدف الشيخ من ذلك هو التخفيف على مسلمى الترنسفال
حتى لا ينفروا من تقاليد الدين ، وحتى لا يعرض بعضهم عن الاسلام
بعد الاقبال عليه ، ولكن أعداءه انتهزوا هــذه الفتوى وقاموا بالتشهير
به حيث حرضهم الخديو على اتهام الشيخ بالزندقة ، فاختلقوا بعض
الأكاذيب ضـــده ، وخصوصا وأن قـــراء الصحف فى ذلك الوقت كانوا
لا يعرفون الكثير عن صناعة التصوير الشمسى التى يستطيع صـــانعها
تلفيق رسم واحد من ثلاثة رسوم أو أربعة متفرقات ، فلفقوا له صورة
شمسية فى حلبة رقص وهو يخاصر فتاة افرنجية وكلبها يعبث بأطراف
جبته [٤٧] ، ونشروا ذلك فى جريدة الحمارة الهزلية مع طعن فى المفتى أنه
يجالس نساء الافرنج ، وذلك يعد ازدراء بمنصبه الدينى ، وقد أرسلوا
هــذه الصورة الى اللورد كرومر مع رجل أراد اقناعه بأن هذا فى عرف
المسلمين ازدراء بشعورهم وكان رد اللورد أن هذه الصورة لا يثبت لها
عنده أصل وأن الشيخ محمد عبده كثيرا ما يزوره وتحضر مجلسه لادى
كرومر وغيرها فهل يصح أن يعتبر هــذا اهانة له أو لنا ؟ أم يصح أن
نهتم بشعور المتعصبين الجهلاء ونبنى عليه ردا مهما كهذا [٤٨] .

ومن المكائد التى دبرها الخديو للشيخ أيضا أنه قال لكرومر الذى
أراد منع الحج اتقاء للوباء أن هذا يمكن بفتوى من المفتى لأن الحكومة
لا تعمل الا بفتواه حتى اذا أفتى الشيخ بذلك أقام عليه قيامه العلماء

---

(٤٦) احمد امين : المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .

(٤٧) عباس العقاد : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

(٤٨) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٥٥٨ .

والجرائد ، وقلل من قيمته لدى الشعب ، وان لم يفت ضايق الانجليز ، ولكن الشيخ فطن لمكيدة الخـديو ؛ وردها اليه بأن قال لرئيس النظار الذى طلب منه الفتوى ، أنه ليس هناك الا طريقة واحـدة ، وهى أن يقول الخـديو أنه ثبت عنده أن السفر الى الحجاز فى هـذه السـنة موقع للحجاج فى خطر وتهلكة ، وحينئذ يفتيه العلماء بأن له منعهم من القاء أنفسهم فى التهلكة ما دامت معلومة ثابتة عنده ؛ وعندما سـأله رئيس النظار هل يكفى ثبوت هـذا عنـد الحكومة قال المفتى لابد أن يثبت هـذا عند الخديو فهو نائب السلطان والمسئولية عليه وحـده ، وبذلك فشلت دسيسة الخديو التى تنبه لها الشيخ [٤٩] .

وبعد انكسار الجيوش الانجليزية فى حرب الترنسفال أشار محمد رشيد رضا على الخديو بأنه من الممكن السعى لجلاء الجيوش البريطانية عن مصر بأسلوب يوافق عليه الانجليز ، وذلك بأن يقول لكرومر اذا كنتم فى حاجة الى ارسال قواتكم الموجودة فى مصر الى الترنسفال فيمكن أن يتم ذلك بمقتضى اتفاق معنا ترضونه لتأمين مصـالحكم فى مصر دون وجود هـذا الجيش ، فانتهز الخديو ذلك وأراد ايقاع الشيخ محمد عبده فى الشرك ، وأن يوقع بينه وبين الانجليز فقال لرشيد رضا وما رأى الشيخ محمد فى هـذا ؟ فلما قال له أنه لم يعرض هذا الأمر عليه طلب منه الخديو أن يذهب الى الشيخ ويعرض عليه الموضوع ، ولمـا فطن الشيخ للمكيدة قال اذا وافقت على هذا الرأى فان الخديو سـيقول لكرومر أن الشيخ محمد عبـده يدفعنى الى أن أغتنم الفرصـة لطرد الجيش الانجليزى من البلاد لذلك قال لرشيد رضا قل للخديو أن هذه المسألة مهمة ويجب على الخديو أن يفكر فيها كثيرا قبل يبرم رأيا [٥٠] ، ولمـا فشلت دسائس الخديو ضد الشيخ محمد عبده رفع تقارير الى

---

(٤٩) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ج ١ ، ص ٥٥٩ .

(٥٠) نفسه : ص ٥٥٩ — ٥٦٠ .

السلطان عبد الحميد يطعن فى الشيخ ويتهمه بعـداوة الخليفة والسعى لخلعـه [٥١] .

وهكذا جاهد الشيخ محمد عبده وسط جيش من الخصوم يقوده الخديو ووقف صامدا أمام هجماتهم .

لقد عاب البعض على الشيخ محمـد عبده أنه نظر الى الخـديو من عدسة سوداء ، ولم ينظر الى الجانب الأبيض منه ، وهو تشجيعه للحركة الوطنية ورفضه الاستسلام للمحتلين [٥٢] ومع أننـا نتفق مع هذا الرأى بعض الشىء ، فاننا نرى أن الخديو كان مذبذبا فى مقاومته للاحتلال وخصوصا بعد الدروس التى لقنها له كرومر ، وأن الخـديو لم يشجع الحركة الوطنية الا كمحاولة له لكى يسترد سلطته من اللورد كرومر وهـذا ما سنوضحه فيما بعد .

وعلى كل حال فقد وقف الخديو بالمرصاد للشيخ محمد عبده حتى أجبره على الاستقالة من الأزهـر فى ٢١ مارس ١٩٠٥ وفى نفس العام أحس الشيخ محمد عبده بوطـأة المرض فعزم على السـفر الى أوربا للعلاج ، ولكن الأطباء نصحوه بالبقاء وحببوا له الاقامة فى الاسكندرية، وفى ١١ يوليه ١٩٠٥ برأت روحـه الى ربها عن عمر يناهـز السادسة والخمسين وعلى أثر ذلك أعلن مجلس شورى القوانين عن أسفه وحزنه لوفاة الشيخ محمد عبده ، وعدد خدماته الجليلة ، وأعماله النافعة التى أسداها للوطن [٥٣] كما قرر مجلس النظار أن تحتفل الحكومة رسميا بتشييع جنازته، ولمـا سار أحمد شفيق فى الجنازة مع كبار المشيعين

---

(٥١) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٥٦٠ .

(٥٢) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ٣٢٣ .

(٥٣) مجلس شورى القوانين : مجموعة محاضر جلسات ١٩٠٥ — محضر جلسة الثلاثاء اول اغسطس ١٩٠٥ ، ص ٣١ .

غضب الخديو عليه وأنبه بقوله « انها جنازة والميت كلب [٥٤] » كما قال له « يظهر والله أعلم ـ أنكم أردتم بالسير وراء نعشه المجاملة بعد الموت ، وهو على ما تعهدونه عدو الله وعدو النبى وعدو الدين وعدو الأمير ، وعدو العلماء وعدو المسلمين . وعدو أهله بل وعدو نفسه فلم هذه المجاملة [٥٥] » .

والجدير بالذكر أن تشهير الخديو بالشيخ محمد عبده لم يقلل من قيمة هذا الرجل الذى طبع عصره بطابعه ككاتب وعالم ووطنى . ومعلم دينى ومصلح اجتماعى .

(د) نشاط الخديو السرى ضد الاحتلال :

بعد حادث الحدود قامت مجموعة من رجال الجيش المصرى فى السودان بتأليف جمعية سرية عرفت باسم جمعية المودة السرية . كان لها فرع فى وادى حلفا وآخر فى سواكن [٥٦] ، وكانت تضم ضباطا مصريين من رتب مختلفة ولهم يمين ولاء .

وقد بدأت هذه الجمعية أعمالها بارسال تقارير وخطابات بالشفرة المتفق عليها الى قصر الخديو [٥٧] كما حرضت فرقتين سودانيتين من الجيش المصرى فى أم درمان فى يناير ١٩٠٠ على طرد ضباطهم الانجليز والاستيلاء على الذخيرة وأشاعوا بين الجنود السودانيين أن الانجليز سيرسلون الجيش المصرى الى جنوب افريقية ليذبحه البوير [٥٨] .

---

(٥٤) احمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ مجلد ٢ ، ص ٦٣ وما بعدها .

(٥٥) نفسه .

(٥٦) جريدة المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ٥ مايو ١٩٥١ .

(٥٧) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

(58) Ronald Wingate : Wingate of the Sudan 1955 p. 128 - 131.

ولما قبض على مدبرى هذه الحركة طلب ونجت حاكم عام السودان استصدار أمر خديو يعتبر هؤلاء الضباط متمردين وعصاة رفض الخديو ذلك واكتفى بطلب محاكمتهم أمام مجلس عسكرى عال طبقا للقوانين العسكرية [٥٩] ، ولما كان كرومر برتاب فى أن يكون للخديو دخل فى ذلك حاول احراجه ، فطلب منه مقابلة هؤلاء الضباط وتوبيخهم فاذا رفض يتضح الدليل على تعاطفه معهم [٦٠] ، وقد رد الخديو على طلب كرومر بأن يرسل اليه صيغة نص التوبيخ ، ولما حضر المتهمون أمام الخديو أخرج النص الذى أرسله اليه كرومر ، وعندما شرع فى قراءته أخذ يغمغم بالقول فلم يفهم الضباط ، ولا الكولونيل الانجليزى ما يقوله الخديو [٦١] ، وانتهى الأمر بمحاكمة الضباط المتهمين أمام مجلس تأديب . وتقرر فصل بعضهم . واحالة البعض الآخر الى الاستيداع [٦٢] .

ومما يوضح صلة الخديو بهذه الحركه أنه عين ضباطها الذين أحيلوا الى الاستيداع فى وظائف مدنية [٦٣] .

وأخذ كرومر يضيق الخناق على الخديو بهدف احباط سيطرته على الجيش نهائيا ، وساعد على ذلك أن ضابطا برتبه اليوزباشى أتهم بالاختلاس ، ولكى ينقذ نفسه وشى بأسماء خمسة وسبعين من الضباط الذين ينتمون الى جمعية المودة السرية ، فانكشف الأمر وضاعت سيطرة الخديو على الجيش نهائيا ولم يجد أمامه سندا سوى الاعتماد على العناصر الوطنية من المدنيين فبدأ يتصل بهم حتى يساندوه فى صراعه ضد القنصل البريطانى ممثل الاحتلال .

---

(٥٩) احمد شفيق : المرجع السابق جـ ٢ القسم الأول ، ص ٣٢١ . ٣٢٢ .

(٦٠) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ٥ مايو ١٩٥١ .

(٦١) نفسه .

(٦٢) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٢١ — ٣٢٢ .

(٦٣) مذكرات عباس الثانى فى ٥ مايو ١٩٥١ .

وقد شهدت مصر مولد جمعية سرية قدر لها أن تكون نواة للحزب الوطنى فيما بعد وهى جمعية الحزب الوطنى وقد أسس هـذه الجمعية لطيف سليم الذى حبذ أسلوب العمل السرى لتحرير الشعب بعيدا عن أى وصاية أو سلطة ، وقد انضم الى هذه الجمعية مصطفى كامل ومحمد فريد ومحمود أنيس ومحمد خلوصى وأحمـد الصوفانى وعبد اللطيف الصوفانى (٦٤) .

وقد اهتم لطيف سليم بتوسيع قاعدة هـذه الجمعية وتنظيمها ، بغرض تنظيم العمل من أجل الاستقلال ، وعرض القضية المصرية على الدول الأوربية والمناداة بجلاء الانجليز عن مصر (٦٥) .

ولما مد الخديو عباس الثانى يده لمساعدة هذه الجمعية لم يتردد أعضاؤها فى التعامل معه ، بل اعتبروا ذلك فرصة لتقوية العمل الوطنى (٦٦) حيث ان تواجده كان ضرورة ملحة اقتضتها الظروف الصعبة التى سايرت العمل الوطنى .

وفى عام ١٨٩٥ ألف الخديو لجنة سرية من بعض رجال المعية بالاتفاق مع مصطفى كامل (٦٧) ؛ واستعان ببعض الفرنسيين الذين كانوا يشغلون مناصب فى مصر وببعض الصحفيين الذين عملوا بهـا . وقد قامت هـذه اللجنة بالدعاية لقضية استقلال مصر فى فرنسا بصفة خاصة وأوربا بصفة عامة ، وذلك عن طريق الكتابة فى الصحف بأسماء

---

(٦٤) عصام ضياء الدين : النضال السرى فى الحركة الوطنية — بحث ألقى فى ندوة تاريخ مصر المعاصر فى الفترة من ١٥ — ٢٠ سبتمبر ١٩٧٣ .

(٦٥) نفسه .

(٦٦) خطابات محمد فريد : مظروف (٣٠) مسودة تقرير بعنوان Nationalisme en Egypt.

(٦٧) جريدة المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ١٤ مايو ١٩٥٤ .

مستعارة ، وكذلك بالخطب التى كان يلقيها مصطفى كامل ، وقد استطاعت هذه اللجنة الحصول على تاييد بعض أعضاء البرلمــان الفرنسى وشركة هافاس للأنبــاء ، وعــدد كبــير من الصــحف الباريســية وكان Louis Rouiller السكرتير الخاص للخديو له دور كبير فى ذلك .

ولتوحيد جهود جمعيه الحــزب الوطنى واللجنــة السرية ، عمل الخــديو على ادماج هذين التنظيمين فى تشكيل واحــد بهدف احتكاك المصريين بالأوربيين حتى يكون العمل أكثر ايجابية ، واتفق على أن يطلق عليه « جمعية أحياء الوطن السرية » وقد شكلت هذه الجمعيــة من بعض الشبان المصريين الذين تلقوا تعليمهم العالى فى مصر وخارجها. مثل اسماعيل الشيمى ، ويوسف صديق ، ومحمود سالم القضاة بمحكمة المنصورة المختلطة ، ومن بعض رجال القصر مثل أحمد شفيق رئيس قلم الترجمة بالديوان الأفرنجي . ورولية بك سكرتير الخديو الخاص [٦٨] أما عن الجانب الفرنسى فقد ضم جافيو Gavillot الصحفى ونائب الجالية الفرنسية بالقاهرة ومسيو آن مارى ، ومسيو جوردان ببترى المستشارين القضائيين ومسيو برونت Pront المندوب الفرنسى فى ادارة سكة حديد الدولة ومسيو بونتون Bontern رئيس اللجنــة المختلطة للدومين والمسيو برويتر Prautiéres رئيس المحكمة المختلطة الابتدائية بالقاهرة .

وكانت مهمة هذه اللجنة الدفاع عن القضية المصرية أمام الرأى العــام الأوربى واثارة موجة من الكراهية ضد انجلترا .

وقد تمكن الخديو من ضم وكيل شركة هافاس الى اللجنة على أن يتخلى عن الشركة فى مقابل مبلغ من المــال دفعه الخديو اليه بواسطة يوسف صديق [٦٩] ، على أن يقوم بارسال البرقيات التى تؤيد آراء

---

(٦٨) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١٩٠ — ١٩١ .
(٦٩) أحمد شفيق : إعمالى بعد مذكراتى ، ص ٣٤١ .

الخديو ، ثم أصدر بعد ذلك جريدة du Caire للدفاع عن القضية المصرية [٧٠] ؛ وقد تمكنت هذه اللجنة من إقناع الحكومة الفرنسية بوضع سفينة حربية فى قناة السويس ، وأن تظل رايتها مرفوعة عليها . ورغم ذلك فان التعاون بين الفرنسيين والمصريين سرعان ما أثبت فشله ، وذلك لاختلاف مصالح كل منهما فالفرنسيون رأوا فى مساعدة القضية المصرية سبيلا لاعادة وضع مصر تحت سيطرة النفوذ الفرنسى ، أما المصريون فنظروا الى المسألة المصرية على أنها قضية تخص مصير شعب مصر وحده ونتيجة لهذا التضارب انفرط عقد الائتلاف وانشق الأعضاء المصريون مفضلين العودة الى تنظيمهم السابق وبالتالى عادت اللجنة الفرنسية الى حالتها الأولى [٧١] .

ولما أحس المصريون بأن العبء الأكبر فى الدفاع عن الاستقلال بلادهم يقع على كواهلهم ازدادوا ايمانا بضرورة الاعتماد على أنفسهم فتأسست جمعية سرية أخرى فى بنى سويف فى عام ١٨٩٦ أطلق عليها جمعية تحرير مصر ؛ وكان هدفها تحرير البلاد من الاحتلال البريطانى. وكان من أعضاء هذه الجمعية أحمد طلعت رئيس نيابة بنى سويف ووكلاء النيابة حامد رضوان ومحمد بدر الدين وعبد العزيز فهمى ؛ ومعاون النيابة أحمد لطفى السيد ؛ والدكتور عبد الحليم حلمى ، وعلى بهجت الأثرى وصيدلى من طنطا يدعى محمد عبد اللطيف ، وقد حاول الخديو ضم هذه الجمعية الى جمعية الحزب الوطنى عن طريق مصطفى كامل الذى اتصل بلطفى السيد وأخبره بذلك ؛ فوافق لطفى السيد [٧٢] وتقابل مع الخديو الذى طلب منه السفر الى سويسرا لاكتساب الجنسية السويسرية ، لأنها لا تكلف الراغب فيها الا الاقامة سنة واحدة ، ثم

---

(٧٠) المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٨ مايو ١٩٥١ .

(٧١) عصام ضياء الدين : المرجع السابق .

(٧٢) نفسه .

يعود الى مصر ليحرر جريدة تقاوم الاحتلال البريطـانى فلا يستطيع الاحتلال أن يحول دون ذلك [٧٣] .

واجتمع لطفى السيد ومصطفى كامل وغيرهما بمنزل محمد فريد وتم تأليف الحزب الوطنى كجمعية سرية رئيسها الخديو ، وأعضاؤها مصطفى كامل ومحمد فريد ولطفى السيد وسعيد الشيمى ياور الخديو ومحمد عثمان ولبيب محرم [٧٤] .

وقد بسافر لطفى السيد الى سويسرا وقابل هناك الشيخ محمد عبده وسـعد زغلول وقاسم أمين ، وبعض المستشرقين ثم عاد الى مصر . وقدم تقريرا للخديو يتلخص فى أن مصر لا يمكن أن تستقل الا بمجهود أبنائها ، وأنه لا يحرر المصريين غير المصريين ، وأن المصلحة الوطنيـة تقضى بأن يرأس الخديو حركة شاملة للتعليم العام [٧٥] .

ويذكر لطفى السيد أن أعضاء جمعية الحزب الوطنى حرصوا على اتخاذ أسـماء مستعارة لهم ، فكان الخـديو يلقب باسم « الشيخ » ومصـطفى كامل باسـم « أبو الفـداء » ، ولطفى السـيد باسـم « أبو مسلم » [٧٦] .

وقد ظل مصطفى كامل لسان حال هذه الجمعية فسافر الى بعض

---

(٧٣) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر ج ٦ — احمد لطفى السيد فى الجريدة . القاهرة — دار الفكر العربى . الطبعة الأولى ١٩٥٤ ، ص ٤٩ .

(٧٤) نفسه .

(٧٥) احمد لطفى السيد : قصة حياتى . القاهرة — سلسلة كتاب الهلال ١٩٦٢ صفحات ٣٥ ، ٣٨ — ٣٩ .

(٧٦) د. عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

دول أوربا خصوصا فرنسا وألمانيا والنمسا وتركيا للدعاية لقضية استقلال مصر [٧٧] ؛ ومع ذلك فقد خرج مصطفى كامل بعد عام واحد من نشاطه بحقيقة واضحة ؛ وهى أن أسلوب الدعاية للقضية المصرية فى أوربا لا يكفى لحدوث استقلال مصر ، وأن العبء الأكبر يجب أن يكون على عاتق المصريين الذين يجب عليهم العمل بكل قواهم من أجل استقلال بلادهم .

(٧٧) حول تفاصيل هذه الدعاية انظر :

عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٤٩ — ٦٣ .

الفصل الثالث

علاقة الخديو عباس الثانى بمصطفى كامل

---

١ ــ نشأة مصطفى كامل ومصادر ثقافته ٠

٢ ــ ظهور مصطفى كامل ومساعدات الخديو المـالية له ٠

٣ ــ الخطوط الرئيسية لسياسة مصطفى كامل تجاه الاحتلال ٠

٤ ــ أهداف مصطفى كامل والخديو من مقاومة الاحتلال ٠

٥ ــ نشاط مصطفى كامل فى أوربا وعلاقته بجوليت آدم ٠

١ ــ نشأة مصطفى كامل ومصادر ثقافته :

ولد مصطفى كامل بحارة درب الميضة بشارع شيخون بالصليبة بحى الخليفة بمدينة القاهرة فى ١٤ أغسطس ١٨٧٤ [(١)] أى فى نفس السنة التى ولد فيها الخديو عباس الثانى وينتمى والده على محمد الى أسرة ميسوره الحال اشتغلت بالتجارة منذ زمن طويل فى مديرية الغربيه. وقد تلقى علومه العسكرية بطرة وبالخانكة وتخــرج ضابطا مهندسا ؛ وعمل فى بناء الكبارى والثكنات فى عهد محمد على ثم أدرك عهدى عباس الأول وسعيد ثم أحيل الى الاستيداع فى عهد اسماعيل ولكنه لم يركن الى الراحة بل سعى حتى عين مهندسا ملكيا بوزارة الأشغال وظل بهـا حتى أحيل الى المعاش فى سنة ١٨٧٧ [(٢)] .

وقد كان مصطفى كامل أحد سبعة أبناء وابنتين أنجبهم أبوه من زوجتين كانت الأخيرة منهما هى السيدة حفيظة هانم كريمة اليوزباشى محمد فهمى وهى والدة مصطفى كامل والتى كان لهاأ ثر كبير فى نشأته، فقد كانت على جانب كبير من مكرم الأخلاق ، وكان مصطفى كامل يعزها ويجلها ويشيد بذكرها طوال حياته ؛ وقد انطبعت فيه أخلاقها من صفاء النفس وحب الخير والصبر والجلد [(٣)] .

وكان من عادة والد مصطفى كامل أنه اذا بلغ أحــد أولاده سن

---

(١) متحف التعليم : البعثات العلمية فى القرن التاسع عشر ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٢) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر، ج ٥ ، مصطفى كامل صاحب اللواء . القاهرة ــ دار الفكر العربى ــ الطبعـة الأولى ، ص ٤١ .

(٣) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٢١ .

الخامسة أرسله الى فقيه يلقنه مبـادىء القراءة والكتابة ثم يبعثه الى الكتاب ليحفظ القرآن حتى يتم السادسة فيلحقه بمدرسة حكومية ؛ وقد بدت على مصطفى كامل ملامح الذكاء والنجابة ، وقوة الذاكرة فى طفولته. وكان كثير الاهتمام بما يحدثه والده من القصص المستقاة من تاريخ مصر فكان يعيها ويجادل فيها ويناقشها مع اخوته ويدافع عن وجهـة نظره بثقة وقوة .

وقد أتم مصطفى كامل حفظ القرآن الكريم وهو فى السابعة من عمره وتلقى دراسته الأولى فى ثلاث مدارس هى مدرسة والدة عباس الأول ومدرسة السيدة زينب التابعة للأوقاف ومدرسة القربية التى نال منها مصطفى كامل الشهادة الابتدائية عام ١٨٨٧ وكان يومئذ فى الثالثة عشرة من عمره .

وكانت طفولة مصطفى كامل مليئة بالأحداث فقد عاش عزل الخديو اسماعيل وثورة عرابى ومذبحة الاسكندرية وضرب الأسطول الانجليزى لها بالقنابل ودخول الجنرال ولسلى Welseley القاهرة وفشل سياسة فرنسا فى مصر (٤) .

وتلقى مصطفى كامل دراسـته الثانوية فى المدرسـة الخـديوية عام ١٨٨٧ واستطاع أن ينال احترام أساتذته وزملائه له .

وقد نال مصطفى كامل الشهادة الثانوية فى صيف عام ١٨٩١ ثم تلقى دراسـته العليا فى أربع كليات هى الحقوق الخـديوية والحقوق الفرنسية وحقوق باريس وحقوق تولوز .

والجدير بالذكر أن مصطفى كامل لم يترك مدرسة من المـدارس التى تلقى فيها العلم الا وكان له فيها صدام عنيف ففى ختام دراسته

---

(٤) احمد رشاد : مصطفى كامل حياته وكفاحه ، ص ٣٠ .

الابتدائيه كان أول فرقته وجاء موعـــد توزيع الجوائز على الناجحين الخديو ووزير المعارف الحفل وكلف مصطفى كامل بالقاء كلمة فى هــذه المناسبة نالت اعجاب الحاضرين فهنأه الخديو توفيق على فصاحته وسأله عن اسمه واسم أبيه وعن سنه وكان ضابط المدرسة يقف وراء كل تلميذ يتسلم شهادة فأخذ يشير الى مصطفى بأن يضيف كلمة عبدك قبل أن ينطق اسمه واسم أبيه ولكن مصطفى لم يقلها ولمـا انتهى الحفل اقترب مصطفى من الضـــابط وقال له : « ما كان أبى عبـــدا لأحد وما كنت كذلك [٥] » .

والمتفحص لهذه الرواية يجد أنه يجانبها بعض الصواب . حقيقة أن مصطفى كامل حضر الحفل وأنه كان أول فرقته وأنه ارتجل خطـــابا فى تحية الخديو كل هــذا لا يحتمل الشك فمصطفى كامل ظهر عليـــه النبوغ منذ صغره . ولكن موضوع رفض مصطفى أن يقول للخـــديو عبدك فاننا نرى أن لهجة هذا العصر كانت تقضى بذكر كلمات مثل عبدك وخادمك وما شابه ذلك وهـــذا ليس ببعيد على مصطفى كامل فالخطابات التى أرســلها مصطفى فيما بعد للخـــديو أو لعبد الرحيم أحمد وكيل الادارة العربية بالمعية السنية بها ما يثبت ذلك [٦] وعلى سبيل المثـــال ففى الخطاب رقم (١) من مجموعة الرسائل والمؤرخ فى ٨ يونيه ١٨٩٥ نجد فى نهايته « أعرضـــوا نص خطابى هذا على كعبـــة آمالى سيدى الأعلى » وفى الخطاب المؤرخ فى ٢٧ يونيه ١٨٩٥ نجد « ورضاء مولاى منتهى رغبتى فلو أمرنى أعزه اللـــه بأن أذبح خدمة لبلادى ولشخصه الجليل ما تأخرت » وفى الخطـــاب المؤرخ فى ٤ أغسطس ١٨٩٥ نجـــد « لا تنسوا عرض كل ما أرسله اليكم ولو تعرضوا ملخصه على أنظـــار سمو مولاى وكعبة آمالى الذى ما دمت محل ثقته قدمت روحى ونفسى قربانا فى خدمته وخدمة بلادى » .

---

(٥) احمد رشـاد : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٦) د. محمـــد أنيس : صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل .

وفى نهاية السنة الأولى الدراسية التجهيزية رسب مصطفى كامل فى احدى المواد نتيجة لقرار أصدرته الوزارة برفع درجة النجاح الى ١٦ من ٢٠ وهى نسبة عالية وغير معهودة حتى فى أيامنا هذه وصادف أن كان ترتيب مصطفى كامل السابع فى فصله الذى كان يضم خمسة وستين طالبـا ، ومع ذلك لم يستطع الحصول على المتوسط المطلوب الذى لم يحصل عليه سوى تلميذين فقط ، وفكر مصطفى كامل فى أن ينقذ نفسه وزملاءه من هـذا القرار فانطلق الى نظارة المعارف ، وكان على مبارك ناظرها ، ولمـا وصل الى باب غرفته طلب مقابلته فرفض الحاجب طلبه فأفهمه مصطفى كامل أنه ابن الوزير ، فأفسح له الطريق ، ولمـا اقترب مصطفى من مكتب الوزير صاح قائلا أنا ابن الوزير فى العلم فاستقبله الوزير وسأله عن المشكلة ، فعرض عليه مصطفى القضية وشكا له حيف نظام الامتحان واقتنع الوزير بحجة الطالب وألغى القرار [٧] بعد أن أحس بعدالة الشكوى [٨] .

وهكذا كان لجرأة مصطفى كامل ورفضه للضيم أثر فى الغاء قرار وزارة المعارف .

وفى عام ١٨٩١ وبينما كان على مبارك يقوم بجولة تفتيشية على المدارس زار المدرسة الخديوية وسأل مصطفى كامل عما ينوى أن يفعله بعد تخرجه فأجابه « ان أعظم الرجال شأنا هو من يحرر بلاده وينقذ أمته من ربقة الذل والاسترقاق وأنا أطمع فى أن أكون ذلك المحرر الذى يكتب ويخطب ويجاهد فى سبيل تحرير وطنه من الذل » وقد أعجب ناظر المعارف برد مصطفى كامل ولقبـه « امرؤ القيس » ثم أخـذ يتعهده بنصائحه وكثيرا ما دعاه الى منزله وقدمه الى زواره من العلماء والساسة والصحفيين [٩] .

---

(٧) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٣٤ ـــ ٣٦ .
(٨) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ، ص ٤٨ .
(٩) احمد رشاد : المرجع السابق .

وبعـد أن حصل مصطفى كامل على شـهادة الدراسـة الثانوية عام ١٨٩١ عزم على أن يدخل مدرسة الحقوق لأنها كانت الوسيلة الى الهدف الذى خطه لنفسه فهى مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأفراد والأمم » .

وبعد عام واحد من التحاق مصطفى كامل بمدرسة الحقوق التحق أيضـا بمدرسـة الحقوق الفرنسية ؛ وجمع بين المدرستين واستطاع الحصول على شهادة الحقوق من كليـة تولوز فى نوفمبر ١٨٩٤ وكان عمره حوالى عشرين عاما .

تلك كانت مراحل التعليم التى مر بها مصطفى كامل ، وتلك كانت حدود ثقافتـه التى حصل عليهـا ، ولعل هـذا القدر من الثقافة كان مشتركا بين مصطفى وزملائه الذين تعلموا معه فى مراحـل التعـليم المختلفة [١٠] ، ولكن تكوين مصطفى كامل واستعداداته العلمية والنفسية، ودراساته الخاصة وباتصاله برجال الفكر والسياسة فى ذلك الوقت كان لكل ذلك أكبر الأثر فى تكوين شخصيته ، وفى تفوقه على أقرانه كما كان لاتصال مصطفى كامل بعلى باشا مبارك ؛ ثم اتصاله بعبد اللـه النديم عقب عودته من منفاه ، وتردده على نادى الأميرة نازلى فاضل والمنتدى الذى كان يعقـد فى دار لطيف باشـا سـليم أكبر الأثر فى تكوينه السـياسى .

٢ ـ ظهور مصطفى كامل ومساعدات الخديو المـالية له :

لعب المجتمـع المصرى دورا رئيسـيا فى تكوين مصطفى كامل ، فشخصيته تستمد مقوماتها من ظروف المجتمع فهو يمثل الجيل الجديد الذى ظهر بعد انكسار الحركة الوطنية وأحس بمرارة الهزيمة وشاهد جيوش الاحتـلال تطأ أرض بلاده فحاول أن يتجاوز مظاهر الاحبـاط

---

(١٠) عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .

والفشل التى حطمت معنويات أبناء وطنه ، فكان ظهوره بمثابة يقظة للأمة وبعثا جديد لها .

وقد تميز مصطفى كامل بحسه الثقافى والقدرة على استيعاب خبرات الماضى كما تميز بقوة الارادة والتصميم على الدفاع عن حقوق مصر والدعاية لقضيتها بالخطب والمقالات والرسائل ، فكانت وطنيته تقاوم المستحيل لدرجة أن دعوته بدت غريبة على الأذهان .

وتساءل البعض كيف تقوم حركة وطنية تنادى بالاستقلال من يد أقوى الدول نفوذا وأوسعها سلطانا (١١) .

لقد أسس مصطفى كامل وهو فى السادسة عشرة من عمره جمعية أدبية وطنية سماها جمعية الصليبة الأدبية ، وبعد أن دخل مدرسة الحقوق عمل على تأسيس جمعية احياء الوطن كما أفسح له بشارة تقلا صاحب الأهرام مكانا فى جريدته لينشر فيها مقالاته الوطنية .

والواضح أن خبرة مصطفى كامل عن أحوال مصر أيام الثورة العرابية وعند وقوع الاحتلال كانت ضعيفة خصوصا وأنه لم يكن قد بلغ الثامنة من عمره لذلك فانه حاول الاستفادة من الذين عاصروا الأحداث فما أن سمع بعودة عبد الله النديم من منفاه حتى خف للقائه ونشأ فى مدرسته (١٢) ، وعرف منه أسباب الثورة العرابية على حقيقتها كما عرف منه مواقع الخطأ التى تورط فيها العرابيون واستطاع بصحبة أستاذه الثائر التعرف على حقيقة التيار السياسى فى مصر وكيف شوه الاحتلال مبادىء الثورة العرابية وخططها ثم تعلم منه القواعد التى اذا اتبعها يكون وطنيا ناجحا وهى :

---

(١١) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية .

(١٢) تشارلز آدمز : الاسلام والتجديد فى مصر — ترجمة عباس محمود . القاهرة ١٩٣٥ ، ص ٢١٣ .

١ ـ ألا يستعمل الجيش مطلقا فى حركته بل يعتمد على الرأى العـام •

٢ ـ ألا يعادى الخـديو حتى لا تنقسم الأمة كما حـدث بين العرابيين والخديو توفيق •

٣ ـ ألا ييأس مطلقا من طريق الكفاح •

٤ ـ ألا يطمئن الى الانجليز بل يحذر من دسائسهم •

وقد سار مصطفى كامل على هدى هذه التعليمات [١٣] ، ولمـا قام الخديو فى نوفمبر ١٨٩٢ بزيارة للمدارس العالية استقبله طلابها وكان من بينهم مصطفى كامل الذى ألقى قصـيدة بين يدى الخـديو كان مطلعهـا :

بشرى الحقوق بسـيد الأمراء
كـنز العـلا ذى النعـماء

وقد لفتت هـذه القصيدة أنظار الخديو وأعجبه فصاحة مصطفى كامل [١٤] •

ولمـا حدثت الأزمة الوزارية عام ١٨٩٣ قام مصطفى كامل على رأس مظاهرة وطنية من طلبة المدارس العالية مؤيدا لموقف الخـديو ومهاجما لجريدة المقطم لموقفها العدائى منه كما راسـل مصطفى كامل الصحف وهو طالب وأنشأ مجلة المدرسة التى ظهر العدد الأول منهـا فى يوم السبت ١٨ فبراير ١٨٩٣ •

ويذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة أن هذه المجلة تعتبر أول مجلة مدرسية تظهر فى مصر [١٥] ولكننا نرى أن مجلة روضة المدارس التى

---

(١٣) للتفاصيل : انظر كتابنا عبد اللـه النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٧ .

(14) Le Bosphore Egyptien : 28 Novembre 1892.

(١٥) ادب المقالة الصحفية فى مصر ج ٥ ، مصطفى كامل . القاهرة دار الفكر العربى ١٩٥٢ ، ص ٤٧ .

أسسها على باشا مبارك بالاشتراك مع رفاعة الطهطاوى تسبق هـذه المجلة حيث أنها ظهرت فى عام ١٨٧٠ •

ولما أراد الخديو عباس الثانى احاطة عرشه بسياج من الوطنية اتصل بمصطفى كامل عن طريق حسن باشا عاصم رئيس الديوان (١٦) وقربه اليه ، وعندما عزم مصطفى كامل على اتمام دراسة الحقوق فى أوربا سافر الى تولوز بتعضيد من الخديو ثم عاد الى مصر فى ٦ ديسمبر ١٨٩٤ بعد أن حصل على شهادة الحقوق وكان يومئذ فى سن العشرين لا ليدافع عن قضايا الأفراد بل ليدافع عن حقوق أمته ، وساعده الخديو بالمال وتعاهدا سرا على العمل من أجل تخليص البلاد من الاحتلال وكانا يجتمعان بمسجد التبرى بسراى القبة (١٧) •

ويتضح تعضيد الخديو لمصطفى كامل من المراسلات التى نشرها الدكتور محمد أنيس تحت عنوان صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ؛ كما يتضح أن الخديو لم يكن وحده هو الذى يمد مصطفى كامل بالمال بل كانت هناك مصادر أخرى تمده به خصوصا بعد أن توقف الخديو عن مساعدة مصطفى كامل •

وعن مساعدة الخديو لمصطفى كامل بالمال يذكر محمد حسين هيكل أن الخديو هو الذى تولى الانفاق على مصطفى كامل لتعليمه فى الخارج لما توسم فيه من الذكاء والاقدام فعاونه على استكمال دراسته ، كما اصطفى كثيرين من الشبان غيره أوفدهم الى أوربا فى مهمات سياسية يؤيد بها سلطته ومركزه كحاكم مصر الشرعى (١٨) •

ويذكر محمد رشيد رضا أن « الخديو عباس هو الذى أوجد مصطفى كامل واستعمله فى الحركة الوطنية وهو تلميذ فقير •• وقد

---

(١٦) على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا جـ ١ ، ص ١١١
(١٧) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ ، ص ١٩٠ •
(١٨) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ص ٤٨

جعل سموه لمصطفى أفندى كامل راتبا شهريا قدره خمسة وعشرون جنيها ثم ما زال يزيده حتى بلغ مائة جنيه فى الشهر عدا ما كان يأمر به المقربين من مساعدته وفى مقدمتهم الأمير محمد ابراهيم والأميرة شويكار هانم [١٩] .

مما سبق يتضح أن الخديو أنفق على مصطفى كامل أثناء تواجده بفرنسا فى عام ١٨٩٥ [٢٠] ولكن يبدو أنه حرصا منه على السرية فقد تم الاتفاق على أن يتظاهر مصطفى كامل بأنه مرسل من قبل جمعية وطنية مصرية [٢١] .

وهنا يطرح سؤال نفسه وهو لماذا قدم الخديو يد المساعدة لمصطفى كامل ؟

الواضح أن الخديو اصطدم فى بداية عهده بالقنصل البريطانى فى سلسلة من الأحداث أهمها الأزمة الوزارية وحادث الحدود كما كان الخديو يرى أن الاحتلال لا يستند الى الشرعية وأن وضع مصر السياسى لا يزال من الناحية القانونية يستند الى معاهدة لندن ١٨٤٠ لذلك رأى الاستعانة بكل القوى الداخلية التى تمكنه من مقاومة الاحتلال ولكن تطور الأحداث . وضغط اللورد كرومر على الخديو وتهديداته المستمرة له جعلت الخديو يتردد فى مساعدة مصطفى كامل بالمال مما دفع مصطفى كامل الى طلب المساعدة المالية من آخرين فقد أرسل مصطفى كامل من باريس خطابا الى صديقه محمد فؤاد سليم بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٨٩٥ قال فيه « انى فى ضيق نظرا لأن الخديو لم يرسل لى

---

(١٩) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ص ٥٩٣

(٢٠) عند مقارنة خطب مصطفى كامل التى نشرها اخوه فى كتابه مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا ونفس الخطب التى نشرها الرافعى فى كتابه مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية يتضح أن الرافعى قد حذف من خطب مصطفى كامل كل ما يشير الى مساعدة الخديو المالية له .

(٢١) د. محمد انيس : صفحات مطوية : ص ٩

من المـــال ما يكفينى للسفر الى مصر اذ أن مقدار ما بعثه لى يكفى فقط لأسدد به نفقات الفندق واننى صممت على عدم رجوعى الى مصر لأن وجودى فى فرنسا مهم جدا للقضية التى كرست لها نفسى جسدا وروحا، ولقد قررت ألا أعود الى مصر الا اذا يئست من معـــاونة الوطنيين ، وانى حاليا يائس من واحد وهو الخديو [٢٢] » •

ان هذه الوثيقة توضح أن الخديو قد كف يده عن مساعدة مصطفى كامل بالمـــال لدرجة أن مصطفى يئس من معاونته له •

كما يتضح من الرسائل التى نشرها الدكتور محمد أنيس [٢٣] أن مصطفى كامل واظب ابتداء من الرسالة الرابعة المؤرخة فى ٣٠ يوليو ١٨٩٥ [٢٤] على طلب المـــال من الخديو لشدة حاجته اليه ، مما يؤكد أن المبلغ الذى كان يدفعـــه الخـــديو لمصطفى كامل لم يكن يصـــله بسهولة •

وهنا يطرأ سؤال آخر وهو هل كانت هناك بالفعل جمعية وطنية ساعدت مصطفى كامل بالمـــال أثناء دعايته للقضية المصرية عندما توقفه الخديو عن مساعدته ؟

الواقع أن مصطفى كامل أوحى بأنه موفد من قبل جمعية وطنية

---

(٢٢) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية من مصطفى كامل الى فؤاد سليم الحجازى . خطاب رقم ١١ ، ص ٥٨

(٢٣) هـــذه الرســـائل موجودة بدار الوثائق القومية تحت عنوان مذكرات المرحوم مصطفى كامل .

(٢٤) الرسالة الرابعة من رســـائل مصطفى كامل الى عبد الرحيم احمد هى بترتيب الرسائل فى كتاب صفحات مطوية الخامســـة حيث أن الرسالة الثانية مرسلة من عبد الرحيم احمد الى مصطفى كامل بينما الأولى والثالثة والرابعة والخامســـة من مصطفى كامل الى عبد الرحيم أحمـــد كما يتضح من الخطاب الأول فى مجموعة هذه الرسائل أن مصطفى كامل قد ارسل الى عبد الرحيم احمد خطاب قبـــل ذلك ، ولكن لم يتم العثور عليها حتى الآن .

سرية حتى يبعد أنظـار الانجليز عن الخديو ، وربما يكون ايحاؤه صحيحا لأن الجمعية الوطنية السرية التى تكونت من أوربيين ومصريين وسبق الاشارة اليها كان الخديو رئيسها أما عن وجود جمعية وطنيـة سرية كانت ترسل له الأموال للدعاية للقضية الوطنية فنحن نستبعد ذلك ورغم أن بعض خطابات مصطفى كامل الى أصـدقائه تشير الى رغبة بعض الأغنياء فى مساعدته ويبدو ذلك واضحا من خطاب أرسله مصطفى كامل الى عبد الرحيم أحمد فى ٩ أغسطس ١٨٩٥ اذ يقول فيه وقد سرنى كثيرا ما قلته لى من أن بعض الناس مستعد للمسـاعدة المـادية فيا حبذا لو قام أفراد الأغنياء بالمساعدة وخففوا عن مولانا .. ما يصرفه من المصاريف الطائلة [٢٥] » ؛ ورغم ذلك فان هذا لا يعنى وجود جمعية وطنية ساعدت مصطفى كامل ، وعلى كل حال فقد ابتعد الأغنياء عن مساعدة مصطفى كامل عندما رأوا أن الخديو كف يده عن مساعدته ، ويبدو ذلك واضحا من خطاب مصطفى كامل الى محمد فؤاد سليم ؛ اذ يقول فيه « انى حاليا يائس من واحد وهو الخديو ؛ ولكن أليس فى استطاعة والدك والهلباوى ومحمود سـالم أن يرسلوا لى سنويا ٤٠٠ جنيه ما داموا يعتبرون أنفسهم وطنيين ويقدرون جهودى الوطنية واذا كانوا غير قادرين على مساندتى فانى سأعود الى مصر يائسـا فاقد الأمل ليس فى الجـلاء فحسب بل من مستقبل الأمة المصرية [٢٦] » .

ولنا أن نتساءل عن المساعدات المـالية التى قدمها الخديو الى مصطفى كامل ودورها فى مساعدته على اتمام دراسته فى أوربا ؟

الواضح أنه لم يكن فى وسع أسرة مصطفى كامل الانفـاق على تعليمه فى الخارج خصوصا وأن والده توفى فى عام ١٨٨٦ أى قبـل

---

(٢٥) د. محمد انيس : صفحات مطوية ، ص ٥٣

(٢٦) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية من مصطفى كامل الى فؤاد سليم . خطاب رقم ١١ ، ص ٥٨

حصـــول مصطفى على الشـــهادة الابتدائيـــة التى حصل عليهـــا فى عام ١٨٨٧ .

ولكن البعض يذكر أن سخاء أحد أقارب مصطفى كامل هو الذى مكنه الى استكمال دراسته الجامعية فى فرنســـا فقد ذكر لانداو أن الدكتور عبد الفتاح فتحى الأخ غير الشقيق لمصطفى كامل هو الذى ساعده على استكمال دراسته الجامعية فى فرنسا [٢٧] .

وقد اتفق أحمد رشاد مع لانداو فى ذلك اذ يقول أنه « فى ٨ سبتمبر ١٨٩٤ توفى الدكتور عبد الفتاح فتحى أخو مصطفى كامل من أبيه من زوجته الثانية ، وعلى الرغم من مرض الطالب المصرى فقـــد عاد الى وطنه فورا عندما وافته الأخبار بهذا النبأ المفجع حيث صمم أن يترحم على قبر أخيه الأكبر الذى كان بمثابة والده واهتم بتربيته والانفـــاق عليه ، وكان مصطفى قد وعد الراحل بأن يتم علومه فى مدرسة الحقوق فى هذه السنة حتى يكرس حياته لوطنه العزيز [٢٨] » .

ومع أننا لا نستبعد فكرة مســـاعدة الدكتور عبد الفتاح فتحى أو غيره لمصطفى كامل أثناء دراسته فى الخارج فاننا نرى أن مصطفى قـــد سافر الى فرنسا بتشجيع من الخديو ، وأن الخديو هو الذى مد مصطفى كامل بالمـــال لاتمام دراسته ، وانه اذا كان البعض قد ساعد مصطفى كامل فان ذلك لا يعنى أنه تولى كل الانفـــاق عليه لأنه من الثابت أن معظم مصاريف السفر والاقامة كانت تقـــدم له عن طريق الخـــديو .

وخلاصة القول أنه اذا كان مصطفى كامل لم يتلق العون المـــادى

---

(27) Landan op. cit., p. 197.

(٢٨) احمد رشـاد : مصطفى كامل حياته وكفاحه ، ص ٤٩

من جهة واحدة أثناء تواجده بفرنسا [٢٩] فان الخديو كان قد تحمل القسط الأكبر من هذه النفقات .

وعلى كل حال فقد استطاع مصطفى كامل بعد عودته الى مصر واتمام دراسته فى فرنسا أن يوقظ الأمة المصرية من ثباتها فقد وهب مصطفى كامل حياته لبلاده وقرر أن يفيدها بكل لحظة من عمره فكانت كلماته جديدة على الناس فقد خاطبهم بالأسلوب الوجدانى الذى امتاز به خطباء الثورة الفرنسية واستطاع أن ينهض بأعباء دعوته مؤيدا من الخديو عباس الثانى فى بادىء الأمر ، شاعرا بقوته بعد ذلك مطاعا من أنصاره متقدما الى الأمام رافعا علم النهضة مرددا نشيد المجد والعظمة بصوت تهتز له الأفئدة وتخفق له الجوانح فلا يعرف الخطر [٣٠] .

٣ ـ الخطوط الرئيسية لسياسة مصطفى كامل تجاه الاحتلال :

استطاع مصطفى كامل أن يجمع بين القدرة على قيادة الجماهير وامكانية طرح أيديولوجية تحدد مسار القضية المصرية وهى أن لمصر عدوا واحدا هو الاحتلال ، ولمصر مطلبا واحدا هو الجلاء .

ومصطفى كامل بحكم تكوينه الفكرى والثقافى ينتمى الى الصفوة السياسية المثقفة Intellectual Political Elite وهو ما يميز زعامته للحركة الوطنية عن الزعامات المصرية السابقة كعمر مكرم

---

(٢٩) يتضح من مذكرات محمد فريد أن فريد قد امد مصطفى كامل بالمال لمساعدته على أداء مهامه الوطنية .

انظر : مذكرات محمد فريد . مظروف رقم (١) خطاب من مصطفى كامل الى محمد فريد .

(٣٠) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ، ص ٥٧

باعتباره صفوة دينية مستنيرة أو أحمد عرابى باعتباره أحد الصفوات العسكرية الوطنية [٣١] •

وقد استلهم مصطفى كامل خطوط كفاحه من دراسة واقع مصر السياسى ونتيجة لذلك رأى أن تواجد قوات الاحتلال فى مصر ليس لها سند شرعى ، ولما كانت أحوال الحركة الوطنية لا تمكنه من تغيير الأمر الواقع الذى فرضه الانجليز على بلاده فقد طرق مصطفى كل باب يوصله الى المطالبة باستقلال بلاده فاعتمد على الخديو ممثل السلطة الشرعية فى البلاد كما اعتمد على الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة التى تهفو اليها قلوب المسلمين ، ثم اعتمد على تناقض مصالح الدول الأوربية وخصوصا فرنسا وبريطانيا ، وأخيرا اتجه الى الشعب وخصوصا المثقفين منهم • وفيما يلى نعرض لذلك :

١ ــ مصطفى كامل والخديو :

كان تعاون مصطفى كامل مع الخديو أمرا تقتضيه الضرورة خصوصا بعد الدرس الذى تعلمه مصطفى كامل من النديم بضرورة تجنب الخلاف مع الخديو يضاف الى ذلك أن الحركة الوطنية لم تكن تستطيع أن تقف بمفردها أمام الانجليز وأنه كان على مصطفى كامل أن يتعاون مع كل القوى الداخلية والخارجية المعارضة للاحتلال ، ومن هنا التقى بالخديو عباس الثانى حيث اتخذه وسيلة لتوحيد سياسة الأمة المصرية على مقاومة الاحتلال [٣٢] واعتبر توليته أريكة الخديوية عنوانا لحياة جديدة ومبدأ لنهضة وطنية صادقة تزداد كل يوم قوة

---

(٣١) د. عاطف فؤاد : الزعامة السياسية فى مصر ، عرض تاريخى وتحليل سسيولوجى . القاهرة ــ دار المعارف . الطبعة الأولى ١٩٨٠، ص ١٠٥ ــ ١٠٦

(٣٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ج ١ ، ص ٥٩٣

ونموا[٣٣] وقد وجد الخديو عباس الثانى فى مصطفى كامل الشاب الوطنى الذى استطاع رغم حداثة سنه أن يحمل راية الجهاد فأعجب بموقفه وقال عنه فى مذكراته أنه كان أعظم وطنى فى عصره ، كما قال عنه أنه كان يفتش عن الرجال فى عهده بمصباح فلم يجد كثيرا من أمثال مصطفى كامل [٣٤] .

وقد أخذ مصطفى كامل يستنهض همم المصريين ويدعوهم الى « الاتحاد حول الأريكة الخديوية [٣٥] » كما أوضح لهم أن الخديو له السلطة الشرعية فى مصر وأنه النائب الشرعى عن السلطان وما على الأمة الا رفع شكواها اليه وعرض آرائها عليه [٣٦] وان لتعلق المصريين بالخديو معنى ساميا من الوجهة الدينية والوطنية والسياسية [٣٧] ، كما ذكرهم بأن « عرش الخديوية هو القوة الباقية من قوى الاستقلال ومحط الرجال ومصدر الحياة والآمال لهذه البلاد فى الحال والاستقبل [٣٨] » .

والجدير بالذكر أن دعوة مصطفى كامل كانت تقتصر على جلاء المحتلين . ولم تتعرض للعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وظل الأمر كذلك حتى اعترت علاقته مع الخديو الفتور ثم المقاطعة بسبب عدم ثبات الخديو على خطة واحدة فاحتفظ مصطفى كامل باستقلاله عن الخديو

---

(٣٣) اللواء : العدد السادس من السنة الأولى فى ٨ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « الأمة والأمير » .

(٣٤) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى .

(٣٥) اللواء : العدد الحادى عشر من السنة الأولى فى ١٤ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « سياسة الشرف والاباء » .

(٣٦) اللواء : العدد ٢٣ من السنة الأولى فى ٢٨ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « واجبات الوزراء امام الأمة والأمير » .

(٣٧) اللواء : العدد ٣١ من السنة الأولى فى ٦ فبراير ١٩٠٠ تحت عنوان « السلطة الشرعية فى مصر » .

(٣٨) اللواء : العدد ٧٩٦ من السنة الرابعة فى ١٦ ديسمبر ١٩٠٢ تحت عنوان « الجناب العالى والمحتلون » .

خصوصا بعد أن هجر الخديو صفوف الوطنيين ولجأ الى الملاينة مع سلطات الاحتلال .

٢ ــ مصطفى كامل والدولة العثمانية :

كان مصطفى كامل يقدر وضع مصر الدولى الذى تحدده معاهدة لندن ١٨٤٠ ، وهى المعاهدة التى تعترف باستقلال مصر فى ظل سيادة الدولة العثمانية كما كان يقدر حرج مركز انجلترا السياسى من الناحية القانونية لذلك رأى ضرورة توثيق الروابط الودية مع تركيا لكى يتخذ من موقفها وسيلة لمقاومة الاحتلال وحتى لا تنضم الى انجلترا فى سياستها الاستعمارية ضد مطالب المصريين يضاف الى ذلك أن مصطفى كامل كان لديه الحماس الدينى كما كانت وطنيته تمتزج بالدين ؛ وانه كان يعتقد أن الخلافة العثمانية من مظاهر الوحدة الاسلامية ؛ وأن مصر تعتبر أهم أجزاء هذه الوحدة خطرا كما أنها جزء من الدولة العثمانية من الناحية الدولية ومع ذلك فان كفة الوعى القومى رجحت عنده على كفة الوعى الاسلامى [٣٩] .

حقيقة أن مصطفى كامل كان يود أن تعود للاسلام قوته وعزته وأن ينضوى الشرق تحت لواء الدولة العثمانية باعتبارها أقوى الدول الاسلامية فى ذلك الوقت ، وأنه طلب من السلطان ارسال جيوشه الى مصر لاخراج الانجليز منها واحتلالها بإعتبارها دولة عثمانية [٤٠] . كما أنه نادى بضرورة توثيق روابط الاتحاد بين مصر وتركيا لأن « أسباب مصائب مصر والاسلام هى الشقاق بين المسلمين [٤١] » ؛ ولكن هل يعنى ذلك أن مصطفى كامل كان يريد أن يحل احتلال عثمانى لمصر محل الاحتلال الانجليزى ؟

---

(٣٩) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٤١٥

(40) Bosphore Egyptien 28 August 1906.

(٤١) اللواء : العدد السادس من السنة الأولى فى ٨ يناير ١٩٠٠ مقال لمصطفى كامل تحت عنوان « الأمة والأمير » .

الواقـــع أن مصطفى كامل كان يرى أنه متى تخلصت مصر من الاحتلال البريطانى فانها ستظل خاضعة من الناحيـــة الاسمية للدولة العثمانية ، وبما أن سيادة الباب العالى قد دب فيها الضعف فان مصر تستطيع أن تتخلص بسهولة من هــذه السيادة •

وتتصح حقيقة علاقة مصطفى كامل بالدولة العثمانية من خطاب أرسله الى جوليت آدم اذ يقول فيه « ان من السياسة الأهلية لمصر أن نكون مع تركيا طالمــا ظل الانجليز محتلين وطننا العزيز [٤٢] » •

لقد أساء البعض تصوير خطة مصطفى كامل نحو الدولة العثمانية على أنه من أنصار السيادة العثمانية وأنه كان بوقا يعمل على توطيـــد حركة الجامعة الاسلامية فى ظل الخلافة ، ولكننا نتفق مع الرأى الذى يقول أن الذى حال بين انجلترا واعلان حمايتها على مصر فى الفترة من ١٨٨٢ الى ١٩١٤ هو سيادة تركيا الاسمية التى تمسك بها مصطفى كامل [٤٣] وأنه لو كان مصطفى كامل قد ناهض الباب العالى لكان قد هيأ لبريطانيا الفرصة لتوطيد مركزها فى مصر واعلان حمايتها أو ضـمها اليهــا •

حقيقـــة أن مصطفى كامل دافع عن فكرة الجامعـــة الاسلامية وصفحات اللواء تشهد على ذلك [٤٤] كما أنه حظى بتقدير السـلطان له حيث منحه رتبة المتمايز (البكوية) والنيشان المجيدى عام ١٨٩٩ ثم أنعم عليه برتبة الباشوية فى مارس ١٩٠٤ فصار يعرف بمصطفى

---

(٤٢) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية . خطاب من مصطفى كامل الى جوليت آدم بتاريخ ١٢ يونيه ١٨٩٧ ، ص ٤٧

(٤٣) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٣٣٨

(٤٤) نشرت اللـــواء منذ صدورها مقالات كثيرة للدفاع عن الدولة العثمانية تحت عناوين متعددة منها « ســـلامة الدولة العثمانية » « قوة الخلافة الاسـلامية » « عيد الخلافة والاسلام » « مصر والدولة العلية » « الخلافة والاسلام » « بقاء الدنيا موقوف على بقاء الدولة العليـــة » « تأثير الخلافة على المسلمين » ..

كامل باشا (٤٥) ، ولكن هل ينكر أحد أن طابع العصر كان يحتم الولاء للسلطان وطاعته ، وهل ينكر أحد أن التفرغ لخصم واحد خير من مواجهة خصمين مجتمعين . لقد عمل مصطفى كامل على تجنب الخلاف مع السلطان ، واعتبر أن ارتبــاط مصر مع تركيا أحسن احتجاج على استمرار الاحتلال(٤٦)وقد عبرعن سياسته تجاه تركيابقوله « لقد صرحنا بأننا نريد مصر للمصريين ، وبأن انعطافنا أو نفورنا من دولة لا يؤثر شيئا على هــذا المبدأ الرئيسى لحياتنا وأفعالنا ولكنى أسأل ماذا يكون مصير البلاد المصرية لو تنازلت تركيا عن حقوقها لانجلترا أو تعاهدت معها على ذلك بمعاهدة شبيهة بالمعاهدة الفرنسية الانجليزية ؟ ألا تصير مصر ولاية انجليزية (٤٧) » .

وعلى كل حال فالواضح أن حياة مصطفى كامل رغم قصرها كانت مليئة بالتجارب السياسية ، وقد تعرض فيها للخطأ والصواب ومع ذلك فلا ينكر أحد أنه لم يتوخ غير مصلحة مصر ولا ينقد غيرة وحماســة الا عليها وحدها (٤٨) .

لقد آمن مصطفى كامل فى أولى سنوات جهاده بالسيادة العثمانية على مصر ثم عدل عنها بعد أن أحس بخطئها وقد أوضح الخديو عباس الثانى ذلك بقوله « انزلق مصطفى كامل فى أثناء قيامه بدعايته الى ادراك خاطىء للوطنية المصرية ، وكان التقرب الذى ينشده مع تركيا يتخذ صورة أقرب الى التنازل منها الى الأمل ، ولكنه عندما وجد من يفهمه ذلك استبدل بسياسته التى كانت تركية الطــابع الى حد كبير ادراكا وطنيا سليما ، وقد تطور ببراعة فائقة جعلت تلاميذه يتبعونه دون أن يفطنوا الى الخطأ الأول (٤٩) » .

---

(٤٥) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٤٣
(٤٦) نفسه : ص ٣٤٤
(٤٧) اللواء : فى ٦ أكتوبر ١٩٠٧
(٤٨) عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ج ٦ ، ص ١٣
(٤٩) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ١٤ مايو ١٩٥١

وهكذا حاول مصطفى كامل استخدام الدعوة الى الخلافة العثمانية كسلاح لمناوأة الاحتلال البريطانى خصوصا وان احراج مركز انجلترا فى مصر من الناحية القانونية كان ورقة رابحـــة استغلها مصطفى كامل لاثارة الدول الأوربية على انجلترا ٠

٣ ـ مصطفى كامل والدولة الأوربية :

رأى مصطفى كامل أن الدعاية للقضية المصرية فى الخارج تعتبر أقوى سلاح يشهره فى وجه الاحتلال خصوصا وان المســألة المصرية كانت مجهولة لدى الرأى العام الأوربى ، بل كانت الفكرة الذائعة عن المصريين أنهم راضون عن الاحتلال [٥٠] ، وأنه « من غير اللائق بأوربا أن تجبر انجلترا على الجلاء وتحرم الأمة المصرية من فوائد الاحتلال، ويستدلون على رضاء المصريين بسكوتهم وعدم قيامهم ضد الاحتـــلال لا بالسيف ولا بالنيران [٥١] » ٠

وقد بدأ مصطفى كامل دعايته للقضية المصرية فى أوربا برحلة الى فرنسا فى مايو ١٨٩٥ وكان وقتذاك فى الحادية والعشرين من عمره فلفت الأنظار اليه ، وقد استفاد مصطفى كامل من التنافس بين انجـــلترا وفرنسا فى احراج مركز الاحتلال ٠

وقد أوضح مصطفى كامل خطوط سياسته للدعاية للقضية المصرية فى أوربا فى رسالة الى جوليت آدم بقوله « لعلك ترين أنى أجمع حول مسألتنا من العواطف ما يصل اليه جهدى فانى أنشر الحقيقة فى كل مكان وفى جميع البلاد أجعل أعداء المحتلين أكثر مما كانوا ، ان مركزنا يشبه من جميع الوجوه مركز رجل فى داره لص يسرق ويحرق ما يجده فى طريقـــه ويذبح كل شىء ، فواجب صاحب الدار التعس أن يصيح

---

(٥٠) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٤٩

(٥١) مذكرات محمد فريد : مظروف رقم ١ ، ص ٢ ، رسالة من مصطفى كامل الى محمد فريد .

برجال الشرطه ويستغيث بكل انسان ، فنحن كذلك نستغيث بالجميع ، ولا نود أبدا أن تشترك أمة حرة من أمم أوربا او غيرها مع انجلترا ضدنا ونعمل على خسارتنا (٥٢) » •

والجدير بالذكر أن مصطفى كامل لم يقصر نشاطه السياسى والصحفى على فرنسا وحدها بل تردد على كثير من دول أوربا ولا سيما ألمانيا والنمسا والمجر •

وظل مصطفى كامل على ولائه لفرنسا يأمل منها العون حتى جاء حادث فاشوده عام ١٨٩٨ ثم الاتفاق الودى عام ١٩٠٤ فاتضح له أن فرنسا لا تعمل الا ما فيه مصلحتها فقط ومنذ ذلك الحين أخذ مصطفى كامل ينتقد سياسة فرنسا ويبدو ذلك واضحا فى قوله « اننا انتقدنا السياسة الفرنسية : وقلنا غير مرة انها لا تليق بحكومة الجمهورية ولولا هذه السياسة العرجاء لما كانت انجلترا فى مصر ولما كنا فيما نحن فيه (٥٣) » •

واذا كان البعض قد أخذ على مصطفى كامل عدم فهمه لألاعيب السياسة الأوربية فاننا نرى أنه كان لمصطفى كامل وللخديو عباس الثانى أيضا العذر فى اعتمادهما على أوربا حيث ان سياسة دولها الاستعمارية لم تكن قد استقرت بعد بل كانت المنافسات على أشدها بين هذه الدول • ولما أحس مصطفى كامل أن هدفه فى اجلاء الانجليز عن مصر لا يتحقق عن طريق أوربا أخذ فى الاعتماد على الجماهير المصرية وخصوصا الطبقة المثقفة منها •

---

(٥٢) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية رسالة من بودابست ارسلها مصطفى كامل الى جوليت آدم فى ٢٨ مارس ١٨٩٧ ، ص ٤١

(٥٣) اللواء : فى ١٥ مايو ١٩٠٠

٤ ــ اتجاه مصطفى كامل الى الجماهير (الطبقة المثقفة) :

بعد فشل تجربة مصطفى كامل فى الاعتماد على الخديو وفرنسا لم يجد أمامه غير الشعب المصرى ، فرأى ضرورة الاعتماد عليه لأنه صاحب الشأن الأول وينبغى أن يكون المحرك الأول للمسألة المصرية ، ولما كان تكوين الرأى العام المستنير لا يتأتى الا بتثقيف وتعليم الشعب حتى يعلو شأن المصرى ويكون كفؤا لوسائل الحياة التى هى العلم والعمل [٥٤] ، فقد تبنى مصطفى كامل انشاء المدارس وتأسست مدرسة باسمه لهذا الغرض فى عام ١٨٩٩ ، كما تأسست اللواء فى ٢ يناير ١٩٠٠ لتكون مدرسة لتعليم الشعب دروس الوطنية [٥٥] .

ولكى ينزع مصطفى كامل الخوف من قلوب مواطنيه أوضح لهم على صفحات اللواء « أن الشعب هو القوة الوحيدة الحقيقية وهو السلطان الذى يخضع لارادته أكبر العظماء وأعظم الأقوياء وأن رجال الحكومة ليسوا الا وكلاء عنه [٥٦] » .

وقد وصل مصطفى كامل الى أفئدة الشعب المصرى عن طريق الحديث عن الماضى فتغنى بمصر وأهلها فى شاعرية دفاقة مثال ذلك « اسألوا العالم يجبكم أن مصر جنة الدنيا ، وأن شعبا يسكنها ويتوارثها لأكرم الشعوب اذا أعزها ، وأكبر جناية عليها وعلى نفسه اذا تسامح فى حقها وسلم أزمتها للأجنبى » وقوله « انى لو لم أولد مصريا لوددت أن أكون مصريا » وهكذا نجح مصطفى كامل فى استمالة العواطف الكامنة فى نفوس الوطنيين من أجل خدمة قضيتهم [٥٧] .

---

(٥٤) اللواء : العدد ١٠٢٢ فى ١٠ فبراير ١٩٠٣ تحت عنوان « شوارد عن الشرق » .

(٥٥) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ، ص ٥٥

(٥٦) اللواء : العدد ٣٥ فى ١٠ فبراير ١٩٠٠ مقال لمصطفى كامل تحت عنوان « حقوق الشعب وواجباته » .

(٥٧) د. لويس مليكه : سيكلوجية الجماعات والقيادة ــ ديناميات الجماعة جـ ١ ، القاهرة ــ النهضة المصرية ١٩٦٣ ، ص ٤٤ ، ١١٤

وهكذا قام مصطفى كامل بدور الزعيم الذى يقود أمته وفقا لأفضل المصالح فما لبث الشعب أن آمن بأفكاره واعتنق مبادئه .

وقد نجح مصطفى كامل فى جذب الشباب المثقف الى حركته وساعده على ذلك قدرته على مواكبة الأحداث فكان سياسيا ثوريا ودبلوماسيا موهوبا وخطيبا مفوها وصحفيا مشهورا [٥٨] لدرجة أنه نجح فى السيطرة على طلاب المدارس العالية وغيرها فأحبوه وأطاعوا جميع أوامره وساروا على هدى توجيهاته [٥٩] .

ويرجع اهتمام مصطفى كامل بالطلبة الى أن باقى طبقات المجتمع لم تكن مؤهلة للتصدى للاحتلال فى ذلك الوقت .

وتحليلا لما سبق يتضح أن سياسة مصطفى كامل كانت تتركز على الآتى :

١ — محاربة الاحتلال والعمل على اجلائه والتنديد بسياسته .

٢ — الاستعانة بالخديو فى مقاومة الاحتلال لعدم قدرة الحركة الوطنية على الصمود أمامه وحدها فى أول الأمر .

٣ — الاستنجاد بدول أوربا وخصوصا فرنسا (ولكن حادث فاشودة جعل مصطفى كامل يعيد حساباته) .

٤ — التمسك بالتبعية الاسمية لتركيا حتى لا تقف بجانب انجلترا ضد مصر .

٥ — الاستفادة من كل خطأ يقع فيه المحتلون والتشهير به .

٦ — الاعتماد على الجماهير المصرية وبث روح الثقة فيهم .

---

(58) Safran, Nadav. Egypt in Search of Political Community. 1961. p. 85.

(59) Landau : op. cit., p. 123.

وهكذا نجح مصطفى كامل الذى لم تكن لديه وزارة أو مصلحة استعلامات ، ولم يمتلك مالا ، فى أن يقوم بحركة دعاية واسعة النطاق للقضية المصرية تعجز عن القيام بها مجموعة ضخمة من الأفراد (٦٠) ، وأن يوضح للرأى العام العالمى عدالة القضية المصرية وكراهية الشعب المصرى للاحتلال .

٥ ــ أهداف مصطفى كامل والخديو من مقاومة الاحتلال :

وضع مصطفى كامل أمامه هدفا واضحا وهو الجلاء وعدوا واحدا وهو الاحتلال أما عن المسائل الأخرى مثل الحياة النيابية وعلاقة مصر بالدولة العثمانية وغيرها فقد رأى تركها حتى يتخلص المصريون من الاحتلال أولا ، وقد أوضح الأستاذ شفيق غربال هذه الفكرة بقوله : « ان أبسط استجابة كانت استجابة مصطفى كامل نحو سياسة الاحتلال اذ تقوم على قاعدة خالية من كل تعقيد أو من كل شطارة لمصر عدو واحد هو الاحتلال ولمصر مقصد واحد هو الجلاء وما عدا ذلك فتفصيل له وقته الاصلاح الحكومى وغير الحكومى ، الحكومة النيابية ، تسوية أمر الامتيازات السيادة العثمانية كلها أشياء حقا مهمة ، وأشياء ينبغى ألا تهمل ولكنها لا ينبغى مطلقا أن تطغى على المقصد الأساسى الجلاء أو تضعف من مقاومة العدو الأصلى وهو الانجليز (٦١) » .

أما عن مصدر العقيدة عند مصطفى كامل فهو حب الوطن حبا خالصا لا يشوبه التفكير فى انتفاع أو فى مصلحة فكانت حملته تستخدم ثلاث وسائل هى :

(١) ألا يأس مطلقا ، ألا تصدقوا أيها المصريون كلام الانجليز وكلام مأجوريهم بأن مركزهم فى مصر لا يتزعزع ولن يتزعزع .

---

(٦٠) المصور : فى ٢٩ نوفمبر ١٩٧٤ .

(٦١) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ج ١ ، ص ٢٧

(٢) لا تثقوا مطلقا بوعودهم ولا تركنوا الى محاولتهم تبسيط مركز البلاد الدولى ، بل تذرعوا بتلك العناصر الدولية والعثمانية التى يكرهها الانجليز ، ويكفى كرههم لها لتمسككم بها .

(٣) لا تصدقوا أن الاحتلال يمكن أن يبطن خيرا لكم أو لبعضكم فهو يفعل ذلك ليفرق كلمتكم ويجعل من بعضكم أعداء البعض الآخر [٦٢] .

وقد سلك مصطفى كامل أسلوب التفاهم مع الخديو فى كفاحه ضد الانجليز ، وكان من مظاهر ذلك الاحتفال بعيد الجلوس الخديوى فى ٨ يناير ١٨٩٣ ، ومع ذلك فقد كانت الخديوية فى نظر مصطفى كامل أداة من أدوات الكفاح لا غاية ، وقد أشار الى ذلك رشيد رضا بقوله : « أخبرنى رفيق بك العظم ، وكان من أصدقاء مصطفى كامل ومحمد بك فريد الركن الأعظم له وللحزب الوطنى بعد تأسيسه أنهما يتخذان الخديو وسيلة لتوحيد سياسة الأمة المصرية على مقاومة الاحتلال فان ظفرت البلاد بجلاء الجيش الانجليزى عنها فان الحزب الوطنى يؤسس لها حكومة لا يكون للخديو ولا لأمثاله أدنى حظ منها [٦٣] » .

ومما لا شك فيه أن مصطفى كامل وجد فى تحالفه مع الخديو سندا قويا له وخصوصا وان الحركة الوطنية كانت أضعف من أن تقف بمفردها ومع ذلك فان مصطفى كامل لم يكن راضيا عن بعض مواقف الخديو أو الحكومة ويوضح ذلك مذكرات محمد فريد اذ تؤكد أن مصطفى كامل كان يعتبر الحكومة خائنة للشعب وأسيرة للانجليز ، ولكنه لم يستطع الافصاح عن ذلك فى بداية كفاحه [٦٤] .

---

(٦٢) نفسه .

(٦٣) تاريخ الأستاذ الامام ج ١ ، ص ٥٩٣ — ٥٩٤

(٦٤) خطابات محمد فريد : مظروف ١ ، خطاب رقم ١ من مصطفى كامل الى محمد فريد ، فينا فى ٢١ أكتوبر ١٨٩٧

وعلى كل حال فان دعوة الجلاء التى نادى بها مصطفى كامل لم تكن أمرا ميسورا فى الوقت الذى ظهر فيه ؛ ولكن الزعيم المؤمن برسالته استطاع اقناع الرأى العام الأوربى بعدالة قضية بلاده .

أهداف الخديو عباس الثانى من مقاومة الاحتلال :

لقد ساير الخديو عباس الثانى الحركة الوطنية حينا وتراجع عنها أحيانا حين تعارضت مصالحه معها ، وبتحليل موقف الخديو يتضح أنه لم يكن راغبا فى مقاومة المعتمد البريطانى الى درجة التفكير فى تصفية الوجود الانجليزى من مصر نهائيا بل كانت معارضته المترددة تستهدف المشاركة فى السلطة فى ظل الاحتلال ومما يوضح ذلك تعديل سياسته تجاه الاحتلال وتخليه عن الحركة الوطنية عندما لمح له الانجليز بارجاع سلطاته فى ظل سياسة الوفاق لذلك فانه يمكن القول بأن موقف الخديو من الاحتلال كان ينصب على الهجوم على سياسة كرومر وليس على الاحتلال من أساسه ، كما كان تعاطف الخديو نحو الحركة الوطنية أسلوبا من أساليب الضغط على سياسة كرومر [٦٥] .

لقد اتخذ الخديو من الحركة الوطنية ورقة يستطيع أن يساوم بها الانجليز حتى يسترد ما فقده من سلطة لدرجة أنه نفى عن نفسه تهمة العمل ضد الاحتلال فى حديث له مع المستر دايسى Dicey والذى صرح فيه بأن المعتمد البريطانى لا يستطيع وحده أن يحكم مصر ، وأنه مستعد للتعاون معه ، وأن الاحتلال البريطانى أفضل من أى احتلال آخر .

هذا هو ما يفرق بين مصطفى كامل والخديو ، فبينما كان مصطفى كامل يتحالف مع كل القوى المعادية للاحتلال بهدف اجلاء الانجليز عن مصر ، كان الخديو يهدف الى الضغط على الحكومة البريطانية حتى تمكنه من استرداد سلطاته التى سلبها منه المعتمد البريطانى كرومر .

---

(٦٥) د. محمد انيس : صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ، ص ١٢

٥ — نشاط مصطفى كامل فى أوربا وعلاقته بجوليت آدم :

استغل مصطفى كامل الصفة الدولية للمسألة المصرية ورأى ضرورة استغلال العناصر الدولية الكارهة للاحتلال وفى مقدمتها فرنسا لصالح قضية بلاده فزاد نشاطه فى أوربا وذكر أنه موفد من قبل الحزب الوطنى المصرى [٦٦] ، وأثناء عودته من فرنسا الى مصر بعد اتمام دراسته فى الحقوق تصادف أن تقابل مع الكولونيل « بارنج » شقيق اللورد كرومر على ظهر الباخرة التي أقلته عند عودته الى مصر فى ٢٨ يناير ١٨٩٥ ، وقد انتهز مصطفى هذه المقابلة ليرفع صوته بالدفاع عن قضية استقلال مصر [٦٧] فتناقش مع بارنج فى المسألة المصرية موضحا تنكر انجلترا لوعودها بالجلاء وكان رد بارنج أنه يرى ضرورة بقاء الاحتلال ثم تطرق الموضوع عن الحديث عن جدوى مساعدة أوربا لمصر[٦٨] وقد أثار هذا الحديث ضجة كبيرة بعد أن نشرته الأهرام تحت عنوان : « حديث له شأن [٦٩] » فهاجمته المقطم واعتبرته مجرد حديث وهمى [٧٠] فكان رد مصطفى كامل على ذلك بأن من لم يصدق الحديث عليه أن يسأل الكولونيل « بارنج » نفسه [٧١] .

وقد سار مصطفى كامل فى جهاده بالدعاية للقضية المصرية فى أوربا كما حرص على دعوة كبار الساسة الأوربيين لزيارة مصر ، وقد قبل هذه الدعوة الصحفى دلونكل عضو مجلس النواب الفرنسى وحضر الى مصر فى ٢١ مارس ١٨٩٥ [٧٢] للاطلاع على أحوالها السياسية فاستقبله

---

(٦٦) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ، ص ٥٢

(٦٧) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٤٧

(٦٨) احمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٥٤ — ٥٧

(٦٩) الأهرام : فى ٢٨ يناير ١٨٩٥

(٧٠) المقطم : فى ٢٨ يناير ١٨٩٥ تحت عنوان « حديث وهمى » .

(٧١) الأهرام : فى ٤ فبراير ١٨٩٥

(٧٢) محمد حسين هيكل : المرجع السابق ، ص ٥٩
عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية جـ ٥ ، ص ٧٦

مصطفى كامل وعديد من الوطنيين فى مظاهرة وطنية كما صحبه فى تنقلاته وقدمه الى اخوانه ومعارفه من الوطنيين [٧٣] .

وظل دلونكل بمصر حوالى عشرين يوما التقى خلالها بالخديو ، وتم الاتفاق بينهما على أن يسافر مصطفى كامل الى باريس للدعاية للقضية المصرية على أن يقدم له دلونكل كل التسهيلات اللازمة [٧٤].

ولقد كان على مصطفى كامل أن يتعاون مع دلونكل فى باريس ولكن هذا التعاون لم يستمر طويلا حيث تبين أن دلونكل لا يرضى عن وجود شاب مصرى يعمل من أجل قضية بلاده فيحجبه عن الموقف لذلك أخذ فى مضايقة مصطفى كامل واثارة المتاعب أمامه فى فرنسا وفى أوساط السراى فى مصر [٧٥] .

ولما رأى مصطفى كامل أن دلونكل يتخذ من القضية المصرية سبيلا للشهرة ولاحراز مكاسب شخصية أخذ يبحث عن عضد آخر يقف بجانبه فى فرنسا فانفتح على المجتمعات السياسية والأدبية فى فرنسا فوجد منها الكراهية الشديدة لاحتلال انجلترا لمصر [٧٦] .

وفى ٥ يونيه ١٨٩٥ قدم مصطفى كامل الى سكرتارية مجلس النواب الفرنسى لوحة تحمل عبارة « نداء الى فرنسا محررة الشعوب لانقاذ الشعب المصرى [٧٧] » وهذه اللوحة تمثل فرنسا وهى واقفة فى قونس نصر يجرى النيل من تحته وتقف بجانبها أمريكا وبلجيكا وايطاليا

---

(٧٣) الرافعى : المرجع السابق : ص ٤٩

(٧٤) عصام ضياء الدين : الحزب الوطنى والنضال السرى . رسالة ماجستير غير منشورة ، ص ١٤

(٧٥) د. محمد انيس : صفحات مطوية ، ص ١٧

(76) Landau : op. cit., p. 108.

(٧٧) قام بتصميم هذه اللوحة « مسيو فليبوبونو » أستاذ الرسم الفرنسى .
أحمد شفيق : اعمالى بعد مذكراتى ، ص ٣٤٢

صربيا ، وفى أسفل اللوحة صورة تمثل مصر وهى مقيدة بأغلال الانجليز ، وقد تقدم جماعة من المصريين الى فرنسا يستنجدونها لفك قيد وطنهم (٧٨) ونقش على اللوحة بالعربية والفرنسية هذه الأبيات :

أفرنسا يا من رفعت البلايا
عن شعوب تهزها ذكراك

انصرى مصر ان مصر بسوء
واحفظى النيل من مهاوى الهلاك

وانثرى فى الورى الحقائق حتى
تجتلى الخير أمة تهواك

وبعد أن قدم مصطفى كامل اللوحة الى مجلس النواب الفرنسى طبع منها ستة آلاف نسخة (٧٩) وزع بعضها على صحف وكتاب وسياسى العالم .

وترجع أهمية هذا العمل الى أنه لفت الأنظار الى المسألة المصرية (٨٠) وأحدث ضجة كبيرة فى الصحف فقد نشرت شركة هافاس تفصيل اللوحة كما نشرت الجرائد الفرنسية الخبر مما أحدث تأثيرا كبيرا بين الفرنسيين الذين اعتبروا هذا العمل استنجادا بفرنسا لابد أن تنهض له . يضاف الى ذلك أن الجرائد الانجليزية علقت على هذا الموضوع مما زاد هذا العمل أهمية وجعل تأثيره شاملا (٨١) .

---

(٧٨) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ، ص ٥٢

(٧٩) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، ص ٢٠٠

(٨٠) محمد حسين هيكل : المرجع السابق ، ص ٥٢ — ٥٣

(٨١) د. محمد انيس : صفحات مطوية ، رسالة من مصطفى كامل الى عبد الرحيم أحمد فى ٨ يونيو ١٨٩٥ .

والجدير بالذكر أن نشاط مصطفى كامل فى أوربا لم يقتصر على فرنسا وحدها بل امتد الى النمسا فذهب مصطفى الى عاصمتها فينا كما سافر الى برلين وبودابست واتصل بكبار السياسيين والصحفيين وكسب من الأنصار لقضية بلاده [٨٢] .

وفى ١٤ أغسطس ١٨٩٥ نشر مصطفى كامل أولى رسائله السياسية بالفرنسية تحت عنوان (أخطار الاحتلال البريطانى) أوضح فيها للعالم الأوربى أن الاحتلال لم يكن خطـرا على حقوق مصر فحسب بل على المصالح الأوربية عامة كما تضمنت هذه الرسالة شرحا وافيا للمسـألة المصرية ، وقد أرسل مصطفى كامل نسخا من هـذه الرسالة الى رجال السياسة والصحف الشهيرة بأوربا [٨٣] وبذلك استطاع أن يوضح لقراء الصحف الأوربية حقيقة المسألة المصرية ووقائعها وأساليب ساسة انجلترا فى حكم مصر .

ونتيجة للقطيعة التى حدثت بين مصطفى كامل والمسـيو دلونكل اتصل الزعيم الشاب بالسيدة الفرنسية جوليت آدم Juliette Adam صاحبة المجلة الشهيرة لانوفيل ريفو La Nouvelle Revue وكان تعرف مصطفى كامل بها حدثا هاما فى حياته السياسية لأنهـا كانت من أبرز شخصيات فرنسا فى عالم الوطنية والسياسة والأدب [٨٤] ، وقد اطلع مصطفى كامل على مجلتها ، ووقف على مثلها العليا التى تحرك قلمهـا كما أراد أن ترشده بنصائحها بعد أن وجد فيها أما روحية [٨٥] فأرسل لها خطابا أوضح فيه حبه لوطنه وآماله الكبار فى نهضة بلاده فقـال : « انى لا أزال صغيرا ولكن لى آمالا كبارا ، فانى أريد أن أوقظ فى مصر

---

(٨٢) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٧٣
(٨٣) ترجمت جريدة المؤيد هذه الرسالة ونشرتها فى عددها الصادر بتاريخ ٢٨ اغسطس ١٨٩٥
(٨٤) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٥٨
(٨٥) احمد رشاد : مصطفى كامل حياته وكفاحه ، ص ٧١

الهرمة مصر الفتاة .. هم يقولون أن وطنى لا وجود له ، وأنا أقــول يا سيدتى أنه موجود ، وأشعر بوجوده بما آنس له فى نفسى من الحب الشديد الذى سوف يتغلب على كل حب سواه وسأجود فى سبيله بجميع قواى وأنديه بشبابى ، وأجعل حياتى وقفا عليه (٨٦) » ثم طلب منهــا المعونة لمــا تتميز به من الوطنية والدفاع عن الحق فقال : « وقد قيل لى أكثر من مرة أنى أحاول محالا ، وحقيقــة تصبو نفسى الى هــذا المجال ، فأعينينى يا سيدتى فانك من الوطنية بمكان يفردك بمزية تقدير قولى ، وتقوية عزمى ومساعدتى (٨٧) » .

وقد ردت جوليت آدم على خطاب مصطفى كامل برسالة أوضحت فيها استعدادها لمعونته ، كما فتحت له أبواب مجلتها لكى ينشر فيهــا مقالاته كما فتحت له أيضــا أبواب الصحافة الفرنســية وعرفته بكبار الرجال فى فرنسا ؛ كما رتبت له مقابلة مع المسيو دلكاسيه وزير الخارجية الفرنسية عرض فيهــا مصطفى كامل تطورات القضــية المصرية منتقدا سياسة فرنسا فى مصر (٨٨) .

وقد تتبعت جوليت آدم أحوال القضية المصرية وكانت بالنســبة لمصطفى كامل بمثابة الأم ، وكان مصطفى كامل لا يقــدم على الأمور الهامة فى أغلب الأحيان الا بعد استشارتها ويتضح ذلك من خطاباته التى كان يرسلها لها « انك الوحيدة التى تستطيعين أن تقولى لى اذا كنت فى الطريق السوى أم لا » .

« ان جراحاتى الوطنية تسيل منها الدماء بغزارة ، وانى فى حاجة

---

(٨٦) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية ، ص ٣ — ٧ رسالة من مصطفى كامل الى جوليت آدم بتاريخ ١٢ سبتمبر ١٨٩٥ .

(٨٧) جوليت آدم : انجلترا فى مصر ، ص ٢٢٣ .

(٨٨) مذكرات محمد فريد : مظروف رقم ١ خطاب من مصطفى كامل الى محمد فريد فى ١٠ أغسطس ١٨٩٨ .

الى وجودى بجانب القلب الذى يحبنى ويفهمنى ويمدنى بحيويته » ، « انى سأظل مدى الحياة أوفى أولادك وأكثرهم ولاء لك » ، « وعندما تثبط همتى أبعث بروحى لترتوى من منهل الأمومة الذى كثيرا ما شد أزرى [٨٩] » .

ونتيجة لتوثق صلة مصطفى كامل بجوليت آدم ازداد نشاطه فى أوربا حتى وصل الى انجلترا نفسها فقد أرسل مصطفى كامل الى المستر جلادستون رئيس الوزراء الانجليزى الأسبق بعدة رسائل يبسط فيها أمانى مصر الوطنية التى تنحصر فى جلاء الانجليز عنها [٩٠] كما عمل على تشكيل كتلة من دول أوربا وبالذات من فرنسا وألمانيا وروسيا لمناصرة القضية المصرية ، وحداه الأمل فى اجلاء الانجليز عن مصر فى مدة لا تزيد عن عام ونصف [٩١] .

وقد ظلت جوليت آدم تتبع نشاط مصطفى كامل . وظل مصطفى كامل يحيطها بما يجول فى نفسه ويزف اليها أخباره فعندما عزم على تأسيس اللواء أرسل لها يبلغها بذلك فردت عليه مشجعة ومهنئة [٩٢] .

وعندما وقع حادث فاشودة لم يتردد مصطفى كامل فى انتقاد سياسة فرنسا والاعراب عن أسفه لموقفها غير المشرف فأرسل الى جوليت آدم يقول : « أنت الوحيدة التى تمثلين أمام عينى فرنسا القديمة ، فرنسا الهمة والاقدام ! ان السياسة الأوربية تبغض الى بكل جوارحى المدنية الحديثة ، ولكن السياسة الفرنسية تعكس أمرى وتجعلنى

---

(٨٩) انظر : رسائل مصرية فرنسية .

(٩٠) عن هذه الرسائل ورد جلادستون عنها .
انظر : الرافعى ـ مصطفى كامل ، ص ٦٤ ــ ٦٨ .

(٩١) مذكرات مصطفى كامل : خطابات من رقم ١ الى رقم ٤ من ٨ يونيو الى ٦ يوليو ١٨٩٥

(٩٢) على فهمى كامل : المرجع السابق ، ص ٥٩ ــ ٦١

ذاهــلا أمام التناقض الغريب المســطور فى تاريخها عجبــا ! أنسيت فرنسا فاشودة ؟ [٩٣] » ٠

ولكى يوطد مصطفى كامل علاقة الود بينه وبين جوليت آدم دعاها الى زيارة مصر فلبت الدعوة وجاءت اليها فى ١٩ يناير ١٩٠٤ فاستقبلها مصطفى كامل وزملاؤه الوطنيون استقبالا حافلا ، وقد لبثت جوليت آدم بمصر نحو ثلاثة أشهر [٩٤] شهدت خلالهــا عدة مآدب [٩٥] كما أنهــا حضرت حفل توزيع الجوائز على الطلبة المتفوقين فى مدرســة مصطفى كامل يوم ١٩ فبراير ١٩٠٤ [٩٦] ، وفى مساء ٢٤ فبراير أولم الخــديو عباس الثانى وليمة عشاء فاخرة فى قصر القبة تكريما لجوليت آدم[٩٧] .

وقد غادرت جوليت آدم مصر بعد أن شــاهدت الحركة الوطنية التى بعثها مصطفى كامل وما أن وصلت الى بلادها حتى نشرت مقالين عن رحلتها لمصر فى مجلتها « لانوفيل ريفو » الأول تحت عنوان « مصر الفتية » والآخر تحت عنوان « فرنســا ومصر » انتقدت فيه تخــاذل سياسة فرنسا تجاه مصر كما أوضحت « أن كل الاصلاحات التى تمت بمصر وضع أساسها الفرنسيون ثم ادعاها الانجليز لأنفسهم » .

وقد ترجم مصطفى كامل المقالين فى اللواء ، مما أثار حفيظة اللورد كرومــر الذى اعتبر استقبال الخــديو لجوليت آدم عمــلا عدائيــا للانجليز [٩٨] فأرسل الى حكومته التى طلبت منه أن يخبر الخديو بأن يبتعد عن كل ما يؤدى الى الاعتقاد بأنه موجه ضد بريطانيا فكان رد

---

(٩٣) على فهمى كامل : ص ٦٩ خطــاب ارسله مصطفى كامل من بودابست الى مدام جوليت آدم فى ٢٨ يونيو ١٩٠٠

(٩٤) جوليت آدم : المرجع السابق ، ص ٢٠٦

(٩٥) احمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، المجلد الثانى ، ص ٣٩

(٩٦) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٦٨

(٩٧) نفســه .

(٩٨) على فهمى كامل : المرجع السابق ، ص ١٢٥ ــ ١٣٥ .

الخديو أنه يعرف جوليت آدم منذ سنوات وأنها استضافته أثناء زيارته لفرنسا وكان من الواجب رد هذه الزيارة بدعوتها الى مأدبة عشاء خالية من أى مغزى سياسى •

ورغم تخلى فرنسا عن مصر وعقدها الاتفـــاق الودى مع انجلترا عام ١٩٠٤ فان علاقة مصطفى كامل بجوليت آدم كانت فوق مستوى الأحداث • حقيقة أنه عبر لها عن استيائه واستياء المصريين من الاتفاق بقوله : « ان مواطنى يكرهون اليوم فرنسا أكثر من انجلترا نفسها[٩٩] » ولكنه ظل على اتصال بها يخبرها بما حققه لوطنه ، وما تعانيه بلاده من آلام ، كمـا كان يوضح لها ظروفه الصحية ، وقـد ظل على ذلك حتى وافته المنية •

ومما سبق يتضح أن مصطفى كامل قام بالدعاية لقضية مصر فى الخارج مستهدفا ما يلى :

١ ـ توضيح القضية المصرية أمام الرأى العام الأوربى واظهار رغبة المصريين فى اجلاء الانجليز عن مصر •

٢ ـ كسب أصدقاء جدد للقضية المصرية فى أوربا •

---

(٩٩) على فهمى كامل : المرجع السابق ص ١٣٥ ، خطاب بتـاريخ ١٠ مايو ١٩٠٤

الفصل الرابع

مقاومة الخديو للاحتلال (١٨٩٤ ــ ١٨٩٨)

١ ــ الوفاق الظاهرى والمقاومة السرية .

٢ ــ مقاومة الخديو والحركة الوطنية للاحتلال اثناء فتح السودان .

٣ ــ قضية التلغراف ومحاكمة الشيخ على يوسف .

٤ ــ تطور العلاقة بين الخديو والسلطان .

يعتبر حادث الحدود نقطة تحول فى العلاقة بين الخديو وكرومر وبالرغم من أن الخديو لم يكف عن مقاومة الاحتلال الا أنه أصبح أكثر حرصا يتبع سياسة المقاومة فى الباطن بينما يعلن سياسة الوفاق Conceliation وعلى كل حال فانه يمكن تقسيم هذه الفترة الى قسمين قسم يبدأ من عام ١٨٩٤ وحتى فتح السودان ١٨٩٦ ويتميز باتباع الخديو لوسائل المقاومة السرية ، والقسم الآخر ويبدأ بفتح السودان وفيه يخرج الخديو عن سياسته ويقف علانية ضد مطامع الانجليز فى السودان [١] .

وكانت الرغبة الملحة التى واجهت الخديو بعد أزمة الحدود هى التخلص من وزارة رياض ولكن كرومر كان يعارض فى أى تغيير وزارى بناء على طلب الخديو ، كما أنه وجد أن اقالة من نصح الخديو بالتسليم بمطالب الانجليز يعتبر مبدأ غير مشجع للوزراء الآخرين على الاستمرار فى هذه السياسة ولكن الخديو تغلب على ذلك بتوسيط الأميرة نازلى فاضل صديقة الانجليز [٢] . ولما أحس رياض بما يدور خلف الكواليس قدم استقالته فى أبريل ١٨٩٤ فعهد الخديو برئاسة الوزارة الى نوبار باشا ، وكان من المنتظر أن تكون وزارة نوبار وزارة وفاق ولكن كل من الخديو وكرومر لم يكونا متشبعين بسياسة الوفاق فاتبع نوبار سياسة الخضوع الكامل للأحتلال مما أثار المشاكل بينه وبين الخديو ومن ثم بين الخديو والاحتلال [٣] . ونتيجة لذلك بدأ الخديو يتودد للاحتلال

---

(١) د. المسدى : المرجع السابق .

(٢) الأميرة نازلى هانم بنت الامير مصطفى فاضل باشا اخ الخديو اسماعيل كانت من أنصار الانجليز وعشاقهم ، فقد تربت تربية أوربية وكانت على علاقة وطيدة بالانجليز .

انظر : مذكرات محمد فريد ، ملف رقم ٢ ، ص ٦٥

(٣) المسدى : المرجع السابق .

كما أرسل يستدعى مصطفى كامل من أوربا . ولكن مصطفى كامل رفض الانصياع لطلبه وأرسل اليه خطابا قال فيه « رأيت من الحكمة أن أؤخر عودتى صيانة لكرامة سموكم ، اذ أنى لو كنت عدت حينذاك لتحقق للانجليز من أنى مرسل الى أوربا من قبل جنابكم ؛ وأحببت أن أبرهن لسموكم بتأخيرى عن الحضور أن ليس هناك شىء ما وراء التهديرات الانجليزية ، وأن الانجليز لا يستطيعون ولن يستطيعوا أن يضروا سموكم » .

ومن هذا الخطاب يتضح رفض مصطفى كامل اتباع أوامر الخديو بالعودة الى مصر ووقف حملاته فى أوربا ضد الانجليز خوفا على عرشه ونفسه موضحا أن الانجليز لا يمكنهم الاساءة اليه بسبب جهاده لأنهم لو تمكنوا من ذلك لفعلوه منذ زمن طويل .

ولما أحس كرومر بخطورة دور مصطفى كامل فى التشهير بسياسة الاحتلال فى مصر أراد التخلص منه بادخاله الجيش برغم تمتعه بالاعفاء القانونى (٤) .

ولكن مصطفى كامل كشف حيلتهم وأوضح أنه كان غائبا فى أوربا ولم يصله اعلان بذلك (٥) .

ونظرا لتغير الظروف الدولية عاد الخديو الى سياسة مقاومة الاحتلال وبوجه خاص بعد أن ساءت علاقة ألمانيا بانجلترا نتيجة لأزمة جنوب أفريقيا كما أن فرنسا بدأت تنظر الى دور انجلترا فى اعادة

---

(٤) نص قانون التجنيد فى مصر فى ذلك الوقت على اعفاء حمله المؤهلات العالية من الخدمة فى الجيش بشرط أن يقدم الشخص ما يثبت مؤهله خلال ثلاثة أشهر .

الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٩٠

(٥) عن تفاصيل هذا الموضوع انظر : على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا : الجزء الخامس ، ص ١٨٦ — ١٩٣

فتح السودان نظرة ريب ، وبذلك شعر الخديو بحرج موقف انجلترا ، ولما كانت تركيا قد خرجت من اضطرابات الأرمن ، وحرب اليونان منتصرة فقد أصبح ممكنا الاستفادة من السلطان فى مقاومة انجلترا فى مصر ، وقد دفع ذلك الخديو الى زيارة الآستانة وتوطيد الصلة بينه وبين السلطان الى حد كبير [٦] لدرجة أن الخديو رغب فى الزواج من احدى بنات السلطان ولم يمانع السلطان فى ذلك لولا دسائس أبى الهدى الصيادى عند السلطان بخطورة هذا الزواج وايهامه بأنه اذا أنجبت كريمته ذكرا فلا يستبعد أن يرشحه الانجليز للخلافة ، وبذلك تنتقل الخلافة من تركيا الى مصر ، مما جعل السلطان يحجم عن اتمام هذا الزواج حرصا على مركز الخلافة [٧] .

أما الانجليز فقد قاموا بالضغط على السلطان حتى لا يشجع الخديو فى حركته المضادة لهم ، ونجحوا فى ذلك اذ « أن السلطان نصح الخديو بطريقة أبوية أن يفوض أمره الى الله [٨] » فعاد الخديو الى مصر خصما مؤدبا ذليلا بعد أن ذهب الى الآستانة شاهرا سلاح الحرب [٩] ، ولكن الأحوال لم تستمر على هذا المنوال اذ أن الخديو بدأ يقاوم طلب الانجليز فى اعادة فتح السودان .

مقاومة الخديو والحركة الوطنية للاحتلال أثناء فتح السودان :

اعتبرت انجلترا أن سوء ادارة الحكم المصرى فى السودان هو الذى أدى الى ضياعه ، ولكن الوقائع أثبتت أن انجلترا عملت منذ بداية احتلالها لمصر على تصفية الوجود المصرى فى السودان ثم استغلال الأوضاع الدولية لوضع يدها عليه .

---

(6) Ahmed Shafik Pacha : l'Egypte Moderne et les Influences et rangeres p. 170.

(٧) احمد شفيق : المرجع السابق جـ ٢ ، القسم الأول ، ص ١٥٦.

(٨) نفسه ص ١٤١ .

(9) Cromer : Abbes II p. 54.

ولمـا تطورت الأحداث الدولية فى مارس ١٨٩٦ بهزيمـة القوات الايطالية على يد الأحباش شعر الطليان بأن الخطر يتهددهم من جانب الأحباش ومن جانب المهدية ، لذلك استنجدت الحكومة الايطالية بانجلترا للقيام بعمليات حربية فى السودان حتى لا يتحد الأحباش والسودانيون ضد أوربا (١٠) .

واستجابت بريطانيا لنداء ايطاليا وشجعها على ذلك رغبتها القديمة فى استعادة السودان ، فأبرقت الى معتمدها فى مصر بالأمر فاتفق مع السردار على الخطة العامة لاعادة فتح السودان وبدأ فى تنفيذها قبـل اعلان الخبر للخديو والحكومة المصرية (١١) .

ومع أن المصريين كانوا قد حزنوا لضياع السودان واستمسكوا بارتبـاط السودان بمصر وآثر شريف باشا الاسـتقالة احتجاجا على اخلائه وتحمس المصريون فى أول الأمر لاعادة فتح السودان فان هذا الحماس قد فتر بعد أن اعتقدوا أن هـذا الفتح سيكون فى صـالح بريطانيا حيث سيضمن لها بقاء مصر فى حوزة امبراطوريتها ويتضـح من قول أحد الأنجليز المعاصرين « اننا سنحكم مصر اذا تواجدنا عند منابع نهر النيل (١٢) » بمعنى أن تواجد انجلترا فى السودان سيطيل أمد احتلالها لمصر .

وقد اعترض الخديو عباس الثانى على الحملة صراحة كما اعترضت جرائد السراى والجرائد الوطنيـة (١٣) ، ولكن الخـديو اضطر تحت

---

(١٠) مكى شبيكة : السودان فى ترن ١٨١٩ — ١٩١٩ . القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧ ، ص ٢٧٤ — ٢٧٥

(١١) نفسـه : ص ٢٧٥

(12) Langer. W. L. The Diplomacy of Imperialism 1890 - 1902 Vol. 1 New York p. 127.

(١٣) قامت جريدة المؤيد بحملة كبرى ضد ا ادة فتح السودان ، أنظر أعداد ١٨ — ٢٨ مارس ، ١٥ أبريل ، ١ مايو ١٦ يونيه ، ٢٦ أغسطس ١٨٩٧ ، ٢ أغسطس ، ٢٠ سبتمبر ١٨٩٨

تهديدات كرومر الى اقرارها وبوجه خاص بعد أن رأى الوزراء المصريين قــد وافقوا عليهــا وأن ألمــانيا وتركيا لم تبــديا اعتراضا واضحا على الحملة .

أما عن رأى الحركة الوطنية فى فتح السودان فقد أوضحه مصطفى كامل بقوله « اننا نود من صميم قلوبنا أن نسترد المقاطعات السودانية التى هى لبلادنا الروح نفسها .. ولكنا ما أردنا قط ولا نريد أبدا أن نسترجع السودان تحت قيادة الانجليز وبوجودهم على رأس الجيش يحفرون بيننا وبين السودانيين حفرة من أعمق الحفر تؤخر لزمن مديد صلحنا معهم [١٤] » كما أوضح أن اعادة فتح السودان سيؤدى الى اطالة أمد الاحتلال البريطانى لمصر [١٥] .

وقــد قام مصطفى كامل بحملة شديدة ضد فتح السودان موضحا أن هدف الانجليز منه هو تحويله الى مستعمرة بريطانية .

وخلال عمليات الفتح وبعــدها قاسى الجيش المصرى الكثير من المتاعب نتيجة للتغيير الشديد الذى اتبعه كتشنر ، فلم يستطع أفــراد الحملة الحصول على القدر الكافى من الغــذاء والكســاء ووصل الأمر بالجنود أن دخلوا دنقلة بأسمال باليــة كما كان على القوات أن تقطع مسافات شاسعة سيرا على الأقدام فى جو السودان الشديد الحرارة لعدم كفاية وسائل النقــل ؛ وكانت قلة وســائل النقل سببا فى نقص الخدمات الطبية ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تخطاه الى سوء المعاملة التى لقيها الجنود المصريون من الضباط الانجليز [١٦] .

---

(١٤) احمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٩٣

(١٥) نفســه : ص ٩١

(١٦) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الثاني والعشرون ١٩٧٥ ، مقال للدكتور المسدى تحت عنوان الاحتلال والحركة الوطنية فى مصر فى أوائل القرن العشرين ، ص ١٢٤ — ١٢٦

يضـــاف الى ذلك أن مصر تحملت الكثير من النفقات أثنـــاء فتح السودان مما أرهق ميزانيتها • فكان السودان مصدر انفاق لا مصدر ايراد لمصر ومع ذلك فان مصر على الدوام لم تبخل بأى تضحية من الرجال والمـــال فى سبيل جمع شمال الوادى بجنوبه [١٧] •

ولكي يحقق كرومر لبـــلاده السيطرة على السودان رأى ضرورة اشتراكها فى الفتح بالتخطيط والقيادة والأموال وتنفيذا لذلك رأى أنه لو أقرضت انجلترا مصر أموالا لمصاريف الحملة فان الأراضى المفتوحة سترهن مقـــابل هـــذا القرض ، وذلك بأن يتولى السردار الانجليزى للجيش المصرى ادارة تلك الأقاليم باسم الحكومة البريطانية حتى يسدد القرض ، وتحت التهديد وافق الخديو على قبول ذلك[١٨] •

كما رأى كرومر أن يتم بيع سكة حديد السودان [١٩] الى شركة انجليزية بحجة حاجة الحكومة الى المـــال لتدبير نفقات الحملة ، ولأن الحكومة لم تعد فى حاجة الى السكة الحديد بعد انتصار الجيش المصرى ولكي يستكمل كرومر خطتـــه رأى أن تتنازل بلاده عن القـــرض الذى قدمته للحكومة المصرية بحجة توفير الأموال لمواصلة الفتح [٢٠] •

وتنيجة لتهـــديدات كرومر المستمرة للخـــديو ، وفقدان الأمل فى المساعدات الدولية وقع الخديو اتفاقية السودان فى ١٩ يناير ١٨٩٩ ، وهـــذه الاتفاقية تمثل البداية الفعلية لاستسلام الخديو وخضـــوعه

---

(١٧) أخبار اليوم : فى ١٩٤٥/١٢/١ مقال للدكتور وحيد رافت تحت عنوان « السودان أو وحدة وادى النيل » .

(١٨) المسدى : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .

(١٩) مد الجيش المصرى سكك حديدية فى صحراء النوبة ليتسنى له أن يزحف ويحتفظ باتصاله بقواعده العسكرية ، وقد عانى المصريون ضروب المشاق والأهوال أثناء انشغالهم بانشاء السكك الحديدية فى تلك الصحراء المقفـــرة .

الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣٣٦

(٢٠) المسدى : المرجع السابق .

للاحتلال ، ومع ذلك فان مصطفى كامل لم يستسلم لما حدث بل هاجم هذه الاتفاقية واعتبرها باطلة كما اعتبر يوم ١٩ يناير وهو اليوم الذى وقعت فيه هذه الاتفاقية يوم من أكبر أيام الشتاء فى تاريخ مصر (*) .

قضية التلغراف ومحاكمة الشيخ على يوسف :

شغلت هذه القضية الرأى العام المصرى لفترة ، وتنحصر فى أن جريدة المؤيد نشرت تلغرافا سريا أرسله اللورد كتشنر سردار الجيش المصرى فى ٢٨ يوليو ١٨٩٦ الى وزير الحربية بخصوص أحوال الحمله فى السودان واصابات الكوليرا التى وقعت بأفراد الجيش [٢١] هناك وصورته كالتالى « تفيد التلغرافات الواردة من (كوشه) أمس على نظارة الحربيه التفصيلات الآتية عن حالة الجيش المصرى فى الحدود وقد أظهر سعادة السردار أسفه وأنه لم يتمكن منذ أيام من ارسال التفصيلات لأنه كان شديد القلق من الكوليرا التى انتشرت هناك فى كل نقطة ومركز من مراكز خط المواصلات وفى المعسكرات » ثم قال وقد حصل فى أسوان بين عساكر الحضرة الخديوية الفخيمة ٣٩ اصابة توفى فيها ١٥ شخصا ، أما فى كروسكو فقد حصلت ٢٢ اصابة توفى منها ١٣ . وفى حلفا ١٥٦ اصابة توفى منها ١٨ وست وفيات فى الجيش البريطانى ، واستمر المؤيد فى ذكر بيان الاصابات كما وردت فى تلغراف السردار [٢٢] .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو كيف حصل الشيخ على يوسف على تلغراف سرى من وزارة الحربية رغم أن أخبار السودان كانت ممنوعة عن الجرائد الوطنية ؟

(*) اللواء : العدد ١٦ فى ٢٠ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « يوم ١٩ يناير » .

(٢١) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ — ٢٣١

(٢٢) المؤيد : عدد ٢٨ يوليه ١٨٩٦ تحت عنوان « احوال الجيش المصرى فى الحدود » .

لقد بحثت الحكومة هذا الأمر فاتضح لها أن توفيق أفندى كيرلس الموظف بمكتب التلغراف بالأزبكية هو الذى تلقى برقية السردار وأبلغ عن فحواها الى المؤيد [٢٣] وأن الشيخ على يوسف تواطأ مع موظف التلغراف وأخذ منه البرقية ونشرها فى جريدته [٢٤] .

وأقامت النيابة الدعوى العمومية على الشيخ على يوسف وتوفيق كيرلس بناء على طلب اللورد كتشنر ونظرا لأن جريدة المؤيد كانت لسان حال الحركة الوطنية فى ذلك الوقت فقد ازدحمت الجماهير على محكمة عابدين التى نظرت فيها القضية حتى أن بعض قاصدى الجلسة دفع لدخوله قاعة المحكمة أجرا يتراوح بين نصف الجنيه والجنيهين للشخص الواحد [٢٥] ، ولما كان محمد فريد وقتئذ يعمل وكيلا بنيابة الاستئناف فقد شهد القضية وأظهر عطفه على صاحب المؤيد وبغضه للأحتلال وسياسته ؛ وانتهى الأمر بصدور الحكم فى القضية يوم ١٩ نوفمبر ١٨٩٦ ببراءة الشيخ على يوسف وحبس توفيق كيرلس ثلاثة أشهر [٢٦] ، ونتيجة لذلك هتف الحاضرون فى المحكمة بعدالة القضاء واستقلاله . ولم يتمالك محمد فريد فى اظهار سروره بهذا الحكم مما أدى الى نقمة الاحتلال عليه فطلب الانجليز من النائب العام نقله الى احدى نيابات الوجه القبلى ، فأصدر أمرا بنقله الى نيابة بنى سويف ، ولكن فريد اعتبر أن هذا النقل بمثابة انتقام منه لا نقلا تقتضيه المصلحة لذلك رفض تنفيذ أمر النقل ، واستقال من وظيفته احتجاجا على ذلك وكتب الى النائب العمومى بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٨٩٦ بقبول استعفائه [٢٧] .

ونظرا لاستياء الانجليز من أحكام القضية استأنفت النيابة الحكم

---

(٢٣) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ، ص ٢٨

(٢٤) دار الوثائق : مذكرات تاريخ حياة ابراهيم الهلباوى ، ص ٥٣

(٢٥) نفسه : ص ٥٣

(٢٦) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٨

(٢٧) دار المحفوظات : مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من مجلس النظار ومن النظارات عام ١٨٩٦

فنظرت القضية فى أول ديسمبر ١٨٩٦ أمام محكمة الجنح المستأنفة ثم تأجلت منتصف الى نصف الشهر وفيها أصدرت المحكمة حكمها بتأييد حكم البراءة بالنسبة للشيخ على يوسف ، والغاء الحكم بالنسبة لتوفيق كيرلس وبراءته [٢٨] •

ومن ذلك يتضح أن اهتمام الرأى العام المصرى بهذه القضية يعتبر مثلا على نضوج الوعى القومى فى ذلك الوقت وبرهانا على كراهية الشعب المصرى للاحتلال وأعوانه •

تطور العلاقات بين الخديو والسلطان :

باعتلاء عباس الثانى أريكة الخديوية جدد السلطان محاولاته لسحب الامتيازات التى حصلت عليها مصر مستغلا ذلك صغر سن الخديو ومع أن الخديو حاول مد جسور التعاون بينه وبين السلطان من أجل وقف سيطرة بريطانيا على الأحوال الداخلية فى مصر الا أن هذا التعاون كان يتعذر أحيانا خصوصا بعد أن اتضح للخديو عجز السلطان عن الوقوف معه ضد الاحتلال •

ولما كان الخديو يخشى نفوذ السلطان فى مصر ــ نظرا لأن المصريين كانوا يعتبرون أنفسهم مكلفين شرعا بطاعته باعتباره الأب الروحى للمسلمين ــ فقد بدأ يقاومه ويقف فى وجه سحبه لأى امتيازات نالتها مصر من قبل •

ومع أن السلطان كان قد وهب ايرادات جزيرة طاشيوز الى محمد على بموجب فرمان صدر عام ١٨١٣ جزاء انتصاره على الوهابيين [٢٩] فانه حاول استرداد هذه الامتيازات فى عصر عباس الثانى فى حين

---

(٢٨) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٩

(٢٩) احمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، القسم الأول ، ص ٣٩٨

حاول الخديو التمكين لنفسه فى هـذه الجزيرة [٣٠] ، وقد بدأ النزاع على هذه الجزيرة منذ عام ١٨٩٥ فلما أراد الخـديو بناء قصر له فيها رفض السلطان طلبه كما رفض السماح له بالذهاب اليها مما زاد من الجفاء بينهما الأمر الذى جعل الخـديو يمنـع الدعاء للسـلطان فى المساجد [٣١] .

وتطورت الأمور عندما فرض أحمد خيرى مدير الأوقاف الخديوية بطاشيوز ضريبـة عالية على المـاعز نظـرا لأنها كانت تأكل شجيرات الزيتون هناك وأخذ أعيان الجزيرة كرهائن حتى يدفع الأهالى ما عليهم من حسابات [٣٢] فتذمر الأهالى واشتكوا الى مأمور الجزيرة التركى من ذلك كما أرسلوا الى الخديو يلتمسون الغاء الضريبة وقبل أن يتم النظر فى شكواهم قاموا بمظـاهرة وذهبوا الى مأمورية مركز ادارة الجزيرة واصطدموا بالقوات الموجودة هنـاك فقتل عدد منهم [٣٣] ، ولمـا أبلغ السلطان بالأمر انتهز الفرصة فأمر بارسال قوات لاحتلال الجزيرة كما أصدر أمرا بضم معاون طاشيوز الى خزينته الخاصة وضم ادارة الجزيرة الى ولاية سالونيك [٣٤] مما أثار غضب الخديو وجعله يتقرب من الانجليز .

---

(٣٠) حاول الخديو التمكين لنفسه فى هذه الجزيرة فقام بتحسـين احوالها « وايجاد الأسباب الباعثة لثروة ورفاهية اهاليها » كما أمر بتيسير سبل المواصلات وسهولة التنقل بها .

دار الوثائق : ديوان معية سنية عربى . رقم ٤٥٣٩٣ فى ١٧ يونيـه ٩٩ تحت رقم ٤٨ كما أمر بانشاء معصرة لزيت الزيتون هناك نظرا لما تشتهر به الجزيرة من حاصلات الزيتون .

(31) Blunt : My Diaries, Vol. 1, p. 255 - 256.

(٣٢) يتضح ذلك من دواوين المعية السنية .

انظر : ديوان رقم ٤٥٣٩٥ تحت رقم ٢٨ بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٠٠

(٣٣) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، القسم الأول ، ص ٣٩٦

(٣٤) نفسه : ص ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤١١

وهكذا كانت طاشيوز هى الصخرة التى تحطمت عليها علاقات الخديو بالسلطان (٣٥) .

طلب الخديو مساعدة الانجليز فزاره ونجت باشا بقصر رأس التين فأطلعه الخديو على تفاصيل الحادث ، وعلى حاجته الى معاونة كرومر له فنصحه بالتمسك بموقفه وأوضح له بأن الانجليز على استعداد لمساعدته اذ هو اتفق معهم ، وأن حل المسألة يمكن أن ينتهى بارسال سفينة حربية بريطانية لهذه الجزيرة (٣٦) .

وقد حاولت جريدة اللواء رأب الصدع بين السلطان والخديو فذكرت « ان منزلة الجناب العالى من جلالة السلطان كمنزلة الولد البار من الوالد العطوف » كما هاجمت المحاولات التى تبثها بعض الصحف المغرضة للتفريق بين السلطان والخديو (٣٧) . كما حذر مصطفى كامل من نجاح الانجليز فى التفرقة بين السلطان والخديو ثم طالب الخديو بالتبصر فى الأمور ، وبذل الجهود لتوطيد علاقة مصر بالدولة العثمانية حتى يكفل ذلك له سلامة عرشه (٣٨) .

والجدير بالذكر أن الخديو كان على استعداد للتعاون مع الانجليز ضد السلطان ، ولكنه لم يكن مستعدا لقطع العلاقات نهائيا معه (٣٩) بالدرجة التى تمكن الانجليز من اعلان حمايتهم على مصر ، ومن هنا

---

(٣٥) يوسف خليل جاد الله : المرجع السابق ، ص ٢٣٧

(٣٦) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٤١١ — ٤١٢

(٣٧) اللواء : عدد ٨٤٤ فى ١٥ يوليه ١٩٠٢ تحت عنوان « مسألة طشيوز » .

(٣٨) احمد رشاد : المرجع السابق ، ص ١٠٤

(٣٩) عندما طلب كرومر من الخديو عزل قاضى القضاة التركى وتعيين آخر مصرى مكانه رفض الخديو على أساس ان ذلك من اختصاص السلطان ، وقد استمرت محاولات الانجليز فى هذا السبيل للتفاصيل انظر : مذكرات سعد زغلول كراسة رقم ٩ ، ص ٤٣٧

لجأ الخديو الى أسلوب الضغط على السلطان حتى يعيد اليه امتيازات مصر فى طاشيوز وكان ذلك باستخدام طريقين :

١ — مساعدته لأعضاء جماعة تركيا الفتاة .

٢ — التلويح بامكان قيام خلافة عربية تحل محل الخلافة العثمانية [٤٠] .

ومن أجل ذلك رحب الخديو بأعضاء جماعة تركيا الفتاة الفارين من بطش السلطان وقربهم اليه واستخدمهم فى قصره وظل الأمر كذلك حتى ساءت علاقة الخديو بالانجليز فتقرب الى السلطان وحاول استرضاءه باضطهاد أعضاء جماعة تركيا الفتاة الموجودين بمصر كما حدث فى مسألة ليون فهمى [٤١] وحادث المطبعة [٤٢] ، ولكن السلطات الانجليزية حالت دون بطش الخديو بهؤلاء واحتضنهم كرومر وزاولوا نشاطهم فى مصر تحت حماية الانجليز .

أما عن تلويح الخديو باقامة خلافة عربية فذكر البعض أن الخديو كان يطمع فى الخلافة ، ويريد أن يستمد من سمعة الأزهر وعلمائه فى العالم الاسلامى سندا دينيا يرجحه على أمراء المسلمين [٤٣] ، وقد

---

(٤٠) الكاتب : العدد ١٥٩ فى يونيه ١٩٧٤ تحت عنوان « أم القرى للكواكبى » .

(٤١) انظر : الفصل الثانى .

(٤٢) خلاصتها أن بعض الأوراق الخاصة بسجلات المشتركين فى جماعة تركيا الفتاة كانت قد طبعت فى عام ١٩٠٠ ، ثم حدث نزاع على ملكية المطبعة التى طبع فيها هذه السجلات استغله اتباع السلطان فى الحصول على الأسماء الموجودة بالسجلات وتسليمها للسلطان ، ونظرا لخطورة الأمر اتصل أعضاء هذه الجماعة بكرومر فأسرع بالتدخل فى الأمر والاستيلاء على الأوراق الموجودة بالمطبعة وحرقها .

Cromer : Abbas II p. 79.

احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٩٤ — ٣٩٥

(٤٣) عباس العقاد : محمد عبده ، ص ٢٣٤

أحس السلطان بذلك فلما زار الخديو الآستانة والتقى بجمال الدين الأفغانى هناك استدعى السلطان اليه الأفغانى وسأله أتريد أن تجعلها عباسية ــ بمعنى أنه يتآمر على اسناد الخلافة الى الخديو عباس الثانى ــ فرد عليه الأفغانى بأن الخلافة ليست خاتما فى يده يضعه فى أصبع من يشاء [٤٤] .

كما يذكر بلنت أن الخديو أرسل ابن عمه البرنس عزيز حسن الى بلاد نجد لمقابلة ابن الرشيد للتباحث فى موضوع الخلافة العربية ، ولكن لم تتم المقابلة نظرا لضغط السلطان على الخديو [٤٥] .

وبالرغم من ذلك فاننا نرى أن الخديو عباس الثانى لم تكن لديه القدرة التى تمكنه من تنفيذ فكرة الخلافة العربية ، وان الأمر لا يعدو أكثر من مزاولة الضغط على السلطان للحد من محاولاته استرداد الامتيازات التى نالتها مصر من قبل ، ووقف تدخله فى شئون مصر .

وعلى كل حال فقد أضعفت معارك الخديو مع السلطان من موقفه أمام الانجليز ، وجعلته يقع تحت ضغط كرومر .

---

(٤٤) محمد رشيد رضا : المرجع السابق جـ ١ ، ص ٨٨

(45) Blunt : op. cit., Part 1, p.p. 252 - 272.

الفصل الخامس

خضوع الخديو للاحتلال ١٨٩٨ ــ ١٩٠٦

١ ــ حادثة فاشودة وأثرها على مصطفى كامل والخديو ٠

٢ ــ اتفاق السودان وموقف مصطفى كامل والخديو منه ٠

٣ ــ محاولات كرومر فصل الخديو عن الحركة الوطنية ٠

٤ ــ زيارة الخديو لندن ١٩٠٣

٥ ــ الاتفاق الودى وآثاره على الحركة الوطنية والخديو ٠

٦ ــ القطيعة بين الخديو ومصطفى كامل ١٩٠٤ ــ ١٩٠٦

٧ ــ حادث طابه وموقف الحركة الوطنية والخديو منها ٠

٨ ــ حادث دنشواى ودوره فى انعاش الحركة الوطنية ٠

بعد أن وجد الخـديو أن سياسته العلنية للاحتـلال تسبب له الاضرار ، وتؤدى الى تقليص نفوذه أمام المعتمد البريطـانى كرومر بدأ فى اتخاذ طريق الوفاق الظاهرى والمقاومة السرية ، ولكن هـذه السياسة لم تدم طويلا نظـرا ليأسـه من أى تعضيد يأتيه من أوربا وخصوصا فرنسا التى لم تكن جادة فى اتباع سياسة متشددة تهدف الى اجلاء الانجليز عن مصر ، وبعد أن رأى أن فرنسا تشكل سياستها فى مصر مع ما يتواءم ومصالحها خصوصا بعد فاشودة وما تبعها من تنازلات على حساب مصر كان أخطرها الاتفاق الودى الذى تعهدت فيه فرنسا بعدم مطالبة انجلترا بموعد للجلاء عن مصر فى سبيل أن تترك انجلترا لفرنسا اليد الطولى فى مراكش .

وقد أدى ذلك الى تغيير سياسة الخديو تجاه الاحتلال وخضوعه لارادة كرومر مما جعل الحركة الوطنية فى حيرة خصوصا وانها كانت تتخذ من الخديو أداة هامة فى الصمود أمام الاحتـلال ، وفيما يلى نعرض للمواقف التى جعلت الخديو يفقد الأمل فى مساعدة أوربا له ، وصمود الحركة الوطنية رغم المصـاعب التى بثها الاحتلال للقضـاء عليهـا .

(أ) حادثة فاشودة وأثرها على مصطفى كامل والخديو :

يرجع اهتمام فرنسا بمنطقـة فاشودة الى أهميتها من الوجهـة الحربية والجغرافية فهى تعد مفتاح النيل الأعلى ، وتقع على ملتقى الطرق الموصلة من الخرطوم والحبشـة الى جنوبى السودان ؛ وعلى مقربة من ملتقى روافد النيل . ومن يملكها يضمن النفوذ على شمالى السودان وجهات خط الاستواء [1] .

---

(١) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ١٢٢

ونظرا لتزايد التنافس الاستعمارى بين انجلترا وفرنسا عهدت فرنسا الى الكابتن مارشان Capitane Marchand بالزحف على فاشودة بقصد احتلال مركز هام فى أعالى النيل تساوم به انجلترا على الدخول فى مؤتمر أوربى تطرح فيه مسألة الجلاء عن مصر وتحديد مصير السودان المصرى .

وقد سار مارشان على رأس كتيبة من الجند قاصدا فاشودة فعقد اتفاقا مع مشايخ الشلك تم بمقتضاه بسط حماية فرنسا على بلادهم[٢] كما استطاع الوصول الى فاشودة واحتلالها فى ١٠ يوليه ١٨٩٨ وقد أدى ذلك الى حدوث أزمة سياسية بين انجلترا وفرنسا اتهمت فيها انجلترا الفرنسيين بالاعتداء على حقوق مصر باحتلالهم بلدا مصريا ورفعهم العلم الفرنسى على أملاك الخديو [٣] كما أصدرت الحكومة البريطانية أوامرها الى كتشنر بالاسراع الى فاشودة ورفع العلم المصرى عليها [٤] فسار كتشنر اليها مرتديا زى الطربوش [٥] ، كما أوعزت الحكومة البريطانية الى الحكومة المصرية بأن ترسل برقية الى لندن تطلب فيها رد جميع الأراضى السودانية الى السيادة المصرية وعلى أثر ذلك اشتدت الأزمة بين انجلترا وفرنسا ، وكان من المنتظر أن يؤدى ذلك اما الى صدام بين الدولتين أو الى تمسك فرنسا بموقفها فيفتح باب المسألة المصرية ، وتضطر انجلترا الى الجلاء عن مصر فى نظير جلاء الفرنسيين عن فاشودة [٦] ، ونتيجة لذلك قويت آمال المصريين فى الاستقلال ورحبت بعض الصحف بقدوم مارشان الى

---

(٢) على ابراهيم عبده : المنافسة الدولية فى اعالى النيل ١٨٨٠ — ١٩٠٦ . القاهرة — الأنجلو المصرية ١٩٥٨ ، ص ٢٧١

(٣) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٢٤

(٤) احمد شفيق : حوليات مصر السياسية جـ ١ ، ص ٣١

(٥) الأهرام : فى ١٩٦٩/٣/٧ . دراسة قام بها مركز الدراسات التاريخية بالأهرام .

(٦) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٢٤

شواطىء النيل وعبرت عن ابتهاجها بذلك [٧] كما تهكمت احدى الصحف على طلب الحكومة المصرية من انجلترا رد الأراضى التى احتلها مارشان الى مصر فذكرت صحيفة (لوكوربيه دوريان) تحت عنوان « مسرحية هزلية » أن الحكومة المصرية التى أرسلت البرقية ما هى الا لورد كرومر الذى يتحدث نيابة عنها [٨] .

وقد وصل التوتر فى العلاقات بين انجلترا وفرنسا الى درجة الاستعداد للحرب ، وقد حاول دالكاسيه وزير خارجية فرنسا اقناع انجلترا بالدخول فى مفاوضات مع فرنسا قبل الجلاء عن فاشودة ، ولكن الحكومة البريطانية تمسكت بضرورة الجلاء عن فاشودة قبل الدخول فى أى مفاوضات ، ولما لم تكن فرنسا مستعدة للمخاطرة بالحرب مع انجلترا من أجل مصر فقد اضطرت الى التراجع والتسليم بمطالب الحكومة البريطانية فأرسلت تعليماتها الى مارشان فى ٣ نوفمبر ١٨٩٨ بالانسحاب من فاشودة [٩] .

ونتيجة لتسليم فرنسا للانجليز فى فاشودة أصيبت الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل بصدمة عنيفة نظرا لأنها كانت تضع فرنسا ضمن آمالها فى اجلاء الانجليز عن مصر فاتضح للمصريين المتعلقين بالأمل فى مساعدة فرنسا أنه لا جدوى من مساعدتها ، وبالرغم من ذلك فان هذه الحادثة لم تفت فى عضد مصطفى كامل بل ضاعفت من جهاده وقد أوضح ذلك قائلا « ولكنى ثابت على خطتى حتى الممات » ورغم جنوح معظم رجالات مصر الى الولاء للاحتلال واكتساب رضاه فان مصطفى كامل طالب المصريين بالتكاتف والاتحاد من أجل اجلاء الانجليز عن مصر بقوله « الأمر بيدنا وانه لو اتحد

---

(7) La Réforme : 9 Septembre 1898.

(8) Le Courrier d'Orient : 7 Novembre 1898.

(9) Langer : op. cit., p. 538.

مائة منا لاهتزت الأرض قاطبة لصوتهم فما بالك لو اتحدت الأمة المصرية كلها [١٠] » •

ومع ذلك فان مصطفى كامل لم يستطع اخفاء أثر فاشودة على أبناء وطنه فشرح فى رسالة له الى أخيه أثرها بقوله « ان الأحوال السياسية سيئة للغاية بعد مسألة فاشودة » وعن علاقة مصطفى كامل بالخديو بعد فاشودة ، فبالرغم من أن الخديو قد توقف عن مقاومة الاحتلال وأخذ يذعن للأمر الواقع ويتودد للاحتلال ، وكان أول مظهر لهذه السياسة زيارته للندن عام ١٩٠٠ تلك الزيارة التى آلمت الوطنيين كثيرا فان مصطفى كامل قد التمس له العذر بسبب فاشودة [١١] وظلت علاقته به ودية ، وحاول ألا تؤثر هذه الحادثة على علاقته بالخديو جيث كان يعى الدرس الذى لقنه له عبد الله النديم والذى أوضحه فى كتابه المسألة الشرقية بقوله ان الشقاق سبب ضياع الأمم وسبب دمارها •• فلولا الشقاق بين الحزب العرابى وتوفيق باشا ما كثرت الحوادث وتجسمت وتدخلت انجلترا فى الأمر •• واحتل الانجليز مصرنا العزيزة [١٢] » •

وعلى كل حال فانه يمكن اجمال نتائج حادثة فاشودة على كل من الخديو والحركة الوطنية فيما يلى :

١ ــ تغير موقف الخديو ازاء الاحتلال فبعد أن كان يعتمد على فرنسا فى مساندته ضد المعتمد البريطانى كرومر أخذ يتجنب الدخول فى أزمات مع الانجليز بل أخذ يتودد اليهم ويحاول أن يكون فى وفاق معهم •

---

(١٠) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٢٧

(١١) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية ، ص ٦٢ رسالة من مصطفى كامل الى جوليت آدم بتاريخ ٢ يونيه ١٩٠٠

(١٢) مصطفى كامل : (المسئلة الشرقية) القاهرة . مكتبة الآداب ــ الطبعة الأولى ١٨٩٨ ، ص ٢٥٨

٢ — تركت حادثة فاشودة أسوأ الأثر فى نفوس المصريين وعلمتهم أن الكفاح من أجل الجلاء مرير ، وأنه لابد من الاعتماد على أنفسهم قبل أى شىء [١٣] حيث أن فرنسا قد تخلت عن معارضتها لانجلترا فجنح معظم رجالات مصر الى الولاء للاحتلال ومحاولة اكتساب رضاه اذ رأوا فى حادثة فاشودة برهانا واضحا على رسوخ أقدام الانجليز فى مصر [١٤] .

٣ — تعتبر حادثة فاشودة ضربة قاضية للنفوذ الفرنسى فى مصر فالمصريون الذين كانوا يعلمون أولادهم اللغة الفرنسية عدلوا عنها الى الانجليزية [١٥] وليس معنى ذلك أن المصريين أصبحوا أصدقاء للانجليز ولكن يرجع ذلك لرد فعل فاشودة وقد أوضح مصطفى كامل هذا الأثر فى رسالة له الى جوليت آدم حيث قال « ان السياسة الفرنسية تعكس أمرى وتجعلنى ذاهلا أمام التناقض الغريب المسطور فى تاريخها ، عجبا ! أنسيت فرنسا فاشودة . ان سياسة الحكومة الفرنسية لم تعمل عملا واحدا يجعلنى آملا فيها [١٦] » كما أوضحت جوليت آدم اغلاط السياسة الفرنسية فى فاشودة فقالت « فاشودة ! انها الضربة القاضية! لقد قلت فى رسائلى قبلا ان غير واحد من ساسة فرنسا قد أفهم الخديو والوطنيين المصريين أن فرنسا ستتدخل لصالح مصر سريعا وبصفة حاسمة ، وأبانوا لهم أن بعثة مارشان هى الحاملة لراية استقلال مصر فصاروا جميعا يعتقدون أن تحرير وطنهم سيأتى من السودان ، ولكن حادثة فاشودة قضت على آمال الوطنيين المصريين [١٧] » .

---

(١٣) احمد رشاد : المرجع السابق ، ص ١٤١

(١٤) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٢٥

(١٥) احمد رشاد : المرجع السابق ، ص ١٦٤

(١٦) على فهمى كامل : المرجع السابق ، ص ٦٩.

(١٧) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٢٥

٤ ـ كانت حادثة فاشودة نصرا كبيرا للاحتلال وعملائه فى مصر ومع أنها بعثت اليأس فى نفوس كثير من الوطنيين وأخمدت جذوة الوطنية فى نفوسهم ، فانها لم تخمد جذوة الوطنية فى نفس مصطفى كامل الذى ضاعف من جهاده وكفاحه بمقدار ما ازدادت المصاعب فى طريقه فأخذ يفكر من ذلك الحين فى الاعتماد على الرأى العام وهداه تفكيره الى انشاء صحيفة اللواء لتغذى نفوس المصريين بمبادىء الوطنية والأمل والجهاد كما دعا الى نشر التعليم القومى وتربية النشء تربية دينية (١٨) .

٥ ـ رغم يأس الخديو من مقاومة الاحتلال فان مصطفى كامل استطاع أن يجدد الأمل فى نفوس المصريين حيث حمل حملة صادقة على اليأس ودعا كل مصرى الى القيام بواجباته الوطنية .

وهكذا كانت فاشودة نقطة تحول أمام الحركة الوطنية المصرية التى رأت أن فرنسا لا تهتم بالقضية المصرية الا اذا كان ذلك متفقا مع مصالحها الخاصة ، فآثر مصطفى كامل الاعتماد على الرأى العام المصرى وان كان لم يفقد الأمل فى مساعدة أوربا .

اتفاق السودان وموقف مصطفى كامل والخديو منه :

سعت بريطانيا بعد استرجاع السودان الى مد سيطرتها عليه ولكن المشكلة التى واجهت كرومر ، وكان لابد من ايجاد حل لها هى الكيفية التى يحكم بها السودان وهل يكون حكمه حكما انجليزيا أم مصريا ، ولما كان مركز انجلترا فى مصر لا يزال يلقى مقاومة من بعض الدول الأوربية فقد استقر الرأى على أن يكون حكم السودان مشتركا بين الانجليز والمصريين ففى ٤ سبتمبر ١٨٩٨ أرسلت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة الى الحكومة المصرية تذكر فيها « أنه بالنظر الى

---

(١٨) الرافعى : المرجع السابق : ص ١٢٦ ـ ١٣١ .

المساعدات المادية التى قدمتها الحكومة البريطانية الى الحكومة المصرية فى الناحيتين الحربية والمالية فقد قررت حكومة جلالة الملكة رفع العلم البريطانى بجانب العلم المصرى فى الخرطوم ... وأنها تعتبر لصوتها الغلبة فى جميع المسائل المتعلقة بالسودان ، وأنها تبعا لذلك تنظر أن تلتزم الحكومة المصرية بكل نصيحة تقدمها اليها الحكومة البريطانية فى شأن المسألة السودانية [١٩] » .

ونتيجة لذلك وقعت اتفاقية الحكم الثنائى فى السودان بين بريطانيا ومصر والذى بمقتضاها خول لبريطانيا رسميا حق الاشتراك فى ادارة شئون الحكم فى السودان ، ورفع العلم الانجليزى الى جانب العلم المصرى فى كافة أرجائه ، وتعيين حاكم عام للسودان بناء على طلب الحكومة البريطانية ، مما أدى الى سلخ السودان عن مصر واستئثار الانجليز بادارته [٢٠] .

وقد فوجئت الأمة المصرية بتوقيع هذه الاتفاقية ، فاستنكرتها واعتبرتها سلبا لحقوق مصر فى السودان فقد هاجمها مصطفى كامل واعتبرها برهانا جديدا على عدم مراعاة انجلترا للعهود ، الشىء الذى يعتبره المصريون جميعا باطلا لأنه مخالف للأنظمة الأوربية والقوانين الدولية [٢١] كما اعتبرت جريدة اللواء يوم ١٩ يناير الذى وقعت فيه الاتفاقية أكبر أيام الشقاء فى تاريخ مصر وأسوأ تذكار يهيج فى نفوس

---

(١٩) رئاسة مجلس الوزراء ، السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الى ١٣ فبراير ١٩٥٣ ، ص ٥

(٢٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق . ص ١٣٢
وعن نصوص الاتفاقية انظر :
د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ـ تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر . القاهرة ـ دار المعارف ، ص ٤٨٨ وما بعدها .

(٢١) على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا جـ ٩ ، ص ٩٥

المصريين الأحرار الآلام والأشجان (٢٢) ثم طالبت المصريين باعتبار هذه الاتفاقية باطلة (٢٣) أما عن الخديو فقد قبل الاتفاقية نظرا لضعف مركزه لو انفرد بالمعارضة وخشية ارهاب كرومر له •

وبتحليل لهذه الاتفاقية يتضح بطلانها من الناحية القانونية للأسباب الآتية :

١ — أن مصر ليس لها الحق فى عقد مثل هذه الاتفاقية لأنها تخالف نصوص الفرمانات السلطانية الصادرة الى الخديو (٢٤) فمصر ولاية من ولايات الدولة العثمانية لا يحق لها التنازل عن شبر واحد من أرض السودان أو ملحقاتها ؛ كما أن الخديو ليست له الصفة التى تخوله التوقيع على هذه الاتفاقية لأنه حاكم ولاية تابعة للدولة العثمانية وسلطاته مقيدة بالفرمانات السلطانية (٢٥) •

٢ — ان عقد هذه الاتفاقية يعتبر مخالفا لمعاهدة لندن ١٨٤٠ لأن استيلاء انجلترا على بعض مناطق السودان على أثر اخلائه ثم الاشتراك فى ادارته يعد اعتداء على ممتلكات الدولة العثمانية كما يتناقض مع معاهدة باريس المبرمة فى مارس ١٨٥٦ بشأن المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية وكذلك معاهدة برلين المبرمة فى يوليه ١٨٧٨ وبروتوكول النزاهة الصادر عن مؤتمر الآستانة فى سنة ١٨٨٢ وهذه الوثائق تعرفها انجلترا جيدا لأنها احدى الدول الموقعة عليها (٢٦) •

٣ — ان شرط سلامة المعاهدات هو توافر عنصر الرضا بين الطرفين المتعاقدين وهذا لا يتفق مع حالة مصر فالخديو لم يكن راضيا

---

(٢٢) اللواء : العدد ١٦ من السنة الأولى فى ٢٠ يناير ١٩٠٠ مقال لمصطفى كامل تحت عنوان يوم ١٩ يناير .

(٢٣) نفسه .

(٢٤) على فهمى كامل : المرجع السابق جـ ٩ ، ص ٩٥

(٢٥) د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٥٣٤ — ٥٣٥

(٢٦) نفسه : ص ٥٣٥ — ٥٣٦

عن هــذه الاتفاقية ، ولم يوافق عليها الا بعد ضغوط شديدة ؛ كما أن مصر المحتلة بالقوات الانجليزية وارادتها ليست فى يدها فكيف يكون لها حرية التصرف فى التوقيع على هذه الاتفاقية [٢٧] .

٤ ــ انفردت انجلترا بالسيطرة على السودان ذلك لأن المــادة الثالثة من الاتفاقية تنص على تركيز الرئاسة العليا فى يد « حاكم عموم السودان » الذى يعين بأمر الخديو وبناء على طلب الحكومة الانجليزية ولا يجوز عزله الا بموافقة لندن [٢٨] ومن ثم يتضح أن الادارة الثنائية كانت شكلية وأن الأمر كله كان بيــد انجــلترا فتعيين حاكم عمــوم السودان أو عزله مشروط بموافقة بريطانيا [٢٩] .

وهكذا كان توقيع اتفاقية السودان بداية استكانة الخديو للاحتلال بعد أن رأى عدم جدوى المقاومة خصوصا بعــد تخلى فرنسا والدول الأوربية عنه فى الوقوف لمواجهــة الاحتــلال ، وكان أثر ذلك تناقص شعبية الخــديو ، واضــعاف مركزه أمام الوطنيين ؛ وتدهور علاقته بالسلطان الذى اعتبر موافقة الخديو على الاتفاقية نقضا للفرمانات السلطانية التى تحدد مركزه .

كل هــذا جعل الخديو مستعدا للتعاون مع كرومر على أســاس أن يرد له نصيبه فى حكم البلاد .

---

(٢٧) د. راشد البراوى : مجموعة الوثائق السياسية حـ ١ . المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس . القاهرة ــ النهضة المصرية ــ الطبعة الأولى ١٩٥٢ ، ص ١٠٧

(٢٨) الأهرام : فى ٧ مارس ١٩٦٩ ــ دراسة قام بها مركز الدراسات التاريخية لمصر المعاصرة بالأهرام .

(٢٩) د. راشد البراوى : المرجع السابق ، ص ١٠٩

٣ ـ محاولات كرومر فصل الخديو عن الحركة الوطنية :

اتبع كرومر وسائل عديدة لاخماد الحركة الوطنية أهمها الفصل بينها وبين الخديو والعمل على كسب الأخير الى جانب الاحتلال وقد ساعد على ذلك عاملان هما :

١ ـ تمرد فرقتين من الجيش المصرى الموجود فى أم درمان :

ففى يناير ١٩٠٠ تمردت فرقتين من الجيش المصرى لأسباب أهمها انتشار الشائعات بأن الجيش المصرى الموجود بالسودان سيرسل الى جنوب أفريقية بعد هزائم الانجليز هناك وأيضا اساءة معاملة الضباط المصريين والتفرقة بينهم وبين الضباط الانجليز [٣٠] .

ولما أمر النائب العام بتجريد الجيش من سلاحه وذخيرته أبت الفرقتان اطاعة الأمر ، وقد سجن الضباط المتهمون بالتحريض على التمرد وأحيلوا الى مجلس تحقيق لمحاكمتهم [٣١] .

وقد شك الانجليز فى أن الخديو وراء هذا التمرد ، لذلك أجبروه على توجيه خطاب شديد اللهجة لمدبرى الحادث كما ضغطوا عليه للتصديق على الأحكام العسكرية التى صدرت بطرد سبعة من الضباط المصريين من خدمة الجيش ، وقراءة خطاب وضع كرومر مسودته يستنكر فيه الخديو مسلك المتمردين ويعلن تأييده للسردار وأن ينشر هذا الخطاب كأمر يومى يقرأ فى وحدات الجيش ثلاثة أيام متوالية [٣٢] .

وكان هدف كرومر من ذلك هو اجبار الخديو على التنصل علنا من

---

(٣٠) د. المسدى : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .
(٣١) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٤٠
(٣٢) المجلة التاريخية المصرية . المجلد الثانى والعشرون ١٩٧٥ مقال للدكتور المسدى تحت عنوان « الاحتلال والحركة الوطنية فى مصر فى أوائل القرن العشرين » ص ٩٠ .

نشاط الحركة الوطنية ، وفعلا نجح كرومر فى ذلك فقد استحضر الخديو الضباط وعنفهم على ما وقع منهم ؛ وأبدى تأييده للسردار ونجت باشا [٣٣] .

٢ — زيارة الخديو الرسمية الى لندن فى صيف ١٩٠٠ :

حاول الخديو الاتصال مباشرة بالحكومة البريطانية والأسرة المالكة فقام فى مساء ٢ يونيه ١٩٠٠ بمغادرة ثغر الاسكندرية الى انجلترا لزيارة ملكتها ؛ وأقام مصطفى فهمى رئيس النظار نائبا عنه مدة غيابه [٣٤] . وقد تأثر الخديو بالحفاوة التى لقيها هناك فقد استقبلته الملكة فيكتوريا وأهدت اليه وسام فيكتوريا الأكبر . وقامت بتقليده اياه امعانا فى اكرام وفادته . كما أنعمت على مرافقيه ورجال حاشيته بأوسمة ونياشين وقد لثم الخديو يدها وألقى خطابا أعرب فيه عن أمله فى أن تسود العلاقات الطيبة بين مصر وانجلترا وأن تسير بخطى مطردة [٣٥] .

ونتيجة للحفاوة التى لقيها الخديو أعرب فى تصريح له الى فارس نمر صاحب المقطم بأنه أصبح يفهم الانجليز أكثر مما مضى كما أعلن عن سروره من الزيارة وأمله فى أن تكرر ، كما أشار الى احترامه لكرومر ووجوب التفاهم معه ، وأنه لم يحدث بينهما أى خلافات الا حين يتدخل آخرون بينهما لذلك فهو يفضل التعامل معه رأسا ، ومن هنا أفصح الخديو عن الثمن الذى يريده للتعاون مع الانجليز وهو أن يكون له نصيب فى ادارة البلاد [٣٦] .

---

(٣٣) الرافعى : المرجع السابق . ص ٣٤٠ .

(٣٤) الهلال : السنة الثانية ج ١٧ ، ١٨ فى ١٥ يونيو ١٩٠٠ . ص ٥١٤ تحت عنوان « الجناب الخديو وجده ابراهيم » .

(٣٥) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ القسم الأول ، ص ٣٣٠ — ٣٣٨

(٣٦) د. السدى : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .

وقد كانت هـذه الزيارة وهذا التصريح أكبر الأثر فى استياء الوطنيين من الخديو ، ولما كانت الحركة الوطنية تعتمد على تأييد الخديو فان هـذا التأييد لم يستمر بانحياز الخـديو الى الانجليز ، كما امتد الخضوع للانجليز وعميدهم كرومر الى بعض العناصر الوطنية مثال ذلك أن جريدة المؤيد بدأت تفتر حملاتها تدريجيا ضد الاحتلال كما امتنع صاحبها عن نشر مقالات مصطفى كامل بها رغم أنه كان يعهد اليه من قبل بادارتها أثناء غيابه كما حدث فى أكتوبر ١٨٩٩ ومع ذلك فان مصطفى كامل ومجموعته لم يقروا موقف خضوع الخديو للاحتلال بل عبروا عن أسفهم لموقفه ونصحوه بالولاء للسلطان وللحركة الوطنية، وان كانوا قد التمسوا له العذر بعد فاشودة[٣٧] وأخذ مصطفى كامل فى جذب المصريين للالتفاف حول الخديو لمقاومة الاحتلال عن طريقه لما له من تأثير ونفوذ •

وهكذا بدأت سياسة كرومر فى التفريق بين الخـديو والحـركة الوطنية تؤتى ثمارها من جانب الخديو الذى توقف عن القيام بأى عمل معاد للأحتلال بينما ظل مصطفى كامل متمسكا بولائه للخـديو مقدرا صعوبة موقفه خصوصا بعد تخلى أوربا وخصوصا تخلى فرنسا عنه •

زيارة الخديو لندن ١٩٠٣ :

حاول الخديو التخفيف من سياسة كرومر تجاهه فقام بالاتصال المباشر بملك وحكومة بريطانيا وقد شجعه على ذلك الحفاوة التى قوبل بها أثناء زيارته الأولى عام ١٩٠٠ ، ورغبته فى حضور حفل زواج صديقه الدون جورست المستشار المالى الانجليزى فى مصر [٣٨] •

---

(٣٧) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية ، ص ٦٧ ، رسالة من مصطفى كامل الى جوليت آدم بتاريخ ٢١ يونيه ١٩٠٠

(٣٨) حضر الخديو هذا الحفل ، وقدم للعروس هدية ثمينة وكانت عبارة عن مجموعة أساور وخاتم ، وكلها من الزبرجد المحلى بالماس . احمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١٤ — ١٥

وقد رحبت الصحف البريطانية بهذه الزيارة وأكثرت من الكتابة عنها ، ولكى يثبت الخديو حسن نواياه تجاه الانجليز صحب معه الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد ، وطلب منه الاتصال بالصحافة الانجليزية والدعوة الى مزيد من التعاون بين مصر وبريطانيا [٣٩] يضاف الى ذلك أن الخديو استقبل فى لندن رجل التجارة والمال الانجليزى أرنست كاسل E. Castle الذى كانت له علاقات مالية متعددة مع مصر منها امتلاكه ٥٠٪ من رسمال شركة الدائرة السنية ومن رأسمال البنك الأهلى المصرى وكان يعمل للحصول على امتيازات جديدة من مصر، وقد أقرض « كاسل » الخديو مبلغ نصف مليون جنيه بفائدة ٢½٪ كما ساعد جورست الخديو على منحه تسهيلات مالية كبيرة على حساب الحكومة المصرية ، وعلى هذا الأساس استحوذ الخديو على مناطق واسعة من مريوط مقابل مبالغ ضئيلة من المال [٤٠] ، وذلك فى مقابل تسهيل الخديو اقامة بعض المشاريع المالية الانجليزية فى مصر مثل اعطاء امتياز السكك الحديدية لشركة انجليزية ، والسماح لكاسل بشراء مئة ألف فدان من أراضى الوجه البحرى[٤١] .

أما عن أثر هذه الزيارة من الناحية السياسية فقد قربت وجهات النظر بين الخديو وبين الحكومة البريطانية التى بدأت تعيد حساباتها ومواقفها تجاه تشدد كرومر نحو الخديو .

ونتيجة للمكاسب التى حققها الخديو فى انجلترا تشجع مرة أخرى على مضايقة كرومر ، فأخذ يعيد علاقاته مع مصطفى كامل والعناصر المناهضة للاحتلال خصوصا وان الملك ادوارد السابع ملك انجلترا كان

---

(٣٩) المؤيد : فى ٨ ، ٩ يوليه ١٩٠٣ وايضا .
احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٤ — ٢١

(٤٠) د. المسدى : المرجع السابق .

(41) Blunt : My Diaries : Vol 2, p. 90 - 91.

قد أظهر استياءه من كرومر لعدم معاونته كاسل فى تنفيـذ مشروعاته المـالية فى مصر [٤٢] .

وهكذا كانت زيارة عباس الى لندن ذات أثر كبير فى مد جسر من العلاقات ذات المصالح المتبادلة بين الخـديو وملك بريطانيا مما مهد فيما بعد الى تراجع الحكومة البريطانية عن تأييد سياسة كرومر والبحث عن خلف له ، يكون أكثر مواءمة فى التعاون مع الخـديو ، وكان تعيين الدون جورست Eldon Gorst بداية هذه السياسة .

٥ ـ الاتفاق الودى وآثاره على الحركة الوطنية والخديو :

بعد أن تولى الملك ادوارد السـابع عرش انجـلترا [٤٣] بدأت محاولات الانجليز فى التقرب من فرنسا ، وكان فاتحة ذلك زيارة ملك انجلترا لباريس فى مايو ١٩٠٣ ، وتبعها زيارة رئيس جمهورية فرنسـا لانجلترا [٤٤] . وعقب ذلك قيام الحكومتين بتسوية المسائل المختلف عليها بينهما وأسفرت مفاوضاتهما عن ابرام الاتفاق الودى بينهما فى ٨ أبريل ١٩٠٤ ، وقد لعب اللورد كرومر دورا هاما فى انجاز هذا الاتفاق الذى كانت أبرز نصوصه لاعلان انجلترا بأنها لا تنوى تعديل الأوضاع السياسية فى مصر ، كما أنها لا تعرقل عمل فرنسا فى مراكش ، واعلان فرنسا بأنها لا تتدخل فى عمل انجـلترا بمصر لا بطلب تحديد موعـد للجلاء عنها ولا بأى طريقة أخرى كما أنها لا تنوى ادخال تعديلات فى أحوال المغرب السياسية .

وبهذا الاتفاق اطمأنت انجلترا على مركزها فى مصر ، وحصلت

---

(42) Blunt : op. cit., p. 98.

(٤٣) تولى الملك ادوارد السـابع عرش انجلترا عقب وفاة والدته الملكة فيكتوريا عام ١٩٠١

(44) Zetland : op. cit., p. 280.

على موافقة قانونية على وضع كان من قبل غير شرعى الى حد كبير[٤٥] وأصبحت فى مأمن من الارتباكات الدولية . وأخذ الانجليز يوطدون مركزهم فى وادى النيل لدرجة أصبحت فيها المسألة المصرية على حسب تعبير كرومر ذات طابع داخلى [٤٦] .

أما عن نتائج هذا الاتفاق المعنوية عند المصريين فقد أدى الى صدمة عنيفة لديهم . وأغلق الباب فى وجوههم تجاه فرنسا بعد أن كانوا يعلقون عليها آمالا واسعة ، وبعد أن كانت عنصرا هاما فى السياسة الوطنية المصرية ، وكان المصريون يرجون تأييدها كلما تحزب الأمر بينهم وبين الانجليز [٤٧] .

كما ترجح اليأس فى النفوس ، وانصرف الناس عن متابعة الحركة الوطنية وجنح معظمهم لسياسة الخضوع والاستسلام للانجليز [٤٨] . وانصرف الناس عن الحديث عن المسألة المصرية مما دفع بعض الصحف الى مطالبة المصريين بالابتعاد عن اليأس وأن يضعوا نصب أعينهم استقلال بلادهم [٤٩] .

ومع أن مصطفى كامل لم يتراجع فى وطنيته أمام الاتفاق الودى ولم يتزعزع يقينه فى الجهاد ، فان كتاباته كانت تنطق بالسخط على هذه الاتفاقية فقد أرسل الى جوليت آدم يشكو الحقيقة المؤلمة بقوله « ان خطة فرنسا .. قد دفعت — بلا جدال — الانجليز الى ظلمنا أشد مما كان » كما أوضح لها أن هذه الاتفاقية جلبت على مصر أسوأ

---

(45) Cromer : Report on the finances, administration, and Condition of Egypt and Sudan in 1904. April 1905 p. 4.

(٤٦) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ١٧٨

(٤٧) د. ابراهيم عبده : جريدة الأهرام — تاريخ مصر فى خمس وسبعين سنة . القاهرة — دار المعارف ١٩٥١ . ص ٢٥٣

(٤٨) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٧٣

(٤٩) الأهرام : فى ٨ ابريل ١٩٠٤

النتائج وأن المصريين أصبحوا يكرهون فرنسا أكثر من انجلترا نفسها[٥٠] وأن فرنسا كانت أول دولة صادقت على الاحتلال بعقد رسمى [٥١] .

وبالرغم من أن عزائم البعض قد وهنت فان مصطفى كامل لم يستكن بل شرع فى جهاده يرفع شعار لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس ، ومضى بثبات وجلد [٥٢] متذرعا بالأمل فى التفاف الشعوب الاسلامية حول دولة الخلافة من أجل الدفاع عن مصر .

أما عن الخديو عباس فقد آثر السلامة وانضوى تحت لواء الاحتلال ، وأخذ يسترضى كرومر فحضر لأول مرة الاحتفال بعيد ميلاد الملك ادوارد السابع فى ٩ نوفمبر ١٩٠٤ ، ووقف تحت العلم البريطانى بجوار كرومر ، وشهد العرض حتى نهايته فكان لحضوره هذا الاحتفال الذى يمثل الاحتلال الأجنبى تمثيلا مهينا للكرامة المصرية أثر أليم فى النفوس لذلك انتقده الوطنيون مما اضطر المعية الى اصدار بلاغ رسمى تنسب فيه حضور الخديو الى مجرد الصدفة حيث كان بسراى عابدين يوم العرض [٥٣] .

والواضح أن الخديو قد غير سياسته تجاه الانجليز عقب الاتفاق الودى تغييرا جوهريا ، وبلغ من استسلامه لهم موافقته على تعيين ياور انجليزى له فى عام ١٩٠٥ وهو وطسن باشا [٥٤] وقد عبر مصطفى كامل عن ألمه لما حدث فى خطاب له الى جوليت آدم فقال عين الانجليز ياورا انجليزيا فى معية الخديو ، وسيصير فى أقرب وقت رئيسا للديوان أى وزيرا للجند فى بيت الخديو ، وهو مبدأ التداخل البريطانى فى

---

(٥٠) على فهمى كامل : المرجع السابق ، ص ١٣٥ خطاب من مصطفى كامل الى جوليت آدم بتاريخ ١٠ مايو ١٩٠٤ .

(٥١) نفسه : ص ١٣٧

(٥٢) محمد حسين هيكل : المرجع السابق ، ص ٥٨

(٥٣) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٨٣

(٥٤) نفسه : ص ١٨٧

السراى ، وبذلك يكون حاكم مصر بعد بضع سنين محاطا ليل نهار بانجليز .. ومن ذلك تعلمين مقدار ألمى !» (٥٥) » .

وهكذا كان خضوع الخديو للاحتلال من الأسباب التى جعلت مصطفى كامل يفقد عنصرا هاما فى مساندة الحركة الوطنية ومع انه حاول ألا تصل علاقته بالخديو الى درجة القطيعة فان توالى الأحداث جعلت الأمور تصل الى حد القطيعة بينهما لمدة تصل الى عامين .

ونتيجة لكل ذلك أخذ اللورد كرومر بظهر بمظهر صاحب السيطرة الفعلية على البلاد فأخذ يزور الأقاليم ويقابل المديرين والأعيان كأنه الحاكم الفعلى للبلاد ، كما تقدم بنفسه الى الجماهير يخاطبهم فى الشئون العامة ويلقى عليهم النصائح والأوامر (٥٦) .

وهكذا كان للاتفاق الودى آثاره السلبية على الحركة الوطنية المصرية وعلى زيادة خضوع الخديو للاحتلال .

القطيعة بين الخديو ومصطفى كامل ١٩٠٤ ــ ١٩٠٦ :

أخذت بوادر الخلاف بين مصطفى كامل والخديو تنمو كلما زاد الخديو فى خضوعه للاحتلال ، ولما ثارت قضية زواج الشيخ على يوسف صاحب المؤيد فى يوليه ١٩٠٤ وذلك حين تزوج على يوسف من الآنسة صفية ابنة الشيخ السادات دون علم والدها ، رفع الشيخ السادات دعوى بالمحكمة الشرعية طالبا التفريق بين الزوجين لعدم أهلية الزوج ، ورغم أن المحكمة قضت بالحيلولة بين الزوجين فان الخديو عمل على تأييد صاحب المؤيد من وراء ستار مما ضايق مصطفى كامل وزاد من ثورة الرأى العام على الخديو ، ولما سافر الخديو

---

(٥٥) على فهمى كامل : المرجع السابق ، ص ١٩١ ــ ١٩٥

(٥٦) اللواء : فى ٦ فبراير ١٩٠٥

الى ديفون [٥٧] للاستجمام زاره مصطفى كامل وصارحه برأيه فى مخار تأييده للشيخ على يوسف ولامه بلطف لتداخله فى هـذه القضية وأن ذلك سيسىء الى سمعته « خصوصا وأن الرأى العام كان ساخطا على الشيخ على لرغبته فى الزواج بالبنت رغم ارادة والدها [٥٨] . واشتد الأمر بينهما لدرجة أن الخديو قال لمصطفى كامل « رأى عام ايه ياشيخ هو فيه حاجة اسمها رأى عام أو أمة أنا ان لبست برنيطة ومشيت فى البلد ما حد يتكلم [٥٩] » ثم احتـد الخـديو قائلا لمصطفى كامل : « أنا ما أحبش تنصحنى أنا عارف الواجب على [٦٠] .

وبعد هـذه المقابلة رأى مصطفى كامل أن يقطع علاقته بالخديو واعتزم الابتعاد عنه [٦١] . ولما أراد مصطفى كامل أن يكتب جوابا للخديو بشأن ذلك حاول فريد وبعض زملائه منعه ، ولكنه صمم على رأيه [٦٢] ولما عاد من أوربا الى مصر أرسل خطابا الى الخديو أوضح فيه أنه اعتزم الابتعاد عنه حتى لا يظن أحد أن عليه شيئا من المسئولية فى جهاده السياسى [٦٣] وقد أرسل مصطفى كامل صورة الخطاب الى الأهرام ثم نشره باللواء ونصه كالآتى :

---

(٥٧) ديفون : بلدة من اعمال فرنسا ، وعلى آخر حدودها المتاخمة لسويسرا ، وقد اشتهرت بحمامها البارد الكثير الفوائد فقصدها المصطافون؛ وكان الغرض من ذهاب الخديو عباس الثانى الى مياه حمام ديفون هو حفظ درجة اعتدال جسمه حتى لا ينمو بالسمنة التى هو مستعد لها .

المؤيد : العدد ٣٣٧٤ فى ١٦ اغسطس ١٩٠٢ تحت عنوان « الجناب العالى الخديو فى مصيفه بديفون » .

(٥٨) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . الجزء الأول — القسم الأول ملف ١ ، ص ١

(٥٩) نفسـه .

(٦٠) نفسـه .

(٦١) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ ، وايضا اللواء : العدد ١٥٥٠ فى ٢٥ أكتوبر ١٩٠٤ تحت عنوان « الى الجناب العالى » .

(٦٢) مذكرات محمد فريد : الجزء الأول — القسم الأول ، ص ١

(٦٣) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٤٦

« مولاى : تشرفت فى ديفـون بالمثـول بين يدى سموكم يوم ٢٧ أغسطس المـاضى ، ورفعت الى مقامكم السامى أن الحالة السياسية الحاضرة تقضى على أن أكون بعيدا عن فخامتكم وأن أتحمل وحدى مسئولية الخطة التى أتبعها نحو الاحتلال والمحتلين ، منعـا لتكدير خاطركم الشريف ، ودفعا لمـا عساه يقع من الخلاف والنزاع (٦٤)» .

ومن ذلك الخطاب يتضح مدى وطنية مصطفى كامل واخلاصه فى جهاده ففى الوقت الذى يتقرب فيـه الخـديو من المحتلين يستميت مصطفى كامل فى كفاحه ، وفى اللحظة التى تخلى عنه فيها بعض مواطنيه وتعاونوا مع المحتل ظل على مقاومته له بإباء وشمم (٦٥) .

وقد عبر مصطفى كامل عن صعوبة الموقف فى خطاب له الى جوليت آدم ٢٦ ديسمبر ١٩٠٤ فبث لها همومه بقوله « انى أحضر مشـهدا فظيعا من أفظع المشاهد ، ذلك هو سقوط وطنى ، ولو كنت لا أستطيع أن أتنفس الصعداء كل لحظـة لقبرت من زمن بعيـد ، انه لمن أشق الأعمال أن يجاهد المرء ضد الزمن والحوادث والناس ! وليس هناك شىء يؤلمنى أكثر من الانحطاط الأدبى الذى استولى على أولئك الذين كان يجب عليهم أن يكونوا أكبر الناس شمما وشهامة (٦٦) » .

كما أرسل لها خطابا بتاريخ ٩ مارس ١٩٠٥ قال فيه « انى أعمل واجدا فى الحركة والجهاد أجمل تعزية ، وقـد أراد اللـه أن أكون المصرى الوحيد الذى يرفع لواء الاستقلال (٦٧) » .

---

(٦٤) اللواء : العدد ١٥٥٠ من السنة الخامسة فى ٢٥ أكتوبر ١٩٠٤ تحت عنوان « الى الجناب العالى » .
الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٤٦

(٦٥) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ١٩٤

(٦٦) على فهمى كامل : المرجع السابق . خطاب من مصطفى كامل الى جوليت آدم ، ص ١٦٥

(٦٧) نفســه : ص ١٨٥

وقد عبر مصطفى كامل عن استقلاله عن الخديو بقوله « ان سمو الأمير بعيد عن الحركة الوطنية ، وان المجاهدين ضد الاحتلال مستقلون عن سموه كل الاستقلال [٦٨] » كما ذكر فى مقال آخر « لقد اتهموا الحزب الوطنى تارة بأنه موحى اليه من الدولة العليـــة ، وطورا من ألمـــانيا ، وتارة أخرى من سمو الخديو ، وقد سقطت التهمتان الأوليان من قبل وهذه الثالثة قد سقطت الآن معهـــا ، فحان الأوان أن نهنىء أنفســـنا [٦٩] » .

ومن الواضـــح أنه لم يكن ممكنا أن يستمر مصطفى كامل على اتصاله بالخديو ، لأن عباس الثانى قد عرف عنه عدم الاستقرار فى الميول والخطط والآراء [٧٠] ، كما أن الخديو رأى أن صلته بمصطفى كامل قد كلفته كثيرا فى علاقته بالانجليز ، لذلك أخذ فى الابتعاد عنـــه خشية جلب مزيد من المتاعب له .

حادث طابة وموقف الحركة الوطنية والخديو منها :

خلاصة هـــذه الحادثة أن تركيا أثارت الخلاف الذى أحدثته من قبل حين تبوأ عباس الثانى أريكة الخديوية عام ١٨٩٢ ، بأن أرادت أن تقتطع شبه جزيرة سيناء من مصر فاعتزمت فى مايو ١٩٠٦ مد سكة حديدية من معان الى العقبة ، ولمـــا كان ذلك يعنى وجود قوة جديدة لتركيا على حدود مصر مما يؤدى الى تهديد مركز بريطانيا فى مصر فقد اهتم الانجليز بالأمر وأرسلوا ضابطا كبيرا عهدوا اليه بوضـــع نقط عسكرية على طول الخط من العريش الى العقبة باعتبار أنها من أملاك مصر ، ولكن الجنود التركية احتلت موقع طابة ؛ وهو على بعد ثمانية أميال غربى العقبة ، ونتيجة لذلك حدث خلاف شديد بين تركيا وانجلترا

---

(٦٨) اللواء : فى ٢٧ مايو ١٩٠٧
(٦٩) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٥١
(٧٠) نفســـه : ص ٣٤٨

ظهرت فيه انجلترا بمظهر الدولة الحامية لمصر ، اذ طالبت تركيا باسم مصر أن تجلو عن طابة [٧١] ، وأرسلت لها انذارا تطالبها بالجلاء عن طابه فى ظرف عشرة أيام والا ستكون النتائج وخيمة للغاية . ونتيجة لذلك أبرق السلطان الى الخديو يطلب منه التفاهم مع مختار باشـا فى المسأله ، وكان رد عباس بأنه ليس لديه ما يضـيفه سوى استمرار التمسك بحدود رفح ـ العقبة .

وبعد أسبوع من الانذار أخذت قوات الأسطول البريطانى تستعد للتحرك الى طابة ، كما أعدت بريطانيا جزءا من أسطولها للذهاب الى المضايق والقيام بمظاهرة بحرية مما جعل الدولة العثمانية تسلم بمطالب الانجليز فقررت الجلاء عن طابة ، ولم يمض وقت طويل حتى تشكلت لجنة تركية مصرية أخذت فى تخطيط الحدود بين البلدين [٧٢] فعين « أوين بك مدير قسم المخابرات وابراهيم فتحى باشـا مندوبين من طرف الحكومة الخديوية للتوجه الى العقبة والاجتماع مع المنـدوبين العثمانيين لتحديد التخوم المصرية فى شبه جزيرة طور سينا وقد خول للمندوبين المصريين السلطة المطلقة فى هـذا الشأن ورافقهما بعض مستخدمى مصلحة المساحة [٧٣] » .

وقد تتبع المصريون النزاع التركى الانجـليزى فوقفت بعض العناصر الوطنية بجانب الأتراك وأبدوا تأييدهم لموقفهم وأنكروا تدخل بريطانيا فى المشكلة فكتبت اللواء تهاجم موقف انجلترا فى مقال تحت

---

(٧١) الرافعى : المرجع السابق . ص ١٩٧

(٧٢) الأهرام : فى ١٩٧٩/٧/٢٠ مقـال للدكتـور يونان لبيب تحت عنوان « قراءة تاريخية فى حادثة تعيين حدود مصر الشرقية » .

(٧٣) محفوظات مجلس الوزراء ـ نظارة الحربية . محفظة رقم ١/د موضوعات مختلفة مجموعة ١١ حربية تحت عنوان « تلغراف وارد من الباب العالى بخصوص طابه بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٠٦ » .

عنوان « أنصر أخاك ظالمـا أو مظلوما [٧٤] » كما كتب مصطفى كامل موضحا أنه ليس لانجلترا أى صفة شرعيـة أو رسـمية تعطيها حق الدفاع عن مصر ضد الدولة العثمانية [٧٥] ، وهاجمت المؤيد موقف الانجليز من الأزمة فى مقال لها بعنوان « كيف يزداد حب الدولة العلية فى مصر وكيف ينمو بغض الانجليز [٧٦] » كما أرسل مصطفى كامل الى جوليت آدم موضحا اسـتياءه من تدخـل الانجـليز فى مسألة العقبة [٧٧] ودعا الى جلاء الانجليز عن مصر •

أما الخديو عباس الثانى فقد وقف سرا بجانب السلطان فى هذه الأزمة مع أنه ساير الاحتلال فى الظاهر ، ويؤكد ذلك أن الانجليز حصلوا على صور البرقيات المتبادلة بين الخديو والآستانة ، وكانت كلها ضدهم مع أن الخديو كان يظهر عكس ذلك معهم ، فلما اطلع عليها ملك انجلترا قال كنت أظن أن الخديو معنا ولكنا أصبحنا نعرف أنه يظهر لنا غير ما يضمر لذلك فلم نعد نثق به ، ونتيجة لذلك خسر الخديو عضـدا قويا ضد كرومر [٧٨] •

كما كان لموقف جريدته اللواء المؤيد لتركيا أكبر الأثر فى تفكير أحمد لطفى السيد فى انشاء جريدة مصرية تنطق بلسان مصر وحدها دون أن يكون لها ميل خاص الى تركيا أو الى احدى السلطتين الشرعية أو الفعلية فى مصر [٧٩] •

ونتيجة لتراجع الأتراك فى الأزمة تداعى الركن الثانى من أركان الدعوة التى كان مصطفى كامل يستند عليها وسقط كل أمل للمصريين

---

(٧٤) اللواء : العدد ٢٠٢٦ فى ١٣ مايو ١٩٠٦
(٧٥) اللواء : فى ٢٢ أبريل ١٩٠٦ تحت عنوان « مسئلة طورسينا » .
(٧٦) المؤيد : العدد ٤٨٦٠ فى ١٢ مايو ١٩٠٦
(٧٧) على فهمى كامل : المرجع السابق ، ص ٢٣٧
(٧٨) احمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ . قسم ٢ ، ص ٨٢ — ٨٧
(٧٩) هيكل : المرجع السابق ، ص ٥٩

فى معونة تركيا [٨٠] ، فكان هـذا درسا للحركة الوطنية المصرية أظهر لها مرة ثانية أنه لابد من أن تعتمد مصر على نفسها ، ولا جدوى من انتظار المساعدة من أى دولة أخرى •

حادث دنشواى ودوره فى انعاش الحركة الوطنية :

كان لهذا الحادث أثر بالغ فى انعاش الحركة الوطنيـة واهتزاز مركز الاحتلال ، وخلاصته أن بعض الضباط الانجليز ـ من كتيبة كانت فى طريقها من الاسكندرية الى القاهرة عسكرت فى قرية كمشوش التابعة لمديرية المنوفية ـ أرادوا الترويح عن أنفسهم بصيد الحمام فذهب خمسة منهم الى بلدة دنشواى التابعة لمركز شبين الكوم وصحبوا معهم جنديا مصريا ومترجما [٨١] ؛ وفى أثناء ذهاب الجندى الى بيت عمدة القرية ليبلغه بوصول الضباط الانجليز ، دخل الضباط ضيعة أحد الملاك لصيد حمام وجدوه واقفا على جرن محمد عبد النبى مؤذن القرية ، ومع أن أحد الفلاحين نبه الترجمان بأنه فى السنة الماضية جاء جماعة من الانجليز واصطادوا الحمام ؛ ولا يصح أن يتكرر ذلك هذه السنة فان أحد الضباط أطلق رصاصة انحرفت عن هدفها مما أدى الى اشتعال النار فى جرن محمد عبد النبى مؤذن القرية [٨٢] ، ونتيجة لذلك حاول بعض الأهالى انتزاع البنادق من الضباط فحدثت مشادة أطلق خلالها الضباط أعيرة نارية أصيب من جرائها سيدة تدعى أم محمد وشيخ الخفراء الذى كان قد حضر ومعه بعض الخفراء مما أدى الى زيادة ثورة الأهالى فشددوا هجومهم على الضباط وحاولوا انتزاع أسلحتهم وضربهم ففر منهم اثنان هما بول وبوستوك اللذين جريا فى اتجاه معسكرهم فأصيب الأول بضربة شمس أودت بحياته ، وفر الآخر حيث

---

(٨٠) هيكل : المرجع السابق ص ٥٩ .

(٨١) احمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٢٠١

(٨٢) نفسـه : ص ٢١٢

أبلغ قيادته بالحادث فقدمت دورية لانقاذ الضباط فصادفت الضابط بول ، وقد أحاط به الأهالى عند « سوق سرسنا » حيث سقط مغشيا عليه ، ونقلوه الى مبنى صغير فى السوق حيث قدموا اليه الماء ؛ وحين اقتربت منهم الدورية فروا مما أدى الى اعتقاد أفرادها أنهم قتله بول فطاردوهم وفى أثناء ذلك عثروا على أحد الفلاحين ـ سيد أحمد سعيد ـ مختبئا فى حفرة الطاحون فظنوا أنه هو القاتل وانهالوا عليه ضربا بكعوب البنادق والسونكى حتى هشموا رأسه .

ولما علمت سلطات الاحتلال بالحادث صعدت من سياسة الارهاب وطلبت تقديم المتهمين للمحكمة المخصوصة برئاسة بطرس غالى بصفته قائما بعمل ناظر الحقانية وعضوية أحمد فتحى زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية ؛ وثلاثة من الانجليز ؛ وقد عقدت المحكمة جلساتها يوم ٢٤ يونيه فى صيوان كبير يسع حوالى ثلاثة آلاف شخص دعى فيه الأعيان والعمد من مديرية المنوفية والمديريات التى حولها لمشاهدة الجلسات [٨٣] ؛ وقد استمرت جلسات المحكمة ثلاثة أيام ، وبالرغم من ثبوت أن المشاجرة كانت بسبق اصرار ، وأن وفاة الضابط الانجليزى كانت نتيجة ضربة شمس فقد درست المحكمة القضية ولم تعط للمتهمين الاثنين والخمسين فرصا للدفاع عن أنفسهم الا ثلاثين دقيقة فقط ليقولوا ما عندهم [٨٤] .

وفى الجلسة الأولى قرأ الهلباوى الاتهام وطالب بمعاقبة المتهمين بأشد العقوبات [٨٥] ورغم تقارير الأطباء بأن وفاة الضابط بول كانت نتيجة ضربة شمس فان الهلباوى اعتبر أن المتهمين هم الذين عرضوه لضربة الشمس بعد ضربه ؛ لذلك اعتبرهم قتلة .

---

(٨٣) دار الوثائق : مذكرات ابراهيم الهلباوى ، ص ٧٧
(٨٤) جوليت آدم : انجلترا فى مصر ، ص ٢٣٧
(٨٥) عن تفاصيل مرافعة الهلباوى .. انظر : المقطم فى الأربعاء ٢٧ يونيه ١٩٠٦

وقد حكمت المحكمة باعدام أربعة من الغرويين شنقا وهم حسن على محفوظ ويوسف حسين سليم والسيد عيسى سالم ومحمد درويش زهران والأشغال الشاقة المؤبدة على اثنين هما محمد عبد النبى المؤذن وأحمد محفوظ والأشغال الشاقة لمدة ١٥ عاما على أحمد محمد السيسى والأشغال الشاقة لمدة ٧ أعوام على ستة من المتهمين والجلد خمسين جلدة والحبس مع الشغل لمدة عام على ثلاثة والجلد خمسين جلدة على خمسة ، كما عزل عمدة دنشواى •

وقد نفذت الأحكام علنـــا فى قرية دنشواى فى ٢٨ يونيو أى بعد أسبوعين من الحادث [٨٦] واستغرق ذلك ســاعة بين عويل النســاء وصراخ الأطفال ووجوم الرجال وكان أول الذين شــنقوا هو حسن محفوظ . وكان بيته على مسافة خمس مترات من المشنقة وعلى سطح منزله وقفت حرمه وبنــاته وأولاده وحفيــداته وأولادهن من حيث استطاعوا أن يبصروه ولمــا رأوه يدنو من المشــنقة ناحوا فلما سمع عويلهم تكلم قائلا « لعنة اللـــه على الظالمين [٨٧] » •

واذا تفحصنا أسباب هــذا الحادث والأحكام التى صدرت على المتهمين نخرج بالنتائج التالية :

١ — ان المعتدى انما هم الانجــليز لأنهم فاجئــوا قرية آهلة بالسكان ليصطادوا الحمام كما لو كانت قرية مهجورة لا سكان فيها •

٢ — ان بعض الأهالى حذروا الضباط من خطورة اطلاق النــار ولكنهم لم يأبهوا لذلك التحذير •

٣ — لا يمكن للأهالى — وقد رأوا احدى نسائهم تسقط جريحة والنار تشتعل فى جرن القمح ، واصابة شيخ الخفراء وآخرين برصاص

---

(٨٦) محمد رشاد عبد العزيز : حادث دنشواى ، ص ١٤ — ٢٢
(٨٧) بلنت : فظائع العدالة الانجليزية . ترجمة المؤيد ، ص ٦٨ — ٦٩

الانجــليز ــ أن يقفوا مكتوفى الأيدى دون أن يدافعــوا عن أهلهم وبلدتهم [٨٨] .

٤ ــ ان أحكام المحكمة المخصوصــة تجافى العــدالة لأن أغلب أعضائها من الانجليز . بمعنى أن الانجليز جعلوا من أنفسهم حكاما وخصوما فى آن واحد .

٥ ــ أثبت تقرير الطب الشرعى أن الضــابط المتوفى انما مات لاصابته بضربة شمس وذلك لأن الوقت كان صيفا ودرجة الحــرارة ٤٢ درجة .

٦ ــ ان الدفاع عن المتهمين لم يكن من القوة والجــرأة بحيث يتناسب مع خطورة القضية وأهميتها سواء من وجهة النظر الوطنيــة أو من وجهة نظر أداء واجب الدفاع قضائيا ، فقد التمس المحــامون الرحمــة ، وفوضــوا أمر المتهمين الى المحكمة كأن التهمــة ثابتــة عليهم [٨٩] .

٧ ــ كانت المحاكمة شبه صــورية لأن النيــة كانت مبيتة على الانتقام فلم تستغرق المحاكمة سوى ثلاثة أيام ، وقبل أن تنهى المحكمة اجراءاتها صدر الأمر الى مخازن بولاق لاعداد المشانق والآلات الخاصة بالجلد وارسالها الى دنشواى [٩٠] .

نتائج الحادث :

١ ــ كان لهذا الحادث أكبر الأثر فى ايقاظ الأمة المصرية ، فبعد هــذه المأساة كادت الأمة المصرية تستسلم لليأس لولا دوى صوت

---

(٨٨) شحاته عيسى : الكتاب الأسود للاستعمار البريطانى فى مصر ص ٩٧

(٨٩) محمود كامل : اشهر القضايا المصرية . القاهرة ــ كتاب اليوم ص ١١٥

(٩٠) شحاته عيسى : المرجع السابق ، ص ٩٨

مصطفى كامل الذى بدد سحب اليأس وأحيا شعور التضامن القومى بين المصريين حتى أصبحت كافة البلاد المصرية تغلى بشعور سياسى مصطبغ بنزعة عدائية للاحتـلال [٩١] كما فقـد المصريون كل أمل فى العدالة التى يتشدق بها الانجليز ، وقد عبر قاسم أمين عن أثر هـذا الحادث فى نفوس المصريين فقال « رأيت عند كل شخص تقابلت معه قلبا مجروحا وزورا مخنوقا ودهشة عصبية بادية فى الأيدى والأصوات كان الحزن على جميع الوجوه حزن ساكن مستسلم للقوة ، مختلطا بشىء من الدهشـة والذهول ، يرى النـاس يتكلمون بصوت خافت وعبارات متقطعة وهيئة بائسة منظرهم يشبه منظر قوم مجتمعين فى دار ميت ، كأنمـا كانت أرواح المشـنوقين تطـوف فى كل مكان من المدينـة [٩٢] » .

٢ ـ يعتبر هـذا الحادث حدا فاصلا بين عهدين ، عهد اطمأن فيه الانجليز الى ثبات مركزهم فى مصر ، وخصوصا بعد أن أطلقت فرنسا لهم العنان ، والعهد الآخر هو يقظة الشعور الوطنى وتبديل يأس المصريين الى أمل واطلاع الرأى العام الأوربى والانجليزى على ما يرتكبه الاحتلال فى مصر من مآس ، وعلى مقدار العدل الذى كان الانجليز يفتخرون بتحقيقه فى مصر [٩٣] .

٣ ـ عودة الخديو عباس الثانى الى صفوف الحركة الوطنيـة وعودة العلاقات بينه وبين مصطفى كامل وقد أوضح محمد فريد ذلك بقوله « لمـا حصلت مسألة دنشـواى كاتب مصطفى كامل الخـديو بواسطة أحمد شفيق باشا .. ثم سافر الى لوندرة وقام بحركة ضد كرومر وخطب هناك خطبة كبيرة فى جمع من الكبراء[٩٤] » .

---

(91) Little, Tome. Egypt. London 1958 pp. 111 - 112.

(٩٢) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٠٧

(٩٣) عبد الحميد الكاشف : تاريخ الحزب الوطنى تحت زعامة محمد فريد ـ رسالة ماجستير غير منشورة .

(٩٤) مذكرات محمد فريد : الجزء الأول ـ القسم الأول ، ص ١ .

٤ ـ اعتبر المصريون أن أحـكام دنشـواى القاسية كانت اجراء انتقاميا ، لذلك تركت هـذه الحادثة جرحا لا يندمل فى ذاكرة الفلاحين المصريين [٩٥] واثارت كراهيتهم للانجليز بصفة عامة .

٥ ـ كان من نتائج دنشواى ازدياد قوة الحركة الوطنية التى يتزعمها مصطفى كامل ، وانضمام كثير من المترددين الى صفوف الحركة الوطنيـة ؛ فهتف الفلاح وابنه وامرأته من وراء المحراث وفى طريق القرية وعلى سطح الدار باسم مصطفى كامل [٩٦] وتقربوا منه وبذلك انضم الى حركة مصطفى كامل الفـلاحين بعـد أن كانت تقتصر على المثقفين مما أربك سياسة الاحتلال [٩٧] .

٦ ـ استغل مصطفى كامل هـذا الحادث للتشهير بالسـياسة الانجليزية واثارة الرأى العـام فى أوربا عامة وانجلترا خاصة على قسوة ما اتخذ من اجراءات ، فما أن سمع بالحـادث وكان وقتذاك بباريس حتى كتب فى جريدة الفيجارو مقالا فى ١٦ يوليه ١٩٠٦ تحت عنوان « الى الأمة الانجليزية والعالم المتمدين » روى فيه حقيقـة الحادث وهاجم المحكمة المخصوصة ، وما أصدرته من أحكام ، واستنكر الطريقة التى نفذت بها الأحكام مما أحدث دويا كبيرا وأثار الضمير العالمى [٩٨] وجعل من دنشواى مأساة عالمية عرف بها العالم المتمدين كله ، ويعتبر بدء حملة مصطفى كامل ضد الحادث من فرنسا تكتيكا بارعا حيث كانت الأرض مألوفة لديه ، ومهيـأة لدعوته [٩٩] كما أن الصـحف الانجـليزية الحرة أيدت مصطفى كامل فالتربيـون

---

(95) Chirol, V. The Egyptian Problem p. 93.

(٩٦) محمـد مصطفى الهيـاوى : مصر فى ثلثى قرن بين المـاضى والحاضر . القاهرة ١٩١٩ ، ص ٣٢

(٩٧) د. محمد مصطفى صفوت : مصر المعاصرة ، ص ٨٦

(٩٨) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ١٩ مايو ١٩٥١

(٩٩) د. السدى : دنشواى ، ص ١١٤

The Tribune علقت على مقالة مصطفى كامل فى الفيجارو بمقالة طويلة طالبت فيها « وجوب معاملة المصرى معاملة وقار ، وأن تمنح مصر حكومة مستقلة [١٠٠] » .

ولما كتب مصطفى كامل الى بلنت يعرب عن رغبته فى الذهاب الى لندن لايضاح القضية المصرية أمام الرأى العـام البريطانى شجعه بلنت على ذلك فاتجه مصطفى كامل الى لندن مستعينا بخبرة الخديو . وهناك تعرف على كثير من النواب الانجليز وكبار الكتاب والصحفيين ، وعقد اجتماعا حضره بعض أعضاء البرلمـان الانجليزى ومنهم المستر روبرتسن الذى أثار القضية فى البرلمـان .

وقـد حاول ادوارد جراى وزير الخارجية البريطانية استغلال الحادث التشـهير بالمصريين حيث وقف فى مجلس النواب وتكلم عن التعصب الاسـلامى فى مصر ؛ وطالب النواب بألا يشـغلوا أنفسهم بالمسألة المصرية حتى لا يضعفوا سلطان الحكومة فيها [١٠١] ؛ وقد أدى ذلك الى استياء مصطفى كامل فطلب من فخرى باشا القائم بأعمـال الخديو فى مصر أن يدحض تهمة التعصب الدينى التى وجهها جراى الى المصريين [١٠٢] .

كما أوضح مصطفى كامل بطلان هـذا الاتهام قائلا انه لا يوجد مسلم متنور واحد يظن لحظة واحدة أنه من الممكن اجتماع الشعوب الاسـلامية فى عصبة واحـدة ضـد أوربا ؛ وأن الذين يقولون ذلك اما جاهلون أو راغبـون فى ايجـاد هاوية بين العـالم الأوربى والمسلمين [١٠٣] ، وقـد اضطرت أحاديث مصطفى كامل الى تراجع

---

(١٠٠) على فهمى كامل : المرجع السابق . ص ٢٤٧

(١٠١) جولييت آدم : المرجع السابق ؛ ص ٢٣٩

(102) Alexander : The Truth about Egypt London 1911. p. 49 - 50.

(١٠٣) جولييت آدم : المرجع السابق ، ص ٢٤٣

جراى عن موقفه فذكر أن ما حدث فى مصر ليس مرجعه التعصب بمعناه الدينى وانما بمعناه السياسى (١٠٤) .

ومما سبق يتضح أن زيارة مصطفى كامل لبريطانيا قد أوضحت مدى حقيقة الأوضاع فى مصر ؛ وقد أدى ذلك الى حدوث مشادات كلامية فى مجلس العموم البريطانى بين وزير الخارجية وبين أعضاء المجلس من الايرلنديين والراديكاليين ، وحزب العمال ؛ وقد وقف مصطفى كامل وبلنت خلف الايرلنديين (١٠٥) بينما ساند الخديو وبعض رجاله مثل الشيخ على يوسف الراديكاليون (١٠٦) .

٧ — شهرت الصحف الوطنية وخصوصا اللواء بالطريقة التى نفذت بها أحكام دنشواى كما كان لخطباء المساجد دور فى التأثير على الرأى العام وايضاح المظالم التى حاقت بفلاحى دنشواى .

٨ — تراجع الحكومة البريطانية عن تأييد سياسة كرومر ورأت أن التضحية بشخصه أفضل من ضياع مصالحها فى مصر (١٠٧) ومن ثم أنهت حكم كرومر واستبدلت بسياسة العداء للخديو سياسة التهدئة وعدم التشدد (١٠٨) التى اتبعها جورست . وقد اعتبر الحزب الوطنى سقوط كرومر ظفرا وطنيا كبيرا (١٠٩) .

٩ — الاتفاق على تأسيس الحزب الوطنى وجريدتى ليتندار ، L'Etendard Egyptien والاستاندارد The Egyptian Standard وذلك لشرح وجهة النظر المصرية أمام الرأى العام الأوربى ؛ وقد وعد

---

(104) Blunt : My Diaries, Vol 11 p. 158 - 159.

(105) Ibid. pp. 154 - 155.

(١٠٦) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى ، فى ١١ مايو ١٩٥١

(١٠٧) احمد شفيق : المرجع السابق جـ ٢ ، ص ١١٧

(١٠٨) دار الوثائق : مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ٦ ص ٢٥٠

(١٠٩) جوليت آدم : المرجع السابق ، ص ٢٦٦

الخديو بالمساعدة فى المشروع (١١٠) كما أوعز سرا الى بعض الأغنياء بالمساعدة ، مما أدى الى تضايق كرومر وانتقاده لهذا العمل ثم مقابلته للخديو لاستيضاح الموقف ؛ ولكن الخديو أنكر ذلك وذكر أنه لم يتقابل مع مصطفى كامل ولم يمده بالمعاونة (١١١) .

١٠ ــ حاول الانجليز اجتذاب العناصر الوطنية الى جانبهم فطلب كامبل بانرمان رئيس الوزراء البريطانى من مصطفى كامل ترشيح ٣٢ اسما لتعيينهم فى ادارة شئون مصر وكان سعد زغلول ضمن قائمة المرشحين (١١٢) .

١١ ــ أدت أحداث دنشواى الى اتساع دائرة تأثير مصطفى كامل على الجماهير فكثرت اضرابات الطلبة ، واتسع انتشار الصحف الوطنية، وازدادت حركة الاتصال بين الجماهير وقادة الحركة الوطنية ، وشارك الأقباط فى موجة النقد الموجهة ضد الاحتلال ، وبذلك زادت هذه الحادثة من الوحدة بين المسلمين والأقباط (١١٣) .

١٢ ــ المطالبة بالغاء المحكمة المخصوصة لأنها والعدل ضدان لا يجتمعان كما اتضح ذلك من محاكمات دنشواى (١١٤) .

١٣ ــ بدأت انجلترا والعالم الأوربى يعرفان أن الرغبة فى الحرية

---

(١١٠) مذكرات محمد فريد : الجزء الأول . القسم الأول ، ص ٢

(١١١) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١٠٣

(١١٢) جوليت ادم : المرجع السابق . ص ٢٥٩

(١١٣) مصطفى النحاس جبر : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ص ٢١

(١١٤) دار الوثائق : محافظ عابدين . ديوان خديو ــ محفظة رقم ١٢ التماسات جماعية « عريضة استخلاص واسترحام الى الجناب العالى الخديو من حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية » .

والاستقلال لم تكن وليدة عدد قليل من المصريين ، وانمـا هى رغبـة الجماهير العريضة من الشعب المصرى .

وهكذا كانت أحداث دنشواى سببا فى تغيير السياسات والمفاهيم لدى كافة الأطراف فقد شدت من أزر الحركة الوطنية وأعادت الخـديو الى صفوفها كما جعلت الانجليز يغيرون من سياستهم فى مصر مما كان له أثره على الأحداث بعد ذلك .

الفصل السادس

سياسة الوفاق بين الخديو والاحتلال وظهور الأحزاب

١ ـ استقالة كرومر وتعيين جورست ·

٢ ـ انقسام الحركة الوطنية وظهور الأحزاب ·

٣ ـ الحزب الوطنى ودوره فى قيـادة الحركة الوطنيـة ايام مصطفى كامل.·

١ ـ استقالة كرومر وتعيين جورست :

نتيجة لنجاح الانجليز فى احباط حركة المعارضة التى قام بها الخديو فى الأعوام الأولى من حكمه ، وتهديدهم المستمر له بالعزل ، اضطر الخديو الى اتباع سياسة الوفاق الظاهرى والمقاومة السرية تجاه الانجليز ، ثم جاءت حادثة فاشودة فزادت من تقرب الخديو من الانجليز ، ولكن تمسك اللورد كرومر بخطته الرامية الى التقلبل من شأن الخديو جعل ذلك الأخير ينفر منه ويتردد فى السير فى وفاقه مع الاحتلال ، فشجع الحملات المعادية لانجلترا ، ومثال ذلك ما حدث فى أزمتى طابة ودنشواى .

وفى ٢٤ مارس ١٩٠٧ نشرت جريدة الاجبشيان استاندارد تصريحات أدلى بها الخديو لمكاتب جريدة الطان ونصها « أنا أحب بلادى حبا شديدا كما يعرف كل مصرى كيف يجب أن يحبها ، وتعلقنا بهذا الوطن عظيم فهو وطننا الخاص ، وفيه خيرنا وله كل محبتنا ونكره أن نموت فى وطن آخر سواه [١] » وأنكر بصفة قاطعة وجود أى تعصب فى مصر بقوله « ان التسامح من أعظم قواعد ديننا [٢] » ثم تحدث عن التهمة الموجهة اليه وخلاصتها أنه يريد أن يوجد لنفسه سلطة شخصية يستعملها على النمط الشرقى فقال « اننى تعلمت وأدركت بواسطة تربيتى الأوربية أنه لابد من اتحاد الأمة مع ملكها فى العمل لمصلحة البلاد وحسن ادارتها ، أما الحكومة الاستبدادية فانها عمل شاق ولا أقوى على احتماله » وختم كلامه بقوله « لقد بذلت كل قواى

---

(١) احمد شفيق : المرجع السابق . الجزء الثانى . القسم الثانى ، ص ١١٣ ــ ١١٤

(٢) نفســه : ص ١١٤

عاملا لمصلحة بلادى ، ما عارضت مطلقا فى عمل اعتقدت أنه نافع لمصر، ولم أرفض فى حياتى الاصغاء للنصائح والارشادات (٣) » .

وقد سر مصطفى كامل من هذا الحديث ونشرته اللواء فى صدر صفحاتها الأولى بعد أن وزعت اعلانات تلفت فيها النظر لما ستنشره ونتيجة لما أحدثه هذا التصريح من غضب للانجليز فقد اضطر الخديو الى استدعاء الشيخ على يوسف طالبا معونته بقوله « الحقنا ! الولد مصطفى كامل عمل عملة بطالة ؟ أولا وزع منشورا أمس صباحا لفت فيه أنظار الناس لتصريحاتى ، ثم نشرها فى جريدته بطنة ورنة » .

ثم اتفق الخديو مع الشيخ على أن يكتب المؤيد والمنبر بأن الأمر لم يكن يدعو الى هذه الحركة الصبيانية لأن ما قاله الخديو لمكاتب الطان لم يكن فيه ما يدعو لهذه الضجة وبالفعل تم ذلك (٤) .

ثم أدلى الخديو بحديث للمستر دايسى Dicey مكاتب جريدة الديلى تلجراف فى ٣١ مارس ١٩٠٧ أوضح فيه رغبته فى التفاهم مع الانجليز وانه يرى فى الاحتلال أمرا طبيعيا ويفضله عن أى احتلال آخر كما أوضح أنه بالرغم من احترامه للسلطان فانه لا يسمح بالتنازل عن أى حق اكتسبته مصر من الدولة العثمانية ثم عرج الى مدح الملك ادوارد ملك انجلترا .

ونظرا لما فى هذا الحديث من تأكيد لتواجد الاحتلال لمصر فقد هاجمته الصحف الوطنية بشدة مما اضطر الخديو الى انكاره فأوعز الى الشيخ على يوسف بأن ينشر فى المؤيد بأن فكرته عن الاحتلال لم تتغير (٥) .

---

(٣) احمد شفيق : المرجع السابق ص ١١٤ .

(٤) نفسه : ص ١١٤

(٥) نفسه : ص ١١٦

ومما سبق يتضح رغبة الخديو فى أن يوضح للأنجليز أن تأييده للحركة الوطنية انما يرجع الى عدم قدرته فى التعامل مع كرومر . ونتيجة لذلك ونتيجة لما أثارته حادثة دنشواى استاء الأحرار الانجليز من كرومر وسياسته فى مصر .

وكتب دايسى Dicey مقالة ذكر فيها أنه من الخير لانجلترا ومصر أن يحل مكان كرومر معتمد بريطانى يكون أصغر عمرا وأقل ميلا الى الحكم المطلق حتى يستطيع التفاهم مع الخديو لأنه من مصلحة انجلترا الانتفاع بما للخديو من نفوذ شخصى فى مصر باعتباره صاحب السلطة الشرعية بها [٦] ، يضاف الى ذلك أن دايسى انتقد سياسة كرومر فى كتابه The Future of Egypt كما انتقد تصرفاته أيضا مع الموظفين الانجليز فى مصر ، واتهمه بأنه يجبرهم على تنفيذ تعليماته حتى ولو كانت مخالفة لآرائهم [٧] .

ورغبة من الحكومة البريطانية فى امتصاص غضب الحركة الوطنية فى مصر وفى كسب ود الخديو قررت عزل كرومر [٨] وتعيين الدون جورست معتمدا بريطانيا جديدا ليطبق سياسة جديدة من شأنها المحافظة على المصالح البريطانية فى مصر بطريقة أكثر دبلوماسية [٩].

وعلى كل حال فقد كانت استقالة كرومر انتصارا للحركة الوطنية اذ اعتبر مصطفى كامل أن سبب ذلك يرجع الى ما أحدثته دنشواى من آثار كان لها أكبر الأثر فى ضيق الأحرار الانجليز والمتمدنون فى

---

(6) Alexander : op. cit., p. 98 - 99.

انظر ايضا : الجريدة . العدد ٥٨ فى ١٨ مايو ١٩٠٧ تحت عنوان « رأى ديسى فى كرومر » .

(7) Dicey : The Future of Egypt p. 198 - 200.

(٨) عباس العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية . القاهرة ـ مطبعة حجازى ١٩٣٦ ، ص ١٣٩.

(9) Ronald Storrs. Orientations, 1934 p. 66.

أنحاء الأرض من كرومر [١٠] .

وكان جورست صاحب خبرة بشئون مصر حيث عمل فى عدة وظائف أهمها منصب المستشار فى كل من نظارتى الداخلية والمالية [١١] كما كان على علاقة وثيقة وطيبة بالخديو .

وقد رحب الخديو عباس بجورست واعتبر تعيينه بمثابة ترضية له من ملك بريطانيا وحكومتها [١٢] .

وجاء جورست الى مصر مزودا بتعليمات تقضى بأن يخفف من نتائج السياسة التى طبقها كرومر فى مصر ، وأن يسعى للقضاء على الحركة الوطنية باتباع سياسة الوفاق مع الخديو [١٣] وقد قدم جورست أوراق اعتماده الى الخديو فى قصر رأس التين بالاسكندرية فى ١٦ مايو ١٩٠٧ ، فرحب به الخديو وأظهر سروره وابتهاجه بعودته الى مصر بعد أن خدمها مستشارا للداخلية ومستشارا للمالية ، كما أعرب عن شدة أسفه واستيائه من الذين يهيجون أفكار الناس بدلا من القيام على اصلاح وطنهم بالطرق المشروعة [١٤] ولكى يرضى جورست الخديو أغمض عينيه عن كثير من المسائل . فبدأ باطلاق يد الخديو رويدا رويدا فى أعماله الخاصة ، مثل استغلال أموال الأوقاف وبيع الرتب والنياشين بأثمان غالية يضاف الى ذلك أن جورست

---

(١٠) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٤١٠

(١١) للتفاصيل انظر : ملف خدمة ومعاش سير الدون جورست دار المحفوظات العمومية . دولاب ٤١ عين ١ محفظة رقم ٨٤١ دوسيه ٢٢١٨٥

(١١) احمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١١٩

(١٢) روز شتين : تاريخ المسألة المصرية ، ص ٣٤٧

(١٣) المقطم : العدد ٥٧١٠ فى ٩ يناير ١٩٠٨ تحت عنوان « حديث الجناب العالى » .

(١٤) عباس العقاد : المرجع السابق : ص ١٤١

أطلق يد الخديو فى أعمال الحكومة فى سبيل أن يشن الخديو حربا ضارية على الحركة الوطنية وبوجه خاص الحزب الوطنى •

وقد أعقب تودد جورست للخديو قيامه بحركة تطهير للموظفين الانجليز الذين أساءوا الى وظائفهم واعتقدوا أن الشرق لا يستحق من أساليب الحكم الا تلك الأساليب التى اصطلحوا على تسميتها بالأساليب الشرقية ويعنون بها المراوغة والتلفيق(١٥) •

ولما أحس مصطفى كامل بأن هدف الوفاق هو بذر بذور الشقاق بين الأمة والخديو طالب الوطنيين بالحذر من السياسة الجديدة كما أرسل الى جوليت آدم موضحا بأنه وان كان سقوط كرومر يعتبر نصرا وطنيا فان اختيار جورست سيطيل أمد الكفاح لأنه يرغب فى ايجاد سوء تفاهم بين الوطنيين والخديو(١٦) •

٢ ــ انقسام الحركة الوطنية وظهور الأحزاب :

أدى يأس الوطنيين من الحصول على مساعدة فعالة ضد الاحتلال من أوربا وتركيا أو من الخديو الى ضعف الحركة الوطنية وانقسامها الى ثلاث أقسام :

١ ــ قسم يشمل بعض كبار الملاك وبعض المثقفين من أتباع الشيخ محمد عبده ، وكان هدفهم حماية مصالح كبار الملاك على أساس أنهم أصحاب المصالح الحقيقية فى البلاد ، وكانوا على استعداد للتعاون مع الاحتلال وبوجه خاص بعد أن رأوا ثمار اصلاحاته فى الزراعة والرى •

٢ ــ قسم يشمل أنصار الخديو وعلى رأسهم الشيخ على يوسف

---

(١٥) عباس العقاد : المرجع السابق ، ص ١٣٩

(١٦) على فهمى كامل : المرجع السابق ، ص ٢٨٥

وكان هدفهم تحقيق الاستقلال الادارى ثم اقامة حكم نيابى مقيد بسلطة الخديو واستمر هؤلاء ينتقدون الاحتلال نقدا معتدلا •

٣ ــ فريق مصطفى كامل وهو الذى حمل لواء المعارضة القوية ضد الاحتلال واعتمد هذا الفريق على المثقفين بوجه عام[١٧] •

ومن هذه المجموعات تكونت الأحزاب المصرية الكبرى الثلاثة وهى حزب الأمة وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية والحزب الوطنى ولما كان موضوع دراستنا هو الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى فاننا سنقصر حديثنا فى هذا المقام على الحزب الوطنى •

(أ) نشأة الحزب الوطنى :

كان تعبير الحزب الوطنى معروفا فى مصر قبل ظهور مصطفى كامل بعشرات السنين فعندما أحس المصريون بالخطر على مصير بلادهم وفكروا فى التخلص من الخديو اسماعيل الذى لا يحسن تصريف شئون البلاد تم الاتفاق بين الجمعية السرية التى تكونت من ضباط الجيش[١٨] وجمعية حلوان (*) على تأليف « حزب خفى من العظماء والكبراء والعلماء سموا أنفسهم بالحزب الوطنى •

وقد يؤدى تسمية تلك الهيئة السياسية بالحزب الى لبس كبير لأنه لم يكن حزبا يقابل أحزابا أخرى من أبناء البلاد تتعارض فى

---

(١٧) د. جمال المسدى : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .

(١٨) كون هذه الجمعية على الروبى فى عام ١٨٧٦ اى بعد هزيمة الجيش المصرى فى حرب الحبشة .
للتفاصيل انظر الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا ١٨٦٣ ــ ١٨٧٩ المجلد الثانى ص ٢٧٠ .

(*) جمعية سرية تكونت فى ابريل عام ١٨٧٩ وضمت شريف باشا واسماعيل راغب ومحمد سلطان وغيرهم من الشخصيات السياسية الرافضة لسياسة رياض باشا .

المبادىء والبرامج على النحو الذى نعهده اليوم فى الأحزاب السياسية، ولكنه فى حقيقته كان هيئة واحدة شاملة للحركة الوطنية فى جملتها ، وانما سمى بالحزب ليقابل جماعة الشراكشة والترك والألبانيين والأرمن الذين كانوا يتبعون الدولة العثمانيــة ، وينفردون بولاية الحــكم فى الوظائف الكبيرة ، وأكثر الوظائف الصغيرة ، فالحزب الوطنى على هذا الاعتبار كان هو حزب المصريين الفلاحين أو حزب الأمة المصرية [٢٠].

ومعنى ذلك أن لفظ الحزب الوطنى كان قد أطلق على مصطفى كامل وجماعته قبل نشأة الحزب رسميا عــام ١٩٠٧ ، يذكر الدكتور هيكل أنه أثناء تواجد مصطفى كامل ببــاريس عام ١٨٩٥ صرح بأنه يعمل من أجل توضيح القضية المصرية ، وأنه موفد من قبل الحــزب الوطنى علما بأن هذا الحزب لم يكن له وجود فى عام ١٨٩٥ ولكنه حاول أن يذكر الفرنسيين بالحــزب الوطنى الذى كان يطلق على العرابيين والذى ضربه الانجليز بعد تخلى فرنسا عن مصر [٢١] ، يضــاف الى ذلك أن سلطات الاحتلال كانت تشير الى جماعة مصطفى كامل باسم الحزب الوطنى . وقد عبر مصطفى كامل عن ذلك بقوله « ان الحزب الوطنى الذى جعل أول مراميه وأسمى غاياته استقلال مصر ورد حقوقها اليها موجود فينا فعلا من ثلاثة عشر عاما مضت ، فهو وان لم يظهــر بشكل نظامى وبلائحة ولجنة ادارة قد ظهر بأعمال اتفق أعضاؤه على خدمة البلاد بكل قوة ، وقاوم الاحتلال فى أوربا ومصر مقاومة شهدها كل المصريين والغربيين [٢٢] » .

والجدير بالذكر أن الجمعيــة السرية التى تكونت فى عام ١٨٩٦ تحت رئاسة الخديو والتى عبر عنها مصطفى كامل بأنها « حزب سرى مخلص للغــاية وعلى اســتعداد للتضــحية بذاته فى ســبيل الوطن

(٢٠) عباس العقاد : محمد عبده ص ١٧٨ .
(٢١) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ص ٥٢ .
(٢٢) اللواء فى ١٠ اكتوبر ١٩٠٧ .

المقدس [٢٣] » كان يطلق عليها اسم الحزب الوطنى وقد أوضح لطفى السيد ذلك بقوله « كونا تحت رعاية الخديو عباس جمعية سرية فى بادىء الأمر وكانت هذه الجمعية هى الحزب الوطنى [٢٤] » .

والواضح أن فكرة تأسيس الحزب الوطنى قد راودت مصطفى كامل قبل الاعلان عن تأسيسه بمدة ، ففى عام ١٩٠٠ فكر فى اقامة حزب على غرار الأحزاب الأوربية وأوضح عن ذلك فى اللواء معربا عن أمنيته فى تأسيس هذا الحزب [٢٥] ولكن خشيته من تفتيت الجبهة الداخلية جعله يحجم عن تنفيذ فكرته .

وقد ظلت فكرة تأسيس الحزب الوطنى تراود خيال مصطفى كامل وعندما اجتمع بالخديو فى خريف ١٩٠٦ اتفق معه على تأسيس الحزب الوطنى وكانت نقطة الخلاف حول هل سيكون الحزب سريا أو علنيا وكان رأى الخديو أن يكون سريا ثم انتهى الأمر بأن يكون علنيا [٢٦] ومع ذلك لم يسرع مصطفى كامل فى تكوين حزبه ، بل تريث فى الأمر حتى أواخر ١٩٠٧ خشية تفتيت الجبهة الداخلية ، ولكن ظهور حزبى الأمة . والاصلاح على المبادىء الدستورية قد دفعاه الى الاسراع فى تأسيس حزبه ، وقد أوضح مصطفى كامل ذلك فى خطاب أرسله الى محمد فريد قال فيه « ان ظهور حزب الأمة المؤلف من أولئك الذين خبرنا نفسيتهم وميلهم الى مسايرة المحتلين وفقا لما يسمونه سياسة اللين والتدرج ، وان ما علمته كذلك من صاحب المؤيد على تأليف حزب باسم « حزب الاصلاح » لخدمة سياسة السراى ، هذان الأمران يحتمان علينا كل التحتيم أن نظهر حزبنا الوطنى بالرغم

---

(٢٣) على فهمى كامل : المرجع السابق ص ٣٩ .

(٢٤) اللواء الجديد . العدد الخامس فى ١٩٤٤/١٢/١٠ « حديث لطفى السيد باشا » .

(٢٥) اللواء فى ٢ يوليه ١٩٠٠ تحت عنوان «حزب وطنى حر فى مصر »

(٢٦) مذكرات محمد فريد ملف رقم (١) الجزء الأول ــ القسم الأول ص ١ .

منا مظهره الحقيقى حتى يعلم العالم كافة أن للوطن المصرى حـزبا يطلب بعزيمة صادقة الجلاء والدستور أى أنه لا يقبل حكم الأجنبى ولا حكم الفرد » ، ثم أوضـح مصطفى كامل الأسـباب التى تجعله لا يرغب فى تعدد الأحزاب فقال « نعم انى أرغب الآن كل الرغبة فى ظهور هذا الحزب بحال منظمة بالرغم من وطنيتى التى ترى فى تعـدد الأحزاب حربا أهلية لا مندوحة منها ؛ حربا تعوق ولو الى حين ما نرمى اليه من حرية واستقلال بتقوية مركز المحتل لبلادنا ولكن ما العمـل ونحن لو سكتنا أمام هذه الحال التى ما أوجدها الا دهـاء جورست وقصر نظر المؤلفين لهذين الحزبين لفقدنا كل شىء ، ولأصبحت الوطنية المصرية عدما فى عدم بتغليب المبادىء السقيمة عليها وتقاعس المخلصين لنصرتها وانمائها »[٢٧] .

وما سبق يتضح أن مصطفى كامل رغم أمنيته فى أن يرى فى مصر حزبا وطنيا منظما الا أنه خشى أن يبدأ بهذه الخطوة حتى لا تنقسم الجبهة الداخلية ؛ واستمر على هذه السياسة حتى ظهر حزبا الأمـة والاصلاح على المبادىء الدستورية ، فاضطر الى أن يعلن عن حزبه حتى لا تضيع الأهداف الوطنية وسط المتاهات الحزبية .

ففى الثانى والعشرين من أكتوبر ١٩٠٧ دعا مصطفى كامل الوطنيين لمؤتمر عام بمسرح زيزينيا بالاسكندرية حيث ألقى خطبة طويلة أعلن فيها عن قيام الحزب الوطنى ودعا أفراد الأمة الى الانضمام اليه[٢٨] فانهالت عليه الطلبات من كل جانب وعقدت أول جمعية عمومية للحزب يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ بدار جريدة اللواء بالقاهرة وافتتح مصطفى كامل الجمعية العمومية بخطبة نوه فيها بوجود الحزب الوطنى من قديم ثم أشار الى ضرورة تنظيمه موضحا أن الحزب الوطنى لم يكن حزبا

---

(٢٧) جوليت آدم : انجلتـرا فى مصر — ترجمـة على فهمى كامـل ص ٢٧٣ .

(٢٨) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٦٢ .

سياسيا فحسب بل هو قبل كل شيء حزب حياة للأمة وانهاض لها ؛ حزب يهتم بتعليم سائر طبقات الشعب ، ويرى أن استقلال البلاد هو أساس كل سعادة ويسعى للوفاق بين أفراد الأمة كما يقوم بتحسين حال الفلاح[٢٩] .

وبعد خطاب مصطفى كامل ألقى محمود بك أنيس كلمة مجد فيها أعمال مصطفى كامل وكفاحه فى سبيل مصر ، وبعد ذلك انتخب الحاضرون بالاجماع مصطفى كامل رئيسا للحزب الوطنى مدى الحياة[٣٠] ، وبعد التصديق على اللائحة قام الحاضرون بانتخاب الأعضاء الثلاثين للجنة الادارية الأولى للحزب[٣١] .

والجدير بالذكر أن الحزب الوطنى كان الحزب الوحيد من الأحزاب الثلاثة الكبيرة ــ الذى التزم بنهج ديمقراطى فى تنظيمه اذ رفض أن يفرض على أعضائه لجنة ادارية معينة كما حدث فى حزبى الأمة والاصلاح بل ترك الأمر للجمعية العمومية التى قامت بانتخاب أعضاء اللجنة الادارية المكونة من ثلاثين عضوا وانتخبت هذه اللجنة التنفيذية المكونة من تسعة أعضاء[٣٢] .

أما عن برنامج الحزب فقد تضمن مبادىء عشرة هى :

١ ــ الاستقلال التام لمصر كما قررته معاهدة لندن ١٨٤٠ وضمنته الفرمانات السلطانية ذلك الاستقلال الضامن عرش مصر لعائلة محمد على والضامن للاستقلال الداخلى للبلاد وهو الاستقلال الذى تعهدت انجلترا رسميا باحترامه .

---

(٢٩) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٦٦ .

(٣٠) انتقد سعد زغلول ذلك بقوله أن كون التعيين مدى الحياة غير معهود فى الأحزاب .
انظر مذكرات سعد زغلول كراس رقم ٦ ص ٢٩١ ــ ٣٠٠ .

(٣١) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٦٧ .

(٣٢) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ، القاهرة ــ الانجلو المصرية ١٩٧٠ ص ٥٧ .

٢ — ايجاد حكومة دستورية فى البلاد بحيث تكون الهيئة الحاكمة مسئولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوربا .

٣ — احترام المعاهدات الدولية والاتفاقات المالية التى ارتبطت بها الحكومة المصرية لسداد الديون وقبول مراقبة مالية كالمراقبة الثنائية ما دامت مصر مدينة لأوربا وما دامت أوربا تطلب هذه المراقبة .

٤ — انتقاد الأعمال الضارة بكل صراحة والاعتراف بالأعمال النافعة والتشجيع عليها وارشاد الحكومة الى خير الأمة ورغائبها والاصلاحات اللازمة لها .

٥ — العمل على نشر التعليم فى أنحاء الديار على أساس وطنى صحيح بحيث ينال الفقراء النصيب الأوفر منه ، ومحاربة الخزعبلات والترهات ونشر المبادىء الدينية السليمة الداعية للرقى ، وحث الأغنياء والقادرين على بذل كل المساعدات لنشر التعليم بتأسيس الكليات فى البلاد وارسال الارساليات لأوربا وفتح المدارس الليلية للعمال والصناع .

٦ — ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وكل فروع الحياة ، والعمل والجد وراء نيل الأمة استقلالها العلمى والاقتصادى .

٧ — ارشاد الأهالى بكافة الوسائل الممكنة الى حقائق الأحوال وبث الشعور الوطنى فيهم ، ودعوتهم الى الاتحاد والائتلاف وتمكين المحبة بين عنصرى الأمة المسلمين والأقباط وتنبيههم الى واجباتهم نحو بلادهم .

٨ — مساعدة كل مشروع يعود على القطر بالنجاح والاجتهاد فى تحسين الأحوال الصحية حتى يزداد عدد السكان فتزداد الأمة قوة على قوتها .

٩ — تقوية روابط المحبة والصفاء بين الوطنيين والأجانب وازالة سوء التفاهم بينهم اذ وجد .

١٠ ــ تقوية العلاقات الودية بين تركيا ومصر من جهة ، وبين مصر والدول الأوربية من جهة أخرى ونفى كل تهمة عن مصر ، والعمل لايجاد أنصار لهـا فى أنحاء العالم حتى تكون لهـا قوة أدبية سامية تساعدها على اعتراف الغير بحقوقها الشرعية والتغلب على المساعى التى تعمـل ضدها ويراد بها اخفاء الحقيقة[٣٣] .

الآراء التى قيلت فى تأسيس الحزب الوطنى :

وتختلف الآراء التى قيلت عن تأسيس الحزب الوطنى فهناك رأى يرى أنه كان من الواجب على مصطفى كامل وجماعتـه محـاربة حركة تجزئة الأمة وتفتيت وحدتها بأن تبـادر بكشف أساليب الاسـتعمار وأعوانه بدلا من أن تسارع الى تنظيم نفسها على شـكل حزب بعـد الاعلان عن حزبى الأمة والاصلاح على المبادىء الدستورية[٣٤] . ولكن ردنا على ذلك هو أنه رغم اختمار فكرة تكوين الحزب الوطنى فى ذهن مصطفى كامل الا أنه لم يقدم على هذه الخطوة الا بعد الاعلان عن حزبى الأمة والاصلاح وبعد أن كاد صوت الجلاء يضيع وسط المتاهات الحزبية ، فالواضح أن الحزب الوطنى كان آخر الأحزاب الكبيرة التى أعلنت عن نفسها فقد أعلن عن قيام حزب الأمة فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ وحزب الاصلاح فى ٩ ديسمبر من نفس السنة .

بينما الحزب الوطنى لم يعلن عن قيامه الا فى ٢٧ ديسمبر من نفس العام يضاف الى ذلك أن مصطفى كامل رغم أنه اضطر الى قبول مبدأ تكوين الحزب السياسى فانه ظل يدافع عن فكرة مبدأ الحـزب الواحـد .

---

(٣٣) تقرير الحزب الوطنى عن سنة ١٩٠٧ ــ القاهرة . مطبعة اللواء ١٩٠٨ ص ٢١٦ ــ ٢٢١ .

(٣٤) محمد عبد السلام الزيات : الاتجاهـات المعـاصرة فى التنظيم السياسى القاهرة ــ الانجلو المصرية ص ١٤٧ .

وكان من رأى مصطفى كامل أن تعدد الأحزاب ممكن طالما أن الوطن ليس معرضا للخطر ، أما وقد أصبحت مصر محتلة من الانجليز ؛ فان مواجهة الخطر تقتضى الاكتفاء بحزب سياسى واحد هو الحزب الوطنى حتى يتمكن من توحيد الأمة وتجنيد وحشد كافة طاقاتها لتحقيق الاستقلال(٣٥) .

أما الرأى الثانى فكان يرى فى تعدد الأحزاب قوة للأمة وتأكيدا لصلابتها وتقدمها اذ أنه لا توجد الأحزاب الا فى الأمم القوية التى بلغت أشدها وتكون الأحزاب كالشجرة التى تتفرع الى أغصان كثيرة لكنها ترتبط بالجذع الكبير الراسخ بجذوره فى أعماق الأرض ، فكذلك الأمة القوية هى الجذع الراسخ وفروعها بمثابة الأحزاب المختلفة الاتجاهات(٣٦) .

ثم هناك رأى آخر يرى أن العمل الحزبى أفضل من العمل الفردى الذى يمكن أن ينتهى بموت الفرد ؛ كما أن وجود أحزاب معتدلة بجانب حزب متطرف يعطى للانجليز الفرصة فى التفاهم معهم فيكون أحدهم حلقة اتصال بين الأمة والاحتلال(٣٧) ومع وجاهة وجهات النظر السابقة فاننا نرى أن ظروف مصر فى تلك الفترة وهى فترة الاحتلال كانت تتطلب وجود حزب واحد قوى يستطيع قيادة الأمة نحو الاستقلال بعيدا عن المهاترات الحزبية التى غالبا ما تنشأ نتيجة الصراع بين مختلف الاتجاهات والنزعات الحزبية ، أما بعد أن يتحقق الجلاء فتعدد الأحزاب مطلوب لممارسة الحياة الديمقراطية .

وعلى كل حال فقد خاضت مصر غمار الحياة الحزبية ؛ وأصبح لزاما على الحزب الوطنى أن يحمل لواء الاستقلال .

---

(٣٥) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ٥٥ .

(٣٦) محمد توحيد : كيف يبحث الوطنى فى مسألة الأحزاب السياسية فى مصر ص ٩٠ .

(٣٧) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ٥٦ .

الحزب الوطنى ودوره فى قيادة الحركة الوطنية أيام مصطفى كامل :

ارتبطت الطبقة المتوسطة وبوجه خاص الكامنة منهــا فى المــدن بشخصية مصطفى كامل الرومانسية[٣٨] أشد الارتباط كما ارتبط الشباب بصفة عامة والطلبة بصفة خاصة بمصطفى كامل لدرجة أن أصبحت بعض المدارس مكانا للمناقشات السياسية التى أثارها الحزب الوطنى[٣٩] ومع ذلك فانه لا يمكن القول بأن الحزب الوطنى كان يمثل كافة المثقفين لأن هؤلاء وزعوا بين كافة الأحزاب[٤٠] كما أن الحزب الوطنى فى بداية تكوينه لم يهتم بجذب الفلاحين اليه وذلك لأن دعــوته بالتقارب من الدولة العثمانية جعلت الفلأحين يبتعدون عنه نظرا لمــا لاقاه الفلاحون من العسف أثناء الحكم العثمانى ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى حادثة دنشواى التى كانت فرصة لوصول صوت مصطفى كامل للفلاحين، يضاف الى ذلك أ نشاط الحزب الوطنى تركز فى المدن وبوجه خاص فى الاسكندرية[٤١] والقاهرة والمدن الكبرى بالوجه البحرى أما فى الوجه القبلى فلم يكن للحزب الوطنى فيه نفوذ يذكر[٤٢] .

ولعل أدق تحليل لدور الحزب الوطنى فى قيادة الحركة الوطنيــة هى ما ذكره الأستاذ محمد شفيق غربال اذ يقول « أبسط استجابة كانت

---

(٣٨) تتميز الروح الرومانسية Romantic بأمور ثلاثة هى :
١ ـــ الاهتمام بتحليل الذات ووصف المشاعر الذاتية .
٢ ـــ حب الطبيعة .
٣ ـــ التمرد على الأوضاع القائمة والتقاليد الموروثة ثم على المجتمــع بوجه عام .
د. عبد المنعم المليحى : النمو النفسى . القاهرة . لجنــة الجامعيين للنشر ص ١٦١ .

Alexander,J. OP . cit P. 229

(٤٠) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ص ٢٧ .

(41) Landau J. op. cit p. 135 .

(٤٢) د. محمد انيس : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .

استجابة مصطفى كامل : تقوم على قاعدة خالية من كل تعقيد ومن كل شطاره ، لمصر عدد واحد هو الاحتلال ، ولمصر مقصد واحد وهو الجلاء. وما عدا ذلك فتفصيل له وقته ، الاصلاح الحكومى وغير الحكومى ؛ الحكومة النيابية ، تسوية أمر الامتيازات ، السيادة العثمانية كلها حقا أشياء مهمة وأشياء ينبغى ألا تهمل ، ولكنها لا ينبغى مطلقا أن تطغى على المقصد الأساسى الجلاء ، أو تضعف من مقاومة العدو الأصلى الانجليز . ومصدر العقيدة أيضا بسيط كل البساطة هو حب الوطن حبا خالصا لا يشوبه التفكير فى انتفاع أو فى مصلحة . فكانت حملة مصطفى كامل اذن تستخدم ثلاث وسائل الوسيلة الأولى : ألا يأس مطلقا ، ألا تصدقوا أيها المصريون كلام الانجليز وكلام مأجوريهم بأن مركزهم فى مصر لا يتزعزع ولن يتزعزع والوسيلة الثانية لا تثقوا مطلقا بوعودهم ولا تركنوا الى محاولاتهم تبسيط مركز البلاد الدولى بل تذرعوا بتلك العناصر الدولية والعثمانية التى يكرهها الانجليز ويكفى كرههم لها لتمسككم بها . والوسيلة الثالثة لا تصدقوا أن الاحتلال يمكن أن يبطن خيرا لكم أو لبعضكم ؛ هو يفعل ذلك ليفرق كلمتكم ويجعل من بعضكم أعداء البعض الآخر[٤٣] .

ولقد كان دور الحزب الوطنى فى قيادة الحركة الوطنية يتمثل بصفة خاصة فى ازالة الآثار النفسية الكريهة التى أحدثها تصدع الحركة الوطنية بعد هزيمة العرابيين فى التل الكبير ، وبعد أن نجح الاحتلال فى أوائل عهده فى احداث حالة من البلبلة والاضطراب فى تفكير المصريين ، كما تسبب فى ايجاد حالة من القنوط واليأس والحيرة استولت على قلوب المصريين[٤٤] وهذا ما عبر عنه المثل القائل « اتفق المصريون على ألا يتفقوا » .

---

(٤٣) تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ص ٢٧ .
(٤٤) د. محمد انيس : التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ص ١٦ .

وقد عبر حافظ ابراهيم شاعر النيل عن حالة البلبلة والقنوط التى أصابت البلاد بقوله :

ان عشرين حجـــة بعـــد خمس	علمتنا السكوت مهمـا تمـــادى
أمــة النيل أكبرت أن تعـــادى	من رماهـــا ، وأشفقت أن تعادى
ليس فيهـــا الا كـــلام والا	حســرة بعــد حسرة تتهـــادى
لا جرى النيل فى نواحيك يا مصر	ولا جـادك الحيـا حيث جـادا
أأنت أنبت ذلك النبت يا مصـــر	فاضــحى عليــك شــوكا قتــادا

ولقد تميز برنامج الحزب الوطنى بالوضوح ورتب مطالبه الوطنية حسب أهميتها فأعطى للجلاء الأولوية على الدستور ، وبذلك كان حزب التعبير عن الواقع مما كفل له تأييد أغلبية الجماهير فكان له أعظم وزن فى الحركة السياسية المصرية فى تلك الفترة(٤٥) وقد أثمرت دعـــوة الحزب الوطنى فى جمع شمل المصريين حول مطلب الجلاء الذى اقترن بفكرة الحياة الدستورية ولمـا اتضح أن ذلك لا يتم الا بالارتقاء بأفراد الأمة اهتم الحزب الوطنى بنشر التعليم كما نادى برفـــع الغبن عن الطبقات الكادحة من أبناء الشعب(٤٦) .

ومما يؤخذ على الحزب الوطنى موقفــه المتخلف من القضـــايا الاجتماعية ، فرغم أن مؤسسه تعلم فى أوربا فقد ظل متمسكا بالقديم أشد الاستمساك فهاجم قاسم أمين عندما أصدر كتابه تحرير المرأة واتهمه بمخالفة الدين ، كما هاجم الشيخ على يوسف لموقفه من قضية
واتهمه بمخالفة الدين(٤٧) ، كما هاجم الشيخ على يوسف لموقفه من قضية
كامل حاول تملق الشعب فيما هو عزيز لديه من عادات وأوهام لاستغلاله فى الغايات السياسية .

---

(٤٥) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ٥٩ .

(٤٦) فتحى رضوان : كفاحنا الوطنى فى نصف قرن ص ٦١ .

(٤٧) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٢٧ .

ويؤخذ على الحزب الوطنى أيضا أنه لم يكن له دور بارز داخل القرية المصرية فاعتمد على الطبقة المثقفة مع أن الحركات الجماهيرية لا تتعمق جذورها الا بالاعتماد على القوى الفلاحية التى تمثل غالبية أفراد المجتمع .

كما يؤخذ عليه أنه لم يطرح على جماهير الشعب المصرى تصورات لآفاق جديدة مثل التى طرحتها الأحزاب الأخرى[٤٨] ولعل الخديو عباس الثانى كان محقا فيما قاله عن مصطفى كامل بأنه لم يكن مفرطا فى عصريته وأن أفكاره كانت أقرب الى التقليد الشرقى[٤٩] يضاف الى ذلك ما ذكرته جوليت آدم من أن مصطفى كامل كان يشفع أعماله بالتقاليد العربية الأصيلة حتى يرضى شمم عنصره الذى لا يقبل فى ذلك الوقت الا أن يسترد ما أعاره لأوربا[٥٠] .

وعلى كل حال فقد لعب الحزب الوطنى دورا بارزا فى حركة النضال الوطنى حتى يمكن القول أنه كان صاحب الفضل فى تهيئة الطريق أمام ثورة ١٩١٩ .

---

(٤٨) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ٥٣ .

(٤٩) المصرى فى ١٤ مايو ١٩٥١ .

(٥٠) جوليت آدم ، المرجع السابق ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

الفصل السابع

علاقة مصطفى كامل بالخديو فى ظل سياسة الوفاق

١ ــ موقف مصطفى كامل من سياسة الوفاق

٢ ــ تقييم علاقة كل من مصطفى كامل وعلى يوسف بالخديو

٣ ــ تحليل سياسة مصطفى كامل ودوره فى الحركة الوطنية

٤ ــ وفاة مصطفى كامل

١ ـ موقف مصطفى كامل من سياسة الوفاق :

اعتبر مصطفى كامل استقالة اللورد كرومر نصرا كبيرا للحركة الوطنية غير أن تعيين جورست واتباعه لسياسة الوفاق قد أقلقه وجعله يشعر بأن ذلك سيؤدى الى بذر بذور الشقاق بين الوطنيين والخديو، وقد عبر مصطفى كامل عن ذلك فى رسالة له الى جوليت آدم فقال « كان سقوط كرومر أمرا مرضيا لنا : واذا وهبنى الله القوة لأستمر فى جهادى خمس سنين فقط لوصلنا لا محالة الى نتائج عظيمة[1] » ثم ذكر أن اختيار جورست قنصلا جنرالا لانجلترا فى مصر من شأنه أن يطيل أمد الجهاد لأن خطته ستقوم على الملاينة والولاء للخديو برد بعض سلطته اليه أملاً فى تخدير الحركة الوطنية ؛ أو بذر بذور الشقاق بين الوطنيين وحاكمهم الشرعى ، كما أوضح « أن السياسة الانجليزية ما زالت تعتقد اننا طوع ارادة الحاكم ، وأنه ليست لنا ارادة ذاتية منبعثة عن شعورنا » وطالب بأن تكون « السياسة الوطنية الصحيحة التى يمكن اتباعها فى مثل هذا الموقف هى بلا ريب ترقب السياسة الانجليزية بكل حذر مع الابتعاد عن التعرض للخديو اذا هو اتفق مع جورست »[2] .

ونتيجة لسياسة الملاينة التى اتبعها جورست صرح الخديو بأنه مستعد للتعاون مع المعتمد البريطانى ، كما ذكر أن الاحتلال البريطانى أفضل من أى احتلال آخر وأنه لا فائدة من استبدال احتلال باحتلال ، ومعنى ذلك أن الخديو أوضح رغبته فى مشاركة المعتمد البريطانى فى

---

(١) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية ص ٢٨٥ .

(٢) جوليت آدم : المرجع السابق ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

حكم مصر حكما مطلقا[٣] لذلك فان مصطفى كامل لم يحجم عن انتقاد هذا الحديث فكتب فى اللواء « ان تصريحات الجناب العالى لا تقيدنا بأى حال من الأحوال .. وأن كل مصرى صادق الوطنية لا يقبل أن يكون حكم مصر بيد سمو الخديو بمفرده ، أو بيد المعتمد البريطانى . أو بيد الاثنين معا ، بل يطلب أن يكون حكم هذا الوطن العزيز بيد النابغين والصادقين من أبنائه ، وأن تكون نظامات الحكومة دستورية نيابية[٤] » ثم أوضح استقلال الحركة الوطنية عن الخديو فقال « ان سمو الخديو بعيد عن الحركة الوطنية ، وأن المجاهدين ضد الاحتلال مستقلون عن سموه كل الاستقلال ؛ فهو ان قال كلمة فى صالح الحركة الوطنية خدم نفسه وعرشه واستمال أمته اليه ، وان عمل ضدها أضر بنفسه وعرشه ونفرت أمته منه ولكنه فى الحالتين لا يستطيع الاضرار بهذه النهضة ، لأنها نهضة المطالبين بالحياة والوجود ؛ ومثل هذه النهضة لا يضرها انسان مهما كان قويا وعظيما[٥] .

ثم ذكر « ان مصلحة الشعب المصرى تقضى بأن تكون الحركة الوطنية بعيدة عن الجناب العالى حتى يعلم العالم كله أن المصريين يطلبون بأنفسهم وطوعا لعواطفهم وشعورهم اصلاح حالة بلادهم ، وترقية شئونهم ومنحهم الدستور ، وان هذه المطالب ليست صادرة بايعاز من كبير أو أمير[٦] » .

وعلى كل حال فبالرغم من أن الحزب الوطنى قد حرم نتيجة لسياسة الوفاق من نصير قوى هو الخديو فان ذلك لم يفت فى عضد زعامته[٧] ، لأنه كلما أمعن عباس الثانى فى اقراره بالتدخل الأجنبى

---

(٣) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ص ٣٥٠ .

(٤) اللواء فى ٢٦ مايو ١٩٠٧ .

(٥) اللواء فى ٢٧ مايو ١٩٠٧ .

(٦) الرافعى : المرجع السابق ص ٣٥٠ .

(٧) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ١٩٨ .

وتسليمه للانجليز التف الشعب حول الحزب ووقفوا بجانبه مما جعل الحزب يزداد اقتناعا بالاعتماد على شعبية الجماهير بدلا من الاعتماد على الخديو أو فرنسا أو الدولة العثمانية .

ونتيجة للسياسة التى اتبعها جورست فى التربص بالحزب الوطنى أخذ الحزب فى تنويع أسلوب عمله السياسى لكشف أساليب جورست الملتوية وتوعية الجماهير(٨) ، فكتب سيد على أحمد أحد كتاب الحزب مقالا فى اللواء أوضح فيه محاولات جورست شطر الأمة الى قسمين يفصل الراعى عن الرعية ليتخذ من أحدها ظهيرا على الآخر(٩) .

وظل الحزب الوطنى ينبه الأذهان الى خطورة سياسة جورست كما ظل ينادى بوحدة الصف لمواجهة مخاطر السياسة الجديدة .

تقييم علاقة كل من مصطفى كامل والشيخ على يوسف بالخديو :

حرص مصطفى كامل على ضرورة اتباع سياسة ودية تجاه الخديوية وتقوية الروابط بينه وبين الخديو للاستفادة منه فى شد أزر الحركة الوطنية ، وبالرغم من تسليم الخديو فى حادثة فاشودة وموافقته على اتفاقية السودان فان الوطنيين قد التمسوا له العذر بعض الشيء ، وليس معنى ذلك أن الحركة الوطنية كانت ربيبة القصر بل أن مصطفى كامل كان يرى ضرورة المحافظة على العلاقات الودية بين الطرفين حتى لا ينفذ الاستعمار من خلال الفرقة لتأكيد نفوذه بشرط ألا يؤثر ذلك على المطلب الأساسى وهو الجلاء ، ولكن لما توالى خضوع الخديو للاحتلال جعل علاقة مصطفى كامل به تفتر كما جعلته يفكر فى الاستقلال بالحركة الوطنية عن الخديو وعدم الاعتماد عليه لأن فى ذلك تعظيما

---

(٨) يونان لبيب : المرجع السابق ص ١٩٩ .

(٩) اللواء : العدد ٢٧٦٩ فى ١٩٠٨/١٠/٣ تحت عنوان « السياسة الخفية والمعتمد المستتر » .

لشأن الحركة الوطنية وبوجه خاص فى نظر دول أوربا التى كانت تعتقد أن الحركة الوطنية فى مصر ليست الا صنيعة للخديو ومن غير وحى الشعب بل من وحى ولى الأمر (١٠) فبادر مصطفى كامل بكتابة خطـاب الى الخديو بعد مقابلته فى ديفون يعلن عن قطع صلته به • ومن هنا تتضح طبيعة العلاقة المستقلة بين الخديو ومصطفى كامل لذلك فالقول بأن مصطفى كامل كان عميلا للخديو أمر يخالف الواقع لدرجة أن الخديو عباس الثانى اعترف بذلك فى مذكراته فقال « لقد قيل فى أيام كفاح مصطفى كامل العنيفة أنى كنت خصمه ، وقيل أيضا أنه صنيعتى ، وليس هناك ما هو أشد بعدا عن الحقيقة من هذا الذى قيل • ان مصطفى كامل لا ينتمى الا الى نفسه ، لقد كان رجلا من الصفوة عاش بايمانه ومات بايمانه ، أما أنا عباس حلمى فانى ما كنت أبدا خصمه ، وما كنت أبدا وحيه ، ولم يكن صنيعتى بل كان رائدا جنديا يحارب تحت رايـة مثله الأعلى (١١) •

ولقد قامت علاقة مصطفى كامل بالخديو تبعا لمواقف الخديو تجاه الاحتلال فقد اتخذ مصطفى كامل موقف المعارضة منه حين تنكر للحركة الوطنية ، لذلك يمكن القول بأن الخديوية عند مصطفى كامل كانت أداة من أدوات الكفاح وليست غاية وان مصطفى كامل اتخذ من الخـديو وسيلة لتوحيد سياسة الأمة المصرية على مقاومة الاحتلال (١٢) •

ومع أن مصطفى كامل حاول ألا تصل علاقته ع الخديو الى درجة النزاع الواضح حتى لا يعطى للانجليز الفرصة لتعميق ذلك الخـلاف فانه لم يكف عن توجيه النقد اليه كلما تقرب الى الاحتلال فلم يسكت على وقوف الخديو تحت العلم البريطانى أثناء استعراض جيش الاحتلال

---

(١٠) عبد اللطيف حمزه : ادب المقالة الصحفية ج ٥ ص ٦٤ ـــ ٦٥ •

(١١) جريدة المصرى العدد ٤٨٣٨ فى ١٧ مايو ١٩٥١ تحت عنـوان مذكرات الخديو عباس حلمى الثانى •

(١٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ص ٥٩٣ •

فى نوفمبر ١٩٠٤ بمناسبة عيد ميلاد ملك بريطانيا بل انتقد ذلك بشدة موضحا أن ما فعله الخديو يمثل اهانة للكرامة القومية[١٣] كما انتقد مصطفى كامل انصراف الخديو الى مصالحه الخاصة[١٤] ووقوفه بجانب الشيخ على يوسف فى قضية الزوجية ، يضاف الى ذلك انتقاد مصطفى كامل لحديث الخديو الى المستر دايسى حينما نفى عن نفسه تهمة العمل ضد الاحتلال ومدح أعمال كرومر[١٥] ومن ذلك يتضح أن مصطفى كامل كان يتخذ من الخديو أداة لتحقيق أغراض الحزب الوطنى وقد أكد ذلك المستر بلنت بقوله ان مصطفى كامل ندد بالخديو فى حديث معه يوم ١٩ ديسمبر ١٩٠٦ فقال ان جميع أفراد الأسرة الخديوية لا يساوون شيئا ويجب ابعادهم عن العرش[١٦] ، كما ذكر رشيد رضا أن الحزب الوطنى كان يتخذ من الخديو وسيلة لتوحيد سياسة الأمة على مقاومة الاحتلال فان ظفرت البلاد بجلاء الانجليز فان الحزب الوطنى يؤسس لها حكومة لا يكون للخديو ولا لأمثاله أدنى حظ منها[١٧] .

وهكذا كان شعار مصطفى كامل الوطنية ، وغرضه الوطنية ، وكلماته الوطنية ، وكتابته الوطنية ، وحياته الوطنية حتى لبسها ولبسته فصار بينهما تلازم مستمر فى كافة المواقف .

أما الشيخ على يوسف فقد كان يختلف عن مصطفى كامل فى تعامله مع الخديو اذ كان مرتبطا بسياسة الخديو متعلقا بأذياله ، فهو معه سخط على الاحتلال أم تهادن معه فعندما هادن الخديو الانجليز بعد فاشودة توقف الشيخ على يوسف عن مقاومة الانجليز كما أنه ضاق ذرعا بمقالات مصطفى كامل التى كانت تنشرها له المؤيد ، مما دفع

---

(١٣) الرافعى : المرجع السابق ص ١٨٣ .

(١٤) اللواء فى ١٠ ابريل ١٩٠٤ .

(١٥) اللواء فى ٢٦ مايو ١٩٠٧ .

(16) Blunt : My Diaries, Vol 11,p. 169 .

(١٧) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ج ١ ص ٥٩٣ — ٥٩٤ .

الأخير الى انشاء اللواء فى يناير ١٩٠٠ حتى يعبر عن آرائه ويوصلها الى الجماهير بدون قيود[١٨] وليتخلص أيضا من معاكسات الشيخ على له[١٩] . وقد أحاط الخديو عباس الثانى المؤيد وصاحبه برعايته وشملهما بحمايته وأصبح الشيخ على يوسف يسير فى ركاب الخديو حيث سار[٢٠] ويقف معه سواء أكان ظالما أو مظلوما فبعد الاتفاق الودى ١٩٠٤ تغيرت سياسة الشيخ على يوسف تجاه الانجليز ، وعدل عن المطالبة بالجلاء صراحة وسافر الى لندن وألقى خطبة طالب فيها المصريين بأن تكون لندن كعبتهم من الآن ، وبعد انفصال الحزب الوطنى عن الخديو وقف الشيخ على يوسف ضد مصطفى كامل علانية مما جعل الطلبة يتظاهرون ضده ويرشقون داره بالحجارة[٢١] .

وأخذت العلاقات تتوطد بين الخديو والشيخ على يوسف بدرجة أن الخديو كان يستشيره فى تشكيل الوزارات[٢٢] واختيار الوزراء كما جعله من جلسائه وأحد نصحائه وحظى بعطفه الذى لا ينقطع[٢٣] يضاف الى ذلك أن الخديو جعل من الشيخ على واسطته فى قضاء حاجاته الخاصة ، مثل بيع الرتب وخلافه وقد أوضح محمد فريد ذلك فى مذكراته فقال « كان الشيخ أكبر سمسار فى بيع الرتب والنياشين وه. مسائل الأوقاف وقد أثارت موقف الشيخ على الموالية للخديو عداء مصطفى كامل له فاندفع فى حملات عنيفة عليه على صفحات اللواء . كما انتهز فرصة زواجه من ابنة الشيخ السادات رغم ارادة والدها وشن عليه حملة قاسية فكتب مقالا فى اللواء تحت عنوان « قضية

---

(١٨) على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا ، ١ ص ٤٢٢—٤٢٣ .
(١٩) مذكرات محمد فريد . ملف ٢ ص ٥٨ .
(٢٠) تشارلز آدمز : الاسلام والتجديد فى مصر ص ٢١٧ .
(٢١) مذكرات محمد فريد ملف رقم ٢ ص ٥٨ .
(٢٢) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ٩ ص ٣٨٢ .
(٢٣) احمد شفيق : مذكرات فى نصف قرن الجزء الثانى — القسم الثانى ص ٧ ، ٢٧ ، ١٠٤ .

الزوجية » أوضح فيه أثر هذه القضية فى غضب الرأى العام وأثاره الخواطر كما كتب مقالا آخر بعنوان « من فضيحة الى أخرى » نـدد فيه بالشيخ على يوسف واتهمه بالخروج عن مبادئه ، وقد اشتمل هذا المقال على ٢٦ سؤالا وجهها مصطفى كامل الى الشيخ ومنها : هل الرجل الذى يقيم عشرة أعوام على مبدأ سياسى مرماه الجلاء والاستقلال ثم يتحول عنه الى اطراء الاحتلال ومسالمته يعد منافقا أم لا[٢٤] .

كما حاول مصطفى كامل أن يقنع الخديو بمضار خطته فى تأييد الشيخ على يوسف أثناء مقابلة ديفون ، ولكن الخديو لم يقتنع برأيه مما دفع مصطفى كامل الى قطع صلته به .

وعلى كل حال فقد روج مصطفى كامل للقضية المصرية ترويجا واسعا حتى انضم اليه الكثيرون ، كما روج الشيخ على يوسف أيضا للقضية المصرية ولكن طريقته فى الترويج كانت تختلف عن طريقة مصطفى كامل وكان تقبل الناس له أقل من تقبلهم لمصطفى كامل فالشيخ على يوسف كان أقرب الى الهدوء والرزانة بينما مصطفى كامل كان أقرب الى الثورية ، ولعل القضية المصرية كانت فى حاجة الى المجهودين معا وقد عبر الخديو عباس عن ذلك بقوله « لا يسعنى الا أن أذكر كل أولئك الذين وهبوا أنفسهم للنهضة الوطنية وأن أذكر من الصحفيين السيد على يوسف منشىء جريدة المؤيد المعروفة فى زمانها بتيمس الشرق ولنذكر أيضا جرائد الزعيم الوطنى الكبير مصطفى كامل باشا «اللواء» وزميله الانجليزى والفرنسى[٢٥] .

كما أوضح الخديو أنه حاول التقريب بين وجهتى نظر كل من الشيخ على ومصطفى كامل ولكنه لم يستطع مطلقا أن يحقق هذا الأمل اذ كان يفرق بين هذين الرجلين نوع من الكبرياء المبالغ فيه ؛ ومع ذلك فقد

---

(٢٤) اللواء : العدد ١٦٠٦ فى ٣١ ديسمبر ١٩٠٤ .
(٢٥) جريدة المصرى . فى ٢٧ مايو ١٩٥١ . مذكرات الخديو عباس الثانى .

كان بوسعهما أن يتفاهما دون أن يتحابا ، وكان لهما من المزايا والفضائل ما يكفى لأن يظفر كل منهما من صاحبه بالتقدير[٢٦] .

وخلاصه القول أن الشيخ على يوسف سار مع الخديو سواء سخط على الاحتلال أم تهادن معه بينما وقف مصطفى كامل مع الخديو عندما ساند الحركة الوطنية واختلف معه عندما هادن الاحتلال لأن الخديوية كانت أداة من أدوات الكفاح لا غاية .

٣ ــ تحليل سياسة مصطفى كامل ودوره فى قيادة الحركة الوطنية :

لقد أعاد مصطفى كامل للمصريين ثقتهم بأنفسهم بعد هزيمة العرابيين فى التل الكبير ، وذكرهم بماضيهم وجلال تاريخهم فى أسلوب سهل مؤثر على سامعيه ، فجرت خطبه على ألسنة الناس وكأنها أناشيد وأغان ، وكان مصطفى يعتقد أن الدين والوطنية متكاملان ولا مجال للصدام بينهما[٢٧] .

ولسنا من القائلين بعصمة الزعيم من الخطأ لأنه بشر ، والبشر معرض للخطأ كما أنه معرض للصواب ، كما أننا نضع فى اعتبارنا أن ما كان يمكن اعتباره عملا عظيما بالأمس قد لا يعد اليوم كذلك .

وفيما يلى نعرض للاتهامات التى وجهها البعض الى مصطفى كامل ونحاول تحليلها والرد عليها :

١ ــ قال البعض أن مصطفى كامل حاول ربط مصر بعجلة الدوله العثمانية رغم ضعفها ورغم الأضرار التى تلحق بمصر من جراء ذلك . ولتحليل ذلك يمكن أن يطرأ على الذهن عدة تساؤلات وهى :

---

(٢٦) جريدة المصرى : العدد السابق .

(٢٧) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسى من الاحتلال الى المعاهدة القاهرة ــ دار المعارف ١٩٦٧ ص ٣٠ .

(أ) ما هو هدف مصطفى كامل من ربط مصر بالدولة العثمانية ؟

(ب) ما هى الفوائد والأضرار التى عادت على مصر من هـذه السياسة ؟

(ج) هل كان مصطفى كامل على استعداد لتعديل هذه السياسة اذا أضرت بمصلحة مصر ؟

وعن التساؤل الأول فان مصطفى كامل تلميذ عبد الله النديم ـ الذى نادى بأن تكون مصر للمصريين ، وفضل الوطنية المصرية عما عداها ـ قد دعا الى دعم تبعية مصر لتركيا وضرورة التمسك بالرابطة العثمانية[٢٨] حتى يطمئن الى أن تركيا لن تنضم الى انجلترا فى سياستها الاستعمارية ضد أمانى المصريين[٢٩] وحتى يثبت بطلان الاحتلال الانجليزى وعدم شرعيته كما أنه رأى فى التعاون مع الدولة العثمانية ورقة سياسية ذات فعالية ضد محاولات انجلترا اعلان الحماية على مصر فليس من الحكمة أن ينادى مصطفى كامل بجلاء الاحتلال البريطانى وبالغاء السيادة العثمانية معا[٣٠] يضاف الى ذلك أن مصطفى كامل كان يأمل فى وجود تكتل اسلامى لمواجهة الخطر الأوربى ، ولا مانع عنده من أن يكون هذا التكتل تحت زعامة تركيا بمعنى أن الولاء لتركيا كان موقفا سياسيا لمسايرة الظروف الدولية التى تحيط بمركز مصر آنذاك فدعوته الى التمسك بالروابط مع تركيا لم تكن على حساب القضية انما كانت لخدمتها .

وقد تساءل مصطفى كامل ردا على مزاعم معارضيه ، ما الذى كان يحدث لمصر لو تنازلت تركيا عن حقوقها فى وادى النيل بمعاهدة مثل

---

(٢٨) مصطفى كامل : « المسئلة الشرقية » ص ٢٥٩ .

(٢٩) محمد علوبة : ذكريات سياسية واجتماعية ص ٢٦ .

(٣٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٣٦٠ .

ما حدث فى الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا ١٩٠٤ ألم يكن ذلك ربحا حقيقيا لانجلترا حيث يتسنى لهـا اعلان حمايتها على مصر .

ان فكرة عدم التعرض للسيادة العثمانية فى ذلك الوقت كان لهـا ما يبررها لأن التخلص من هذه السيادة كان أمرا هينا بعد التخلص من الاحتـلال[٣١] .

وقد عبر مصطفى كامل عن ذلك بقوله « وليعلم أعداء مصر أننـا نطلب لهـا الاستقلال بأعلى أصواتنا وعلى مسمع من أمم الأرض ، واننا اذا أخلصنا الود لأمة أو لدولة فاننا نعمل كغيرنا نتبع نامـوس الطبيعة القاضى بأن من اتفقت مصالحهم يجتمعون ويتناصرون[٣٢] » .

ومما سبق يتضح أن رؤية مصطفى كامل للسيادة العثمانية كانت قائمة من أجل مصلحة مصر ، وان حركة الحزب الوطنى كانت نابعة من مصر وغاية أمانيها الاستقلال[٣٣] .

وعن التساؤل الثانى وهو ما هى الفوائد والأضرار التى عادت على مصر من محاولات مصطفى كامل ربطهـا بتركيا ؟ فيتضـح أن هـذه المحاولات أرجأت محاولات الانجليز ضم مصر اليهم ، كما فوتت عليهم محاولات تقسيم مصر وأبرزت دولية المسألة المصرية .

أما عن أضرار هذه العلاقة فانها أبعدت الفـلاحين المصريين عن حركة مصطفى كامل الوطنية بعض الوقت لأن تقربه من الدولة العثمانية جعلهم يخشون عودة الحكم التركى بجبروته وقسوته ويذكرهم بالكرباج وقسوة جمع الضرائب .

---

(٣١) الرافعى : المرجع السابق ص ٣٦٢ .

(٣٢) نفسه ص ٣٦٨ .

(٣٣) اللواء فى ٢ فبراير ١٩٠٧ تحت عنوان « أمانى مصر وآمالها » .

أما عن التساؤل الثالث وهو هل كان مصطفى كامل على استعداد لتعديل هذه السياسة اذا أضرت بمصلحة مصر فاننا نعتقد أنه لو امتد بمصطفى كامل الأجل لعدل خطته تجاه تركيا كما عدل من خطته تجاه فرنسا والخديو من قبل لأنه كان لا يتوخى غير مصلحة مصر ولا يبحث الا عن سلامتها .

(ب) علاقة مصطفى كامل بفرنسا

كان التجاء مصطفى كامل الى الدول الأوربية وخصوصا فرنسا — ليطلب نجدتها ضد الاحتلال الانجليزى لمصر — أمر تقتضيه الظروف ومع ذلك فقد اتهم البعض مصطفى كامل بأنه كان عميلا لفرنسا ولكن الرد على ذلك هو أن العميل دائما تابع والتابع يصعب عليه أن ينتقد متبوعه ، أما مصطفى كامل فانه لم ينقد سياسة ولم يتهجم على منهج وأسلوب عمل كما فعل مع فرنسا فقد انتقدها علنا[٣٤] .

حقيقة أن مصطفى كامل كان معجبا بفرنسا فهى البلد الذى تعلم فيه القانون ، وظفر فيه بكثير من الأصدقاء . وتعرف فيه على كثير من رجالات الأدب والفكر والصحافة . واتخذ فيه لنفسه أما روحية هى جوليت آدم ، ورأى فيه كيف تكون الحرية والاخاء والمساواة[٣٥] ومع ذلك فقد انتقدها وعاب سياستها علنا وأبدى سخطه عليها وبوجه خاص بعد فاشودة والاتفاق الودى ، وقد أوضح ذلك فى خطاب له الى جوليت آدم فقال « انى أود أن لا تخفى عنك خافية من أفكارى وحقيقة احساسى نحو فرنسا فأنلى أهيج ضد السياسة المشئومة التى تقتفى أثرها[٣٦] ».

---

(٣٤) فتحى رضوان : مصطفى كامل . القاهرة — دار المعارف ص ٢٤٧ .

(٣٥) د. عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية فى مصر . ج ٥ مصطفى كامل صاحب اللواء . القاهرة — دار الفكر العربى . الطبعة الاولى ص ٦١ .

(٣٦) على فهمى كامل : المرجع السابق ص ٢٤٣ .

أما وقد استعان مصطفى كامل بفرنسا فكان أمر تقتضيه الظروف ففرنسا كانت دائما المنافس الأول لانجلترا ؛ وهذا أتاح لمصطفى كامل منابر لم يكن يجدها فى مكان آخر ، فقد وضعت فرنسا صحفها ومجلاتها وجمعياتها تحت امرة مصطفى كامل[٣٧] .

ومع ذلك فان مصطفى كامل لم يعتمد على فرنسا وحدها بل دافع عن القضية المصرية وأوصل صوت مصر الى كثير من البلاد الأوربية وحتى انجلترا نفسها سافر اليها مصطفى كامل لتوضيح قضية بلاده .

لقد حاول مصطفى كامل أن يضرب بريطانيا بفرنسا ويخرج بمعركة بلاده منتصراً ؛ ولكن تراجع فرنسا المستمر أمام انجلترا أضاع أمله ؛ لذلك لم يجد مصطفى كامل بدا من الاعتماد على الرأى العام المصرى فى مواجهة الاحتلال .

(جـ) علاقة مصطفى كامل بالخديو

سار مصطفى كامل على هدى تعليمات أستاذه النديم بألا يعادى الخديو حتى لا تنقسم الأمة كما حدث بين العرابيين والخديو توفيق لذلك اتخذ مصطفى كامل من الخديوية سندا فى كفاحه ، ولا شك أن الحركة الوطنية قد استفادت كثيرا بانضمام الخديو اليها ، ومع ذلك فان هذه الحركة لم تكن ربيبة القصر كما أن الوجود الاحتلالى لم يتسبب فى ظهور الحركة الوطنية وان كان قد ساعد على نموها[١] فالمتتبع لجذور الحركة الوطنية أيام مصطفى كامل يجد أنها لم تنبع من فراغ، فقد سبقتها ثورة عرابى التى انتهت بالاخفاق : فجاء مصطفى كامل لكى يبدد ظلام الهزيمة وينير طريق الكفاح الوطنى .

---

(٣٧) فتحى رضوان : المرجع السابق ص ٢٥٢ .

١ ــ د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ١٩٠ .

ويجب أن نذكر أن الحركة الوطنية فى أول أمرها كانت أضعف من أن تقف بمفردها أمام الانجليز ، لذلك كان ارتباط مصطفى كامل بالخديو أمر يقتضيه الواقع وتحتمه الظروف ، ومع ذلك قد ساير مصطفى كامل الخديو طالما وقف الأخير بجانب الحركة الوطنية ثم اختلف معه عندما هادن الخديو الانجليز وسايرهم . ومعنى هذا أن مصطفى كامل لم يكن عميلا للخديو ، وقد أوضح ذلك الخديو عباس نفسه فقال ليس هناك ما هو أشد بعدا عن الحقيقة من هذا الذى قيل ، ان مصطفى كامل لا ينتمى الا الى نفسه[٣٨] .

والواقع أن مصطفى كامل اتبع سياسة مترامية الأطراف تعتمد على أساليب متعددة من أجل جلاء الانجليز عن مصر ولم يترك وسيلة للدعاية للقضية المصرية الا ولجأ اليها . فقد كانت رسالته رسالة الاستقلال ، والجلاء فى نظره هو الرمز الصحيح للاستقلال لذلك وقف ضد الاحتلال وطرب عندما « رأى الروح الوطنية فى مصر قد جرت مع الدم فى العروق ، وأن حب الاستقلال صار يسكن كل فؤاد لأنه لا حياة للأمة المصرية بغير ذلك و لاتقدم لها بغير الوطنية العالية[٣٩] » .

لقد كان مصطفى كامل فى رأى البعض خياليا متطرفا فقد وصف الشيخ محمد عبده مقالاته بأنها « مجموع نوبات عصبية بعضها شديد وبعضها خفيف[٤٠] » ، واعتبر البعض طلبه للاستقلال سابق لأوانه [٤١] .

---

(٣٨) المصرى : فى ١٨ مايو ١٩٥١ — مذكرات الخديو عباس الثانى .

(٣٩) ضمن خطاب ارسله مصطفى كامل من باريس بتاريخ أول سبتمبر ١٩٠٧ الى احمد حلمى المحرر باللواء . والخطاب موجود بمتحف مصطفى كامل بميدان صلاح الدين بالقلعة .

(٤٠) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ص ٥٩٣ .

(٤١) الهلال : الجزء الثالث من السنة ١٦ فى أول مارس ١٩٠٨ ص ٣٣٣ .

والخلاصة أنه اذا كان لمصطفى كامل أخطاء ، فمن الممكن أن يلتمس له العذر فى أنه قد ناضل من أجل مصر فى شبابه ، كما أنه لم يمتد به العمر حتى تصقله تجارب الشيخوخة ، ورغم ذلك فيصعب على أحد أن ينكر أن مصطفى كامل خدم مصر بعمره القصير أكثر مما خدمها أصحاب التجارب الكثيرة فى أعمارهم الطويلة .

وفاة مصطفى كامل

ان المهمة الوطنية الكبيرة التى حملها مصطفى كامل على كاهله وظل يكافح من أجلها بكل جهد قد أنهكت قواه ، ومع ذلك لم يستطع أحد حتى من المقربين اليه أن يجبره على التزام الراحة[٤٢] .

وقد شعر مصطفى كامل بالمرض لأول مرة قبل وفاته بنحو أحد عشر عاما من فرط الاجهاد فى العمل لخدمة وطنه حينما عاد من أوربا فى ١٠ أكتوبر ١٨٩٧ فاستقبله أصدقاؤه وأنصاره بالحفاوة ولكن لم يمض يومان على عودته حتى اعتراه مرض أنهك قواه عدة أسابيع فأشار عليه الأطباء أن يقضى الشتاء فى حلوان فعمل بمشورتهم[٤٣] ثم عاد الى جهاده الملىء بالمتاعب . وكان حبه لمصر يفوق اهتمامه بصحته ، وقد عاوده المرض من حين لآخر حتى اعتلت صحته وقد كتب الى جوليت آدم موضحا ذلك بقوله « ان العمل قد أضنانى الى حد أشعر معه بسرعة الحاجة الى ترك الوسط الذى أعيش فيه ، وكأن الطبيعة خالفت سنتها اذ جعلت قوة روحى أكبر من قوة جسمى[٤٤] .

ولقد آثر مصطفى كامل الاهتمام بالدفاع عن قضية مصر على الاهتمام بصحته والسهر عليها مما جعل مهام الواجب الوطنى والمسئوليات التى أخذها على عاتقه تنوء بهيكله الضعيف ، وتضطره

---

(٤٢) أحمد رشاد : المرجع السابق ص ٢٨٥ .
(٤٣) طاهر الطناحى الساعات الأخيرة . القاهرة — دار الهلال .
(٤٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٠ .

خلال أسفاره فى الخارج الى إهمال العلاج الذى يتطلبه تكوينه النحيف ففى أثناء حادثة دنشواى كان مصطفى كامل يستجم من وهن فى قوته ، ولكنه ما أن سمع بالحادث حتى ترك الراحة واستأنف جهاده[٤٥] فهب من فراش المرض يدافع عن المظلومين ويحارب بقلمه ولسانه الظالمين رغم الحاح طبيبه عليه بالراحة فكتب فى « الفيجارو » مقالا تحت عنوان « الى الأمة الانجليزية والعالم المتمدين » شرح فيه الحادث أمام الضمير الانسانى[٤٦] ، فكان لذلك أكبر الأثر فى توضيح ما تئن منه مصر تحت نير الاحتلال ثم سافر مصطفى كامل الى لندن فوضح للرأى العام الانجليزى حقيقة أعمال كرومر فى مصر وعندما عاد الى مصر انكب على العمل لتحقيق المهام الوطنية التى نالت الكثير من صحته[٤٧] ويذكر محمد فريد « أنه عندما عاد مصطفى كامل من أوربا وذهب لمقابلته بالاسكندرية على الباخرة وكان الدكتور رمضان بانتظاره باللوكاندة ، فلما رآه مصفرا أخضر اللون قال لى همسا ان حالته الصحية غير مرضية ولابد أن يكون مصابا بالسل[٤٨] وتذكر جوليت آدم أنه بعد عودة مصطفى كامل من انجلترا أصيب بمرض غريب صرح على أثره طبيبه الخاص بأن حياته فى خطر ، وأنه من المحتمل أن يكون قد دس له السم فى انجلترا[٤٩] وقد ألح المرض على مصطفى كامل قبيل وفاته بثلاثة أشهر[٥٠] وبوجه خاص بعد وفاة والدته التى حزن عليها كثيرا ، ويتضح ذلك فى رسالة منه إلى مدام جوليت آدم فى ١٥ مايو ١٩٠٧ قال فيهـا « ان والدتى العزيزة ، المالكة فؤادى قد فارقت الدنيا يوم الأحد الفائت . ان حزنى شديد ، وحياتى كادت تنقضى[٥١] » ومع ذلك فقد مضى مصطفى كامل

---

(٤٥) احمد رشاد : المرجع السابق ص ٢٨٥ .

(٤٦) طاهر الطناحى : المرجع السابق .

(٤٧) أحمد رشاد : المرجع السابق ص ٢٨٦ .

(٤٨) مذكرات محمد فريد : الجزء الأول القسم الأول ص ٣ .

(٤٩) جوليت آدم : المرجع السابق ص ٢٦٠ .

(٥٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧١ .

(٥١) على فهمى كامل : المرجع السابق ص ٢٨٧ .

فى عمله فظل يغالب المرض ويجاهد ولما حان موعد اجتماع الجمعية التأسيسية للحزب الوطنى فى ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ ترك سرير مرضه ونزل الى ساحة دار اللواء حيث اجتمعت الجمعية العمومية وهناك ألقى خطبته ، وكانت آخر خطبة له فقد اشتد به المرض عقب الاجتماع وعاد الى غرفته مريضا ، وفى صباح اليوم التالى بلغه نبأ وفاة صديقه لطيف باشا سليم — أحد مؤسسى الحزب الوطنى وأحد أعلام الحركه الوطنية[٥٢] وأحد رجال الادارة والقضاء المعدودين فى مصر آنذاك[٥٣] فجزع مصطفى لوفاته جزعا شديدا وتدهورت صحته بسبب ذلك[٥٤] .

وكان مصطفى كامل وهو على فراش المرض لا يدع العمل والتفكير فى خدمة مصر فقد أرسل وهو طريح الفراش وقبل وفاته بخمسة أيام احتجاجا ضد تصريحات السير ادوارد جراى التى أدلى بها فى مجلس العموم البريطانى واتهم فيها المصريين بعدم الكفاية للحكم الذاتى ، فرد عليه بأن مصر لا تقل عن الأمم الأوربية فى استعدادها للحكم الذاتى وانها ستظل تجاهد فى سبيل حريتها واستقلالها حتى تحصل عليهما[٥٥] .

أخذ المرض يشتد على مصطفى كامل الى أن أسلم الروح فى الساعة الرابعة من عصر يوم الاثنين ١٠ فبراير ١٩٠٨ وقد نشرت اللواء هذا النبأ على صفحاتها فقالت « توفى الى رحمة الله مديرنا العزيز مصطفى كامل باشا رئيس الحزب الوطنى فى تمام الساعة الرابعة من بعد ظهر أمس . لقد أصيب مديرنا باغماء فى الصباح أقلق بالنا وحوالى الظهر

---

(٥٢) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧١ — ٢٧٢ .

(٥٣) الأخبار : العدد ٢٥٦ فى ٢٩ ديسمبر ١٩٠٧ تحت عنوان « لطيف باشا سليم » .

(٥٤) كتب مصطفى كامل الى جوليت آدم يقول « أما صحتى فهى بين اليأس والرجاء .. والسبب فى انتكاسى بعد خطبتى راجع الى مفاجأة المنون صديقا لى حميما كان من أشد وأكبر نصرائى المرحوم لطيف باشا سليم » . انظر رسائل مصرية فرنسية ص ٣٠١ .

(٥٥) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٢ .

لاح لنـــا أنه تحسن قليلاً ، فاستأنفنا أعمـــالنا ، وقـــد كنا قطعنـــاها فانهيناها ، ولكن سرعان ما انتكست وخارت قواه تدريجيا ولفظ أنفاسه الأخيرة عندما كانت الساعة تدق الرابعة[٥٦] » .

وقد انتشر هذا النبأ فى أنحاء مصر وبلغ الحزن منتهاه ولم يكن الشعور مقصورا على طبقة دون أخرى بل تناول كافة طبقات الأمة[٥٧] حتى أن خصوم مصطفى كامل السياسيين قد جزعوا لوفاته[٥٨] ، كما أن الحزن لم يكن مقصورا على مصر وحدها بل تخطاها وانتشر فى سائر العالم الاسلامى[٥٩] .

وقد شيعت جنازة مصطفى كامل بعد ظهر يوم ١١ فبراير ، وكان يوما مشهودا لبست فيه الأمة المصرية ملابس الحداد واجتمعت عشرات الألوف للسير فى الجنازة التى وصفها قاسم أمين بأنه رأى فيها قلب مصر يخفق للمرة الثانية بعد دنشواى .

وقد اشتركت معظم المدارس فى تشييع جنازة مصطفى كامل . وكانت كل مدرسة تسير حاملة علمها ، وقد حمل طلبة الحقوق النعش الملفوف بعلم مصر على أكتافهم ورغم محاولات الحكومة منع الطلبـــة من الاشتراك فى الجنازة فان الطلبة تركوا دروسهم وخالفوا أوامـــر

---

(٥٦) اللواء فى ١١ فبراير ١٩٠٨ .

(٥٧) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٣ .

(٥٨) رغم ما كان بين مصطفى كامل ولطفى السيد من خصومة سياسية فقد وقف الأخير كأنه مفجوع فى اعز الناس واقربهم اليه ، وكان لطفى السيد ممن دعوا الى اقامة تمثال لمصطفى كامل .

محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٣٣ .

(٥٩) الهلال : الجزء السادس من السنة السادســـة عشرة فى اول مارس ١٩٠٨ ص ٣٢٢ تحت عنوان « مصطفى كامل والنهضة السياسية » .

نظار المدارس[٦٠] وذلك نظرا لما كان يتمتع به مصطفى كامل من نفوذ كبير بين الطلبة[٦١] ٠

ولم يستطع المعتمد البريطانى جورست أن يخفى الحقيقة فقد ذكر فى تقريره أن جمهورا كبيرا قد شيع جنازة مصطفى كامل كان أكثرهم من الأفندية وتلاميذ كل مدارس القاهرة الثانوية والعالية تقريبا[٦٢] كما اشترك فى تشييع الجنازة كثير من كبار رجالات مصر وأعيانها وقد نشرت الصحف المصرية بكافة اتجاهاتها نبأ الوفاة وأفردت الأعمدة الطوال من صفحاتها لهذا النبأ ٠ ويذكر على فهمى كامل أنه تسلم ١٣٣٣٤ برقية ، ٨٤٣٠ خطاب عزاء وان الطلاب ذكورا واناثا حملوا شارة الحداد عليه أربعين يوما بالرغم من معارضة مستشار المعارف دنلوب[٦٣] ٠

ولقد ظن الانجليز أن المعارضة قد ماتت بوفاة مصطفى كامل وفات عليهم أنه قد بذر حب الوطنية وسلم الراية مرفوعة لمن أتى بعده كما أرسى دعائم حزب سياسى استطاع ادارة دفة الكفاح الوطنى ضدهم تحت زعامة محمد فريد ٠

---

(٦٠) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ٧ ص ٣٤٢ — ٣٤٤ ٠

(61) Landau : op. cit p. 123 .

(٦٢) تقرير جورست عن المالية والادارة والحالة العمومية عام ١٩٠٧ - من جورست الى جراى . القاهرة — ترجمة المقطم ص ٧٦ ٠

(٦٣) على فهمى كامل : المرجع السابق ص ٣١٥ ٠

الفصل الثامن

الحزب الوطنى تحت زعامة محمد فريد

١ ــ محمد فريد وزعامته للحزب الوطنى

٢ ــ الصراع بين محمد فريد وعلى فهمى كامل

٣ ــ الخلاف بين فريد والخديو

٤ ــ تعيين بطرس غالى رئيسا للنظار وموقف الحزب الوطنى منه

٥ ــ مقتل بطرس غالى وأسبابه

١ ـ محمد فريد وزعامته للحزب الوطنى :

بعد وفاة مصطفى كامل حاول الخديو احتواء الحزب الوطنى وذلك بترشيح من يتوسم فيه السير فى ركاب القصر : ويدين بالطاعة والولاء له ولما لم يكن فريد بالرجل الذى تتوفر فيه هذه الصفات فقد بدأ الخديو يدس دسائسه لانتخاب من يكون طوع ارادته وقد أوضح فريد ذلك فى مذكراته فقال « أرسل الخديو رجاله فى الجنازة والمأتم فالشيخ على يوسف عدو مصطفى كامل والمنافس له فى جميع أموره حضر المأتم فى الليالى الثلاث الأول وكذا عرفى باشا من رجاله أيضا ؛ وأخذوا يرشحون من يتوسمون فيهم الطاعة من الرؤساء مثل يوسف المويلحى أو عرفى باشا : وبعضهم رشح الشيخ على يوسف نفسه ، ولكن كل هذا لم يفد .. ومن لعبوا دورا مهما فى هذه المسألة بايعاز من الخديو على فهمى كامل ، فانه كان يريد أن ينتخب بصفته أخ الفقيد وجهز أوراقا مكتوبا عليها اسمه ، ووزعها على بعض الحاضرين ، وأدخل فى محضر الاجتماع الكثيرين من غير الأعضاء بواسطة من وضعهم على الباب من رجاله ، ولكنه لما رأى التيار قويا ضده حول الدفة ، وخطب فى الحاضرين مرشحا لى بناء على جواب كتبه له أخوه من أوربا يوصيه فيه بانتخابى رئيسا لو فاجأه القدر المحتوم[١] .

كما أوضح أحمد شفيق أسباب محاولات الخديو منع انتخاب فريد رئيسا للحزب الوطنى فذكر أن ذلك كان يرجع الى أن فريد لم يكن بالرجل الذى يسير طوع ارادة الخديو ، لذلك فان الخديو عمل على

---

(١) مذكرات محمد فريد . ملف رقم ١ الجزء الأول ـ القسم الأول ص ٣ .

تقريب أعضاء الحزب منه واملاء ارشاداته وتوجيهاته عليهم حتى يسيروا على الطريقة التى تتفق مع أهوائه ومراميه[٢] .

وعلى كل حال فقد فشلت محاولات الخديو فى اسقاط فريد ووقف الأستاذ عثمان صبرى صهر مصطفى كامل وألقى خطبة أبان فيها أن محمد فريد هو المرشح الوحيد لخلافة مصطفى كامل ، وكانت هذه الفكرة موضع اعجاب الحاضرين قبل الاجتماع فنودى به رئيسا للحزب الوطنى[٣] ومع أن المادة الأولى من لائحة الحزب كانت تقضى بانتخاب رئيس الحزب مدى الحياة فان فريد طالب بتعديل هذه المادة وتحديد المدة التى ينتخب لها الرئيس فأجيب الى طلبه ، وتقرر جعل مدة الانتخاب ثلاث سنوات[٤] .

ولما علم الخديو بأمر تعيين فريد طلبه بالتلفون فتوجه الى سراى عابدين فقابله الخديو وهنأه على انتخابه وكان من ضمن عباراته له « ان وجود مثلك على رأس الحركة الوطنية مفيد جدا لأنك لست محتاجا، ولا طالبا للمال ولأنك من عائلة خدمت البلاد .. ولا يمكن للانجليز أن يقولوا عنك بأنك طالب شهرة أو مال أو وظيفة[٥] » .

حمل فريد زعامة الحزب الوطنى وأخذ يشرف على تحرير جرائد الحزب الثلاثة ويوجه سياستها كما أنشىء فى أول عهده بالرئاسة نادى الحزب الوطنى وتولى رئاسته فبرهن على أنه جدير حقا بأن يحمل الرسالة ، ولكن الأمور لم تسر على المنوال الذى سارت عليه رئاسة مصطفى كامل للحزب الوطنى فقد اكتنفت رئاسة فريد مشاكل جمة منها أنه تولى زعامة الحزب فى وقت ظهرت فيه سياسة الوفاق بين

---

(٢) احمد شفيق : المرجع السابق ص ١٤٥ .
(٣) الرافعى : محمد فريد ص ٤٥ .
(٤) نفسه ص ٤٥ .
(٥) مذكرات محمد فريد . الجزء الأول — القسم الأول ملف رقم (١،) ص ٤ .

الخديو والاحتلال ، فصارت الحركة الوطنية بزعامة فريد هدفا لحرب شديدة من جانب الاحتلال والخديو معا[٦] مما جعل فريد يضاعف من جهاده .

وقد أعلن فريد أن مطالب الحركة الوطنية تنحصر فى مطلبين هما الجلاء والدستور وبذلك كان متفقا فى خطته مع مصطفى كامل الا أنه أبرز دعوة المطالبة بالدستور وجعل منها حركة عامة دعا اليها الأمة ووجهها الى مطالبة الخديو بالدستور بكتابة العرائض الى قصر عابدين[٧] ، وقد أعد الحزب الوطنى عرائض لتقديمها الى الخديو بطلب مجلس نيابى[٨] .

والواضح أن عمل هذه العرائض كان بالاتفاق مع الخديو ، وقد وضح فريد ذلك بقوله « كان الشروع فى هذا العمل بالاتفاق مع الخديو حتى اذا سافر الى انجلترا يتكلم مع الملك ادوارد فى ذلك ويظهر له أن الأمة تطلب الدستور وانه أى الخديو — يوافق على ذلك لأنه من حقوقها[٩] » .

وأخذ الحزب الوطنى يجمع التوقيعات بطلب المجلس النيابى حتى وصلت الى حوالى نحو خمسة وسبعين ألف توقيع[١٠] ، ولما كان لهذه

---

(٦) الرافعى : المرجع السابق ص ٤٦ .
(٧) دار الوثائق : محافظ عابدين — ديوان خديو . التماسات جماعية مختلفة رقم ١٠٢ .
(٨) صيغة هذه العرائض ما يلى .
مولاى « اننا بكل اخلاص وثقة بآمالكم السامية نلتمس من لدنكم ان تمنحوا رعيتكم المخلصة ما منحه ابوكم الكريم لها عام ١٨٨١ وهو انشاء مجلس نيابى يكون عونا لحكومتكم السنية على نشر العلوم والمعارف ، وانت يا مولاى الامير خير من يقدر الدستور قدره لانك نشأت نشأة عصرية ضاعفت محبتك لرعيتك التى رقيها من اجل امنيتك » .
اللواء . ١٩٠٨/٢/٢٥ وما بعدها . وانظر أيضا تقارير الامن العام — الداخلية الموجودة بدار الوثائق تحت عنوان عرائض وطلبات من الأهالى بشأن انشاء مجلس نيابى عام ١٩٠٨ .
(٩) مذكرات محمد فريد . القسم الأول — الجزء الأول ص ٤ ، ١٠ .
(١٠) نفسه .

الحركة دوى كبير داخل البلاد سعى الاحتلال لاحباطها فعندما سأل أحد الأعضاء فى مجلس العموم وزير الخارجية البريطانى عما اذا كان لخديو أن يمنح مصر دستورا أو مجلسا نيابيا ، فأجابه بأنه لا يمكنه ذلك الا بعد استشارة الحكومة البريطانية مما جعل الحزب الوطنى يحتج بشدة على ما تخوله انجلترا لنفسها من الحق غير الشرعى فى التدخل بين الأمة والخديو صاحب السلطة فى منح أمته الدستور[١١] .

وعلى الرغم مما أبداه الخديو من ارتياح فى بداية الأمر الى تقديم العرائض فانه قابل اتساع هذه الحركة بالفتور ، ثم تغير موقفه حيالها وبوجه خاص بعد أن أظهر الاحتلال استياءه من هذه الحركة[١٢] . ثم اتبع الحزب الوطنى أسلوبا جديدا فى المطالبة بالدستور وهو أسلوب المظاهرات الشعبية ، فكان يتجمع فى حديقة الجزيرة الآلاف ثم تسير المظاهرة الى قلب القاهرة منادية بالدستور ، وكان دور الطلبة وخصوصا طلبة المدارس العليا بارزا فى هذه المظاهرات ففى محطة طنطا قام الطلبة بمظاهرة وطنية أثناء مرور الخديو بها يطالبون بالدستور ، كما تظاهر الطلبة أثناء مرور موكب الخديو فى القاهرة هاتفين الدستور يا أفندينا[١٣] ، وكان طلبة الحقوق يصعدون على سطح مدرسة مجاورة لقصر عابدين يرددون الهتاف للدستور[١٤] ، وقد تزايدت هذه الهتافات حتى أصبحت أقرب الى نشيد وطنى لا يظهر الخديو فى أى مكان عام الا ويواجه بها وأحيانا تختلط هذه الهتافات بزغاريد النساء[١٥] .

واتبع الحزب الوطنى أسلوب آخر فى المطالبة بالدستور ، وهو تقديم عريضة للخديو يطلب فيها أعضاء الحزب الدستور ، واذا لم يتحقق مطالبهم فى مدة شهر يتوقف كافة المصريين عن دفع الضرائب

---

(١١) الرافعى : المرجع السابق ص ٥٨ .
(١٢) نفسه ص ٥٩ .
(١٣) نفسه ص ٦٢ .
(١٤) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٣٢ .
(١٥) دار الوثائق : مذكرات سعد زغلول كراس رقم ٩ .

للحكومة[١٦] يضاف الى ذلك أن بعض رجال الحزب الوطنى عملوا على ارهاب الخديو حتى يعلن الدستور فأرسلوا له خطابات تهديد بنسف موكبه ، كما حاولوا اظهار قوتهم فقاموا بوضع عوائق أمام القطار الخاص الذى كان يقوده الخديو بنفسه من مريوط الى الاسكندرية ، ولكن الخديو تمكن بصعوبة من ايقاف القطار[١٧] •

وعلى كل حال لم تسفر هذه الحركة عن اعلان الدستور ، ولكنها غرست فى نفوس المصريين تعلقهم بالنظام الدستورى وكراهيتهم للحكم الاستبدادى[١٨] •

ولتحقيق أهداف الحزب فى الجلاء والدستور عمل فريد على تحقيق ما يأتى :

١ ــ تعليم الشعب على قدر الطاقة حتى يتعرف على حقوقه فطالب بنشر التعليم الابتدائى بين جميع طبقات الشعب وأن يكون هذا التعليم الزاميا ومجانيا لكل مصرى ومصرية[١٩] كما تبنى فريد مع نادى المدارس العليا فكرة انشاء مدارس ليلية لتعليم الفقراء والعمال مجانا وهذه المدارس عرفت باسم مدارس الشعب ، وقد عهد بالتدريس فى هذه المدارس الى رجال الحزب الوطنى وأنصاره فكان المحامى والطبيب والمهندس وغيرهم يخصصون من أوقاتهم ساعة أو أكثر كل مساء يقفون فيها فى حجرة ضيقة خشنة يعلمون الفقراء مبادىء القراءة والكتابة ، وجغرافية بلادهم وتاريخها[٢٠] وقوانين المعاملات اليومية والأخلاق والآداب وغير ذلك من العلوم •

---

(١٦) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ١٧٦ •

(١٧) المؤيد فى ٢٨ مارس ١٩٠٨ •

(١٨) الرافعى : المرجع السابق ص ٦٢ •

(١٩) نفسه ص ١١٩ •

(٢٠) احمد بهاء الدين : ايام لها تاريخ ص ٧٣ •

والجدير بالذكر أن بذور انشاء نقابة الصنائع اليدوية تمت على يد المدارس الليلية حيث كان هناك هدف مشترك بينهما وهو حماية العامل والفلاح من الفقر ، ومساعدته عند الشيخوخة •

٢ ــ دعا فريد الى وضع التشريعات لحماية العمال واهتم بتأسيس النقابات لتحسين أحوال العمال وترقية أحوالهم المادية والمعنوية فأنشئت بولاق عام ١٩٠٩ أول نقابة للعمال فى مصر باسم نقابة عمال الصنائع اليدوية ثم سرت فكرة تأسيس النقابات فى عواصم الأقاليم فأنشئت نقابات لعمال الصنائع اليدوية فى الاسكندرية والمنصورة وطنطا وغيرها على غرار نقابة القاهرة[٢١] •

٣ ــ طور فريد طريقة الحزب الوطنى فى الكفاح فلم يعد نشاطه يقتصر على الكتابة فى الجرائد وطبع النشرات وعقد الاجتماعات والقاء الخطب بل تخطى كل ذلك الى تأسيس جمعيات للطلاب المصريين الذين يدرسون فى الخارج يهدف الدفاع عن قضية استقلال مصر[٢٢] ثم عقد المؤتمرات فى أوربا لشرح حقيقة القضية المصرية يضاف الى ذلك الاشتراك فى المؤتمرات التى تعقد فى أوربا لاظهار حقوق الشعوب المغتصبة بهدف تكوين رأى عام يناصر القضية المصرية •

يضاف الى ذلك أن فريد عمل على الاحتفاظ بوحدة الحزب وتضامن أعضائه ، وانشاء اللجان الفرعية للحزب فى أقسام العاصمة وفى البنادر والأقاليم •

---

(٢١) الرافعى : المرجع السابق ص ٩١ •

(٢٢) منبر الشرق فى ١٩٥٢/٨/١٥ الحلقة العاشرة من مذكرات الشيخ الغاياتى •

٢ ـ الصراع بين محمد فريد وعلى فهمى كامل :

كان الخلاف الأساسى بين فريد وعلى فهمى كامل هو موقف كل منهما من الخديو ، فالأول كان يمثل تيار الديمقراطية ويتمسك بالدستور بينما الآخر كان يمثل الموالاة الشديدة للخديو[٢٣] ، وتبدو ملامح الصراع بين فريد وعلى فهمى كامل فى النقاط الآتية :

(أ) أوراق ومكاتبات الخديو لمطفى كامل :

حاول الخديو استرداد الخطابات التى تثبت مقابلاته مع مصطفى كامل سواء فى أوربا أو فى بعض أماكن سرية فى مصر وذلك حتى لا يستغلها أحد من زعماء الحزب الوطنى فى الضغط عليه أو التشهير به أمام الانجليز . وكان طريق الخديو لاسترداد هذه الأوراق هو بث بذور الخلاف بين رجال الحزب ومحاولة اغراء بعضهم بالمال وقد كشف محمد فريد عن ذلك فى مذكراته فقال « رغما عما كان بينى وبين مصطفى كامل من الصداقة والاخلاص المتبادل فانه كان يخفى على بعض أموره الخاصة السياسية ومن ذلك مسألة هذه الأوراق فانى لم أطلع عليها ولم أراها مطلقا ، ولكن لما أشيع عقب وفاته أن أخاه على بك سلم هذه الأوراق الى الخديو مقابل مبلغ عظيم أخذت أبحث سرا وهاك خلاصة ما وقفت عليه : علمت من الدكتور صادق رمضان أنه يعرف الأوراق وان مصطفى كان محتفظا بها جيدا وواضعها تحت مخدته فى سرير مرضه .. وان الواسطة فى أخذ هذه الأوراق كان خليل بك حمدى وكيل مدرسة البوليس ومحمود بك حسنى ناظر مدرسة عابدين .. وان الخديو بنفسه أتى بسيارة الى ميدان الأزهار ومعه شوقى بك[٢٤] وأحد

---

(٢٣) الأهرام فى ١٩٧٣/٨/٣ مقال للدكتور محمد أنيس تحت عنوان « الصراع بين الخليفة والورثة ــ محمد فريد وعلى فهمى كامل » .

(٢٤) يقصد احمد شوقى شاعر المعية .

ياورانه وهناك قابله على بك أو ركب معه وسلمه الأوراق[٢٥] » .

ويؤكد محمد فريد تواطؤ على فهمى كامل مع الخديو فى ضرب وحدة الحزب الوطنى أثناء وبعد تسليم أوراق مصطفى كامل فيقول « والذى يؤيد هذه الحادثة .. أن الخديو ابتدأ يستعمل الشدة مع الحزب ويبث الدسائس ضده بعد الحصول عليها ، وان على فهمى الذى كان يشتكى الفقر المدقع سافر عقبها الى أوربا ومنها الى الآستانة وهناك قابل الخديو أيضا واستلم منه مبلغا من المال وسافر الى المدينة المنورة لحضور الاحتفال بافتتاح السكة الحديد الحجازية ثم عاد الى مصر وأخذ يدس دسائسه لايجاد فشل فى لجنة الحزب الادارية وليضع يده على جريدة اللواء ليدير سياستها بما يوافق الخديو[٢٦] » .

وهنا يطرأ سؤال هو لماذا هذا الموقف المضاد من على فهمى كامل الى محمد فريد ؟

الواقع أن على فهمى كامل كان يعتقد أن رئاسة الحزب الوطنى كانت له بحق الميراث وأن فريد اختلسها منه لذلك أخذ يحاربه فى الباطن بينما يظهر الوقوف معه فى الظاهر[٢٧] يضاف الى ذلك أن على فهمى كامل لم يكن مستريحا لسياسة فريد المتشددة تجاه الخديو كما أن حبه للمال جعل من السهل على الخديو اجتذابه الى صفه والتجمع ضد محمد فريد ونقد سياسته ومحاولة اظهاره بعدم القدرة على ادارة الحزب وصحافته .

---

(٢٥) مذكرات محمد فريد . الجزء الأول — القسم الأول ص ٨ .

(٢٦) نفسه .

(٢٧) ان الورثة كثيرا ما يعتقدون انهم يرثون الزعيم الوطنى فى كل شىء حتى زعامته لأمته ويبدو ذلك جليا فى التاريخ المصرى فحين توفى سعد زغلول بدأ الصراع بين مصطفى النحاس وبين ما يعرف بالحزب السعدى الذى حظى بتأييد صفية زغلول .

الأهرام . مقال الدكتور محمد انيس السابق الذكر .

(ب) اضراب عمال اللواء عن العمل

دبر على فهمى كامل مع المنشقين على سياسة محمد فريد مؤامرة لتعطيل جريدة اللواء فحرضوا عمال الطباعة بالجريدة على تعطيلها وقد أوضح محمد فريد ذلك فى مذكراته فقال « بعد عودة على بك من أوربا أخذوا فى تدبير الاعتصاب .. وفى صبيحة ٣ نوفمبر .. لم أجد أحدا من العمال لا كبيرا ولا صغيرا وبعد قليل حضر محمود أفنــدى عزت مندوبا من قبل المتصبين فلم نتفق وأخيرا استدعيت بعض الاخــوان بالتلفون واستحضرنا عمالا آخرين وجمعنا الجرنال فى مطبعة الجريدة بعد اتفاقى مع أحمد بك لطفى السيد لأن عامل آلة الطبع كان قد رفع منها بعض قطع لتعطيلها[٢٨] ومما يؤكد اشتراك الخديو وعلى فهمى كامل فى هذه المؤامرة أن الخديو أرسل لعمال اللواء المضربين مبلغ ستين جنيه اعانة[٢٩] ، كما أن السيد أفندى على[٣٠] أحد المتواطئين مع على فهمى أخذ معه كل الأصول الموجودة عنده تعطيلا للعمل[٣١] » يضاف الى ذلك أن القطع التى أخفاها العمال من آلة الطباعة بهــدف تعطيلها تم العثور عليها بمعرفة على فهمى كامل[٣٢] .

وعلى كل حال فقد فشلت عملية الاضراب حيث استبدل فريد العمال المضربين بغيرهم كما أن طلبة المدارس العليا قاموا متطوعين بالعمــل بدلا من العمال المضربين واشتغلوا فى صف حروف الجريدة لدرجة أنها

---

(٢٨) مذكرات محمد فريد . الجزء الأول . القسم الأول ص ١٠ ـ ١١ .

(٢٩) نفسه .

(٣٠) محرر باللواء .

(٣١) مذكرات فريد ، ص ١٠ .

(٣٢) نفسه ص ١١ .

لم تحتجب يوما : وبذلك أدعى العمال المضربين وعادوا الى عملهم بدون شروط[٣٣] .

(جـ) مصر الفتاة فى مواجهة اللواء

بعد أن فشل على فهمى كامل ومجموعة المنشقين على محمد فريد فى السيطرة على جريدة اللواء قاموا بانشاء جريدة مصر الفتاة لتعبر عن آرائهم وتنتقد سياسة محمد فريد وتحارب اللواء ، وكان ذلك بتشجيع من وزارة الداخلية . ولكن فريد نجح فى ضرب المؤامرة ومحاصرة حركة الانشقاق فزار مقر الجريدة الجديدة وشجع محرريها على العمل وأرسل لهم صورة خطبته السنوية لنشرها فى جريدتهم وكان قد ذكر فيها أن الحزب الوطنى أصبح له جريدتان بدلا من جريدة واحدة[٣٤] .

وقد انحصر الخلاف بين الجريدتين آنذاك حول التنديد بسياسة الخديو ففى حين قامت اللواء بدور رئيسى فى التنديد بسياسة الوفاق بين الخديو والمحتلين كانت جريدة مصر الفتاة تؤيد الخديو وسياسته وهكذا نجح الخديو فى ايجاد الشقاق بين أعضاء الحزب الوطنى ولكن هذا النجاح لم يستمر طويلا فسرعان ما التأمت الصفوف بفضل تذرع فريد بالصبر ومطالبته الجميع بالحذر من الدسائس التى تحاك بالحزب والمخاطر التى تترتب على ذلك ففى جلسة المؤتمر الوطنى التى عقدت فى ٢٥ ديسمبر ١٩٠٨ ركز فريد على ضرورة التضامن والوقوف فى وجه الدسائس التى قصد بها خصوم الحركة الوطنية ايقاع الفرقة والانقسام

---

(٣٣) الرافعى : المرجع السابق ص ٧٧ ..
والجدير بالذكر أن الخلافات بين محررى اللواء لم تكن من نبت سياسة فريد بل انها كانت موجودة فى حياة مصطفى كامل للتفاصيل . انظر الخطاب المرسل من مصطفى كامل الى أحمد حلمى المحرر باللواء والمنشور ضمن ملاحق الكتاب .

(٣٤) مذكرات محمد فريد : ص ١١ .

بين أعضاء الحزب وكيفية مقاومة هذه الدسائس وحفظ الحزب من الانحلال[٣٥] ، كما أوضح بأن المسألة مسألة مبادىء لا أشخاص وأنه مهما تغيرت الأشخاص أو تبدلت فيجب أن يكون المبدأ ثابت وهو خلاص مصر من الاحتلال ومن سلطة الفرد[٣٦] .

(د) الغاء جريدتى الحزب الوطنى الفرنسية والانجليزية

ورغم محاولات فريد توحيد الصفوف والمحافظة على وحدة الحزب فقد استمر الخديو فى التآمر على الحزب وعرقلة أعماله وظهر ذلك واضحا فى الغاء جريدتى الحزب الفرنسية والانجليزية ورواية الرافعى عن الغاء هاتين الصحيفتين لا تختلف عن رواية محمد فريد كثيرا فيرى الرافعى أن سبب الغاء الجريدتين يرجع الى ازدياد نفقاتهما وعجز مواردهما عن الوفاء بالالتزامات المطلوبة وبوجه خاص لأن القراء الأجانب لم يقبلوا عليهما ، بل كان أغلبهم يقاطعونهما فحرمتا من أجل ذلك أهم مورد للايراد الصحفى وهو الرواج واستنفدتا تدريجيا رأس مال الشركة الذى جمع للانفاق عليهما . ولما نفد رأس المال أنفق عليهما الحزب من ماله نحو ٢٥٠٠ جنيه ثم لم يستطع أن يتابع أداء نفقاتهما الباهظة فاضطر لالغائهما فى أوائل عام ١٩٠٩[٣٧] .

أما محمد فريد فيذكر أن رأس مال « الاستندار » بعد وفاة مصطفى كامل كان سبعمائة جنيه وكسور وان هذا المبلغ لا يكفى لسير الجريدة وقد وعد عمر بك سلطان بأن « يصرف من ماله كل ما يلزم لحفظ كيان

---

(٣٥) الرافعى : المرجع السابق ص ٨٢ — ٨٤ .

(٣٦) نفسه ص ٨٦ .

(٣٧) الرافعى : المرجع السابق ص ١٠٠ .

الاستندار[٣٨] ولكن طلعت حرب أقنعه بعدم صرف شيء » لأن الجريدة لا يمكنها الاستمرار على أي حـال وبذلك اضطررنا لالغائهـا في أول ١٩٠٩[٣٩] » وقد نسب البعض لمحمد فريد عدم القدرة على الاستمرار في أعمال مصطفى كامل ولكن من الواضح أن تكاليف هاتين الجريدتين كانت تثقل كاهل الحزب لدرجـة أن مصطفى كامل وأخـاه صرفا على الجريدتين في سنة واحدة ما يزيد عن ثلاثة عشر ألف جنيه .

(هـ) الخلاف على ملكية اللواء :

قام الخديو وأتباعه بمزاولة سياسة الضغط على الحـزب الوطني عن طريق ايقاع الخلاف بين أعضاء لجنته الادارية ، وقد لعب على فهمي كامل ومجموعة المنشقين على فريد دورا رئيسيا في اغلاق اللواء فكان لطلعت حرب دور بارز في تحريض عمر سلطان على عدم المساهمة في ملكية اللواء غير أن فريد تمكن من اقناع عمر سلطان حتى وقع على توقيع شركة التأسيس في غياب طلعت حرب ، ولمـا وقع الاشكال القضائي بين على فهمي كامل واخوته وزوج أخته[٤٠] تمكن يوسف المويلحي أحد رجال

---

(٣٨) مذكرات محمد فريد جـ ١ . ص ١٢ .

(٣٩) نفسـه .

(٤٠) كان على فهمي كامل يمتلك نصف اللواء بعقد كتبه له اخيه قبل وفاته . ولمـا خسر مبالغ باهظة بسبب اشتغاله في البورصة واضطر الى الاستدانة اتفق مع اخيه واختيه على أن يرفعا عليه دعوى ببطلان العقد الذي يملك نصف اللواء بمقتضاه حتى اذا حكم لهم لا يستطيع دائنيـه الحجز على نصف الجريدة واتفق معهم على ان هذه القضية صورية وأخذ عقودا منهم ببيع نصيبهم له اذا حكم لصالحهم ثم تثاقل وأهمل في الدفاع حتى حكم لهم ، وعند ذلك تداخل عثمان صبري زوج احـدى الاختين في الأمر . وحصل بالتأثير على زوجته على كتابة تنفي الكتابة التي اخذها على فهمي عليها ، وبصفته وكيلا عن زوجته رفع دعوى باثبات ملكية زوجتـه ومن معها لنصف اللواء وطلب تعيين حارس قضائي وهو يوسف المويلحي احد رجال البوليس السري بالداخلية على اللواء ، وبعد مرافعات طويلة حكم فعلا بتعيينه .
مذكرات محمد فريد ص ١٣ .

بوليس سرى الداخلية من وضع يـده على اللواء فحاول التدخـل فى سياسة الجريدة والاطلاع على كل ما يكتب فيها ولكن فريد رفض ذلك بصفته رئيسا للحزب وصـاحب الاشراف على جـريدته ، ولما أصر المويلحى على موقفه[٤١] ترك فريد اللواء وأعلن بأنها أصبحت لا علاقة لها بالحزب وأسس جريدة العلم[٤٢] وسار اللواء على خطة التنـديد بمحمد فريد ومهاجمته[٤٣] ، واستمر الحال على ذلك حتى عزل المويلحى وعين مكانه على فهمى كامل واستمر اللواء بين الحياة والموت حتى أغلق نهائيا فى ٣١ أغسطس ١٩١٢ .

وهكذا انتهت حياة صحيفة اللواء بعد أن ظلت ميدانا للكفاح أكثر من اثنى عشر سنة كانت فيها مثالا للجهاد فى سبيل رفعـة الوطن[٤٤] وبذلك أغلقت الصحف الثلاثة التى أسسها مصطفى كامل بعد سلسلة من المؤامرات دبرها على فهمى كامل بمساعدة وتأييد الخديو بهدف اضعاف الحزب الوطنى والسيطرة عليه ، ولكن محمد فريد لم تهن عزيمته فعلى الرغم من أن الوزارة قررت أيضا تعطيل جريدة العلم لسان حال الحزب الوطنى بحجة انها لسان حال حزب اتخذ رئيسه لنفسه خطة التهييج والاثارة فقد اتخذ الحزب الوطنى جريدة الشعب لسان حاله ووسيلة للاتصال بينه وبين الجماهير[٤٥] .

---

(٤١) فى أثناء التنازع بين الحارس القضائى على شركة اللواء ومحمد فريد كتب يوسف المويلحى مقاله يحتكم فيها الى الراى العام ذكر فيها مسألة تعينه حارسا قضائيا موضحا ان ذلك يتيح له الاشراف على كل ما يصـدر فى اللواء كما انه يرى الا يسير اللواء على سياسـة مناهضة للانجليز والخديو حتى لا تتعرض للمصادرة والخسائر المادية .

اللواء . العدد ٣٢٠١ فى ١٩١٠/٢/١٠ تحت عنوان « كلمة الى الراى العـام » .

(٤٢) مذكرات محمد فريد ص ١٣ .

(٤٣) انظر اللواء : العدد ٣٢٣٤ فى ٢٧ مارس ١٩١٠ تحت عنـوان « فريد بك والحزب الوطنى » .

(٤٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٨٨ .

(٤٥) نفسه ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .

٣ ــ الخلاف بين فريد والخديو :

لما أيقن فريد من تحالف الخديو مع المحتلين على أثر سياسة الوفاق لم يجد بديلا غير أن يتصدى للقوتين معا دون أن يبالى بغضبهما أو تحالفهما ضده فانتقد زيارات جورست لقصر عابدين كما انتقد توثيق العلاقات بين الخديو والمعتمد البريطانى وكتب مقالات فى اللواء تحت عنوان « ماذا يقولون » بدأ أولها فى ١١ ابريل ١٩٠٨ وقد عرض فيها بالخديو وسياسته وذكره بمواقفه السابقة من الانتصار للحركة الوطنية والدستور[٤٦] .

ولما سافر فريد الى أوربا فى مايو ١٩٠٨ للدفاع عن القضية المصرية التقى ببعض رجال السياسة والقلم فى فرنسا كما سافر الى انجلترا وقابل المستر بلنت وبعض أعضاء البرلمان الانجليزى[٤٧] وهناك طالب بالجلاء واعادة الدستور مما ضايق الخديو الذى كان يعمل على الحفاظ على سياسة الوفاق مع الانجليز فحاول ابعاد فريد عن الاتصال بالجماهير وتخريب الندوات السياسية التى يقيمها الحزب الوطنى فعندما سافر فريد الى الزقازيق مع بعض رجال الحزب لالقاء خطبة بمناسبة تاريخ دخول الانجليز لمصر تصدى لهم أنصار الخديو بالمحطة وحاولوا منع الاحتفال ، ولكن لم يتحقق مقصدهم[٤٨] .

وقد جاهر الخديو بعدائه لفريد بعد أن فشل فى احتوائه فرماه وأنصاره بالتسرع فى حديث له مع مكاتب جريدة الطان الباريسية فى ابريل ١٩١٠ اذ قال « لقد اشتغلت دائما فى ترقية بلادى وتقدمها فى الحضارة ولكن للأسف وجد قوم متسرعون جدا أخروا تقدمها الطبيعى

(٤٦) اللواء فى ١١ ابريل ١٩٠٨ تحت عنوان « ماذا يقولون » .

(٤٧) مذكرات فريد ص ٥ .

(٤٨) نفسه ص ٥ .

بالحاحهم فى مطالب سابقة لأوانها ، ومصحوبة بالضوضاء[٤٩] » ٠

وعرج فى حديثه على الاحتلال وجورست فقال « ولى وطيد الأمل فى القيام بمهمتنا بمساعدة البلد الذى يؤيد مصر تأييدا عظيما فى رفع شأنها وتمدينها ، وان وجود ممثل هذا البلد سير الدون جورست بيننـــا يعتبر ضمانة وثيقة لنـــا لتحقيق ذلك[٥٠] ٠

وقد رد فريد على ذلك بمقالتين كشف فيهما عن خطورة سياســة الوفاق على القضية المصرية وانتقد اتهام الخديو له بالتسرع وعلى كل حال فانه يتضح من أحاديث الخديو انتقاده للسياسة العدائية التى كان يجرى عليها الحزب الوطنى ضد الانجليز ، وتمسكه بسياســة الوفاق التى سار عليها جورست ٠

ولكى يرهب الخديو أعضاء الحزب الوطنى وخصوصا محمد فريد اتهم رجال الحزب بأنهم يدبرون المؤامرات لاغتياله فنشرت المؤيد أنها علمت بخبر اغتيال الخديو عن طريق خطاب مرسل الى شخصية كبيرة بالقاهرة تحمل رتبة مشير[٥١] ٠

وازاء ذلك كتب محمد فريد يرد على هذا الاتهام فقال نشرت المؤيد أمس جوابا يدعى أنه مرسل اليه من أحد أعيان الآستانة برتبة مشير ٠٠ ولكنه لم يؤكد اسم المرسل ولا المرسل اليه ، وبما أن هذه فرية جديدة من مختلقات صاحب المؤيد يريد بها الايقاع بين الحزب الوطنى وبين الجناب العالى فأنا أعلن وأصرح بأن هذا الجواب مختلق وبأنى لم أكاتب أى انسان بالاستانة وان كان شيخ المؤيد صادق فى دعواه فيذكر اسم المرسل اليه خصوصا وأنه كما يقول من أنصار الحزب الوطنى[٥٢] » ٠

---

(٤٩) الرافعى : المرجع السابق ص ١٦٥ ٠
(٥٠) نفسه ص ١٦٥ ٠
(٥١) المؤيد : فى ١٩٠٨/١٠/٢٤ ٠
(٥٢) اللواء : العدد ٢٧٨٨ فى ١٩٠٨/١٠/٢٥ ٠

ورد المؤيد على اتهامات فريد له بأن الخبر الذى نشره وصله من محسن بك سكرتير المشير مختار باشا[٥٣] ولكن فريد عقب على ذلك بأن أدلة المؤيد تفيد كذبها لأن محسن بك المذكور كان قد مات منذ أكثر من أربع سنوات[٥٤] .

على كل حال فاننا لا نستبعد أن الحزب الوطنى حاول ارهاب الخديو حتى يعدل عن موقفه خصوصا وأن التنظيمات السرية والتخطيط لعمليات الارهاب والاغتيالات السياسية كانت قد وفدت الى مصر مع طلاب الحزب الوطنى الذين كانوا يتلقون تعليمهم فى الخارج وقد بدأت هذه الحركة بكتابة خطابات التهديد للخديو وبالمظاهرات التى كانت تضم الألوف ويشترك فيها أحيانا زعيم الحزب الوطنى وبعض أعضائه يرددون الهتافات المعادية للخديو ، وتارة باحداث فرقعة تحت القطار المسافر بالخديو الى الاسكندرية وأحيانا بوضع عوائق أمام قطار الخديو الخاص أثناء مروره من مريوط الى الاسكندرية[٥٥] .

ونتيجة لذلك رأى الخديو وصنائعه ضرورة ادخال فريد السجن فانتهزوا فرصة القائه خطبة فى المؤتمر الوطنى ١٩١٢ فأوعزوا الى الحكومة باتخاذ الاجراءات اللازمة لمحاكمته وابقائه رهن السجون بواسطة سلسلة من المحاكمات لا تنتهى حتى اذا خرج من سجنه تدبر له تهم جديدة يدخل بسببها السجن ثانية[٥٦] .

٤ ــ تعيين بطرس غالى رئيسا للنظار وموقف الحزب الوطنى منه

نتيجة لسياسة الوفاق كان من الضرورى تعيين رئيس للنظار يجمع بين الولاء للخديو والولاء للاحتلال فى آن واحد ، ولما كان مصطفى

---

(٥٣) المؤيد فى ١٩٠٨/١٠/٢٩ .
(٥٤) اللواء : العدد ٢٧٩٠ فى ١٩٠٨/١٠/٣١ .
(٥٥) مذكرات سعد زغلول . كراسة ٩ ص ٤٤٠ .
(٥٦) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٠ .

فهمى رئيس النظار لا يستطيع انميام بهذه المهمة نظرا لخلافاته المستمرة مع الخديو وقيامه بالوقيعة بينه وبين المعتمد البريطانى لدرجة أن جورست طلب منه أن يعرض كافة الأمور على الخديو قبل عرضها عليه تمشيا مع سياسة الوفاق(٥٧) كما أنه تصرف معه تصرف الذى يريد حمله على الاستعفاء(٥٨) ونتيجة لذلك قدم مصطفى فهمى استقالته فى ١١ نوفمبر ١٩٠٨ وتم تعيين بطرس غالى مكانه بناء على توصية من جورست(٥٩) .

ونظرا لمواقف بطرس غالى المتعددة ضد الحركة الوطنية فقد كان تعيينه فى منصب رئيس النظار بمثابة لطمة شديدة للحزب الوطنى وقد عبرت صحفه عن ذلك وأظهرت تألمها لميوله المؤيدة للاحتلال(٦٠) وأصدر الحزب بيانا برر فيه رفضه لتعيين بطرس غالى فقال ان ذلك يرجع الى توقيعه على الاتفاق الثنائى الخاص بالسودان ولدوره فى محاكمات دنشواى يضاف الى ذلك ما اشتهر به من تحيز لفئة دون أخرى(٦١) .

وهاجمت جريدة « القطر المصرى » تعيين بطرس غالى رئيسا للوزراء واعتبرت أن ذلك يعتبر تقليلا من شأن المسلمين كما أثارت وبطريقة غير مسئولة الشقاق بين عنصرى الأمة(٦٢) .

أما عن اللواء فبرغم من أن موقفها كان معاديا لبطرس غالى فانها طالبته بأن يمحو ما نقش فى الأذهان من تأثير أعماله الماضية(٦٣) .

---

(٥٧) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ القسم الثانى ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(٥٨) دار الوثائق : مذكرات سعد زغلول . الكراسة رقم ٩ ص ٣٨٠ .

(59) Stores, Ronald : Orientations p. 61

(٦٠) اللواء : فى ١٥ نوفمبر ١٩٠٨ مقال لعلى فهمى كامل تحت عنوان « اننسى دنشواى » .

(٦١) اللواء فى ١٨ نوفمبر ١٩٠٨ تحت عنوان « الوزارة الجديدة والحزب الوطنى » .

(٦٢) القطر المصرى : العدد ٣٠ تحت عنوان « تسقط وزارة بطرس غالى القبطى » .

(٦٣) اللواء : فى ١٣ نوفمبر ١٩٠٨ .

وعلى كل حال فقد دعم تعيين بطرس غالى سياسة الوفاق وكان أداء لضرب الحركة الوطنية فقد أعيد فى عهده قانون المطبوعات الصادر عام ١٨٨١[٦٤] . كما صدر قانون النفى الادارى التى جعل من حق السلطة الادارية نفى أى شخص ترى فيه خطورة على الأمن العام ثم اختتمت الوزارة حياتها بالموافقة على مد امتياز قناة السويس لمدة أربعين عاما .

ونتيجة لمواقف وزارة بطرس غالى سواء فى محاولاتها كبت أفواه الحركة الوطنية أو فى مواقفها الموالية للاحتلال اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى فى ٢٦ مارس ١٩٠٩ وقررت ارسال خطاب احتجاج الى الخديو عبرت فيه عن استيائها من العودة لتطبيق قانون المطبوعات[٦٥] كما أرسلت تلغرافات الى ديوان الخديو احتجت فيها على تطبيق هذا القانون[٦٦] كما هاجمت اللواء قانون المطبوعات وتساءلت عن مصير الصحافة بعد تطبيقه[٦٧] ، ولم يقف الأمر عند ذلك بل اندفعت المظاهرات فى شوارع القاهرة مما أدى الى اضطراب النظام وزيادة متاعب البوليس فى حفظ الأمن[٦٨] ، وتجمع المتظاهرون عند حديقة الجزيرة ينادون بحياة الحزب الوطنى والغاء قانون المطبوعات[٦٩] ثم هاجم الخطباء تصرفات الحكومة وموقفها من الصحافة وحرية الرأى

---

(٦٤) يذكر سعد زغلول انه عندما دار الكلام عن الصحافة بين الخديو وبطرس غالى اشار الخديو الى ضرورة تنفيذ قانون المطبوعات ، ورغم أن بطرس تحفظ على ذلك فقد استقر الأمر على تنفيذه .

مذكرات سعد زغلول كراس رقم ٩ ص ٤١٠ .

(٦٥) احمد شفيق : المرجع السابق ص ١٧٨ .

(٦٦) دار الوثائق : ديوان خديو ١٩٠٩ — تلغرافات جماعية الى الخديو .

(٦٧) اللواء فى اول فبراير ١٩٠٩ تحت عنوان « ماذا يراد بالصحافة »

(68) F.O. 407 — 174 : LoWther to Grey Constantinople Morch 15,1909 No 187 Part Lxxl

(٦٩) اللواء فى ٢٧ مارس ١٩٠٩ تحت عنوان « المظاهرة الكبيرة » .

العام . ونتيجة لخطورة الموقف حاصرت قوات من البوليس والجيش البريطانى مكان المتظاهرين وطاردوهم فى الشوارع بالعصى وسنابك الخيل واطلاق الأعيرة النارية فى الهواء[٧٠]، كما ألقت الحكومة القبض على أحمد حلمى المحرر باللواء وأحد الخطباء فى المظاهرة وقدمته مع آخرين للمحاكمة بتهمة الطعن فى الوزارة والخديو[٧١] ؛ ورغم ذلك فلم تهدأ الأمور اذ قام طلبة المدارس بمظاهرات طافوا أثناءها بمنازل النظار ورددوا هتافات « فليسقط الظلم ، فليسقط قانون المطبوعات فليحى العدل[٧٢] » كما أقسموا بأن يقتلوا كل ناظر اشترك فى التصديق على مشروع تقييد الصحافة[٧٣] .

هذا عن موقف الحزب الوطنى من اعادة قانون المطبوعات وقانون النفى الادارى أما عن موقفه من مشروع امتياز قناة السويس فيتضح أن انجلترا رأت مد فترة امتياز قناة السويس الذى ينتهى العمل به عام ١٩٦٨ أربعين عاما فى نظير دفع مبلغ أربعة ملايين من الجنيهات تدفعها الشركة للحكومة ، وقد ظل المشروع فى طى الخفاء حوالى سنة . وكان فى عزم الوزارة تنفيذه نظرا لنقص الاحتياطى المالى فى ميزانية الحكومة . ولكن محمد فريد تمكن من الحصول على نسخة المشروع فى أكتوبر ١٩٠٩ فبادر الى نشرها فى جريدة اللواء موضحا مدى الغبن الذى ستتعرض له مصر من ورائه[٧٤] مما أثار الرأى العام ، فقد اهتم الناس بهذا الموضوع ورأت الأحزاب ضرورة الاتفاق على طريقة واحدة لمواجهة هذا المشروع[٧٥] كما طالبت الصحافة بعرض المشروع على

---

(70) F.O. 407 — 174 . Grahan to Grey, Cairo April 4, 1909 No 13 .

(٧١) اللواء فى ١١ ابريل ١٩٠٩ تحت عنوان « قضية الحرية » .

(٧٢) مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ١٣ ص ٧٢١ .

(٧٣) نفسه .

(٧٤) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ١٣١ .

(٧٥) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٧ ص ٨٩٧ .

الجمعية العمومية ، ونظرا لخطورة المسألة اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٠٩ وقررت دعوة الحكومة الى أخذ رأى الأمة قبل تنفيذ مشروع مد امتياز القناة[٧٦] • كما أرسلت البرقيات الجماعية الى الخديو عباس الثانى رفض فيها أصحابها تجديد امتياز القناة ، وطالبوا بعرض الموضوع على الجمعية العمومية[٧٧] •

ولما تحرج موقف الخديو أوعز الى بطرس غالى رئيس النظار بأن يذكر أمام المستشارين الانجليز بأنه لا يقف عقبة فى سبيل تنفيذ المشروع ، ولكنه تأثر بأقوال الجرائد والبرقيات التى وصلته ونظرا لما آلت اليه البلاد من الغليان حاول الخديو اقناع جورست بعرض المشروع على الجمعية العمومية[٧٨] ، ومع أن جورست لم يعترض على ذلك الا أنه اشترط بأن توافق الحكومة على المشروع أولا ثم تترك أمر تنفيذه على موافقة الجمعية العمومية[٧٩] على أن يدافع سعد زغلول عن المشروع أمام الجمعية العمومية[٨٠] •

ونتيجة لذلك قامت الوزارة بدعوة الجمعية العمومية للانعقاد لاحالة المشروع عليها •

وعن موقف الخديو من المشروع فيختلف رأى سعد زغلول فيه فأحيانا يذكر أن الخديو كان موافقا على المشروع ثم يعود فيذكر أن الخديو كان يظهر الموافقة ويبطن الخلاف[٨١] ولكننا نرى أن الخديو كان

---

(٧٦) الرافعى : المرجع السابق ص ١٣٣ ، اللواء فى ١٣ أكتوبر ١٩٠٩ تحت عنوان اجتماع اللجنة الادارية للحزب الوطنى .

(٧٧) دار الوثائق : محافظ عابدين — ديوان خديو . التماسات جماعية — تلغرافات محفظة رقم ١ .

(٧٨) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٧ ص ٨٩٥ .

(٧٩) مذكرات سعد زغلول : كراس ١٧ ص ٨٩٥ .

(٨٠) أحمد شفيق : المرجع السابق جـ ٢ القسم الثانى .

(٨١) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ ص ٩٢٥ .

مضطرا للموافقة حتى لا يعرض سياسة الوفاق للانهيار والدليل على ذلك أن الشيخ على يوسف الذى كان يساير الخديو فى سياسته شدد الوطأة على المشروع فى جريدته كما أنه انتقد المشروع فى خطبته بنادى حزب الاصلاح وانتقد المستشار المالى الانجليزى وطلب من الجمعية العمومية تأجيل النظر فى هذا المشروع حتى تمنح البلاد مجلسا نيابيا[٨٢] ، ولكى تتضح مخاطر المشروع أمام الرأى العام قام محمد فريد بتوضيح أبعاده السياسية فأصبح أهمية حفظ مرافق الأمة فى أيدى أبنائها وهاجم تمليك مرافق البلاد الى الشركات الانجليزية وناشد أعضاء الجمعية العمومية الاستقلال فى الفكر والشجاعة الأدبية لأن مصالح الأمة فوق كل شىء[٨٣] كما دعا الحزب الوطنى الى القيام بمظاهرة عند اجتماع الجمعية العمومية للمناداه برفض المشروع •

وفى ٩ فبراير ١٩١٠ افتتحت جلسات الجمعية العمومية برئاسة الأمير حسين كامل ، وقد حاولت الحكومة استعمال الشدة مع الأعضاء لكى يوافقوا على المشروع فقد كان بطرس غالى يعتقد أن المشروع نافع للبلاد[٨٤] كما كان الأمير حسين كامل يؤيد المشروع[٨٥] ولكن الأعضاء أصروا على رفض المشروع • وفى ١٠ فبراير شكلت الجمعية لجنة مكونة من خمسة عشر عضوا لدراسة المشروع وكتابة تقريرا عنه ، وقد انتهت اللجنة الى عدة قرارات أهمها :

عدم قبول مشروع عقد الاتفاق المعروض على الجمعية لأنه ليس فى صالح البلاد بل يعد غبنا فاحشا على مصر[٨٦] ونظرا للمعارضة

---

(٨٢) مذكرات سعد زغلول ، كراس رقم ١٨ ص ٩٢٢ .

(٨٣) اللواء . فى ٣٠ يناير ١٩١٠ تحت عنوان « مسألة قناة السويس — اعتبارات سياسية » .

مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ١٨ ص ٩٢٣ .

(٨٤) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٧ ص ٨٩٦ .

(٨٥) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ ص ٩٢٤ .

(٨٦) الرافعى : المرجع السابق ص ١٥١ — ١٥٢ .

الشديدة للمشروع فى الجمعية العمومية لم يجد الأمير حسين كامل بديلا عن الاستقالة من رئاسة جلسات الجمعية خصوصا بعد أن فشل فى تحويل دفة المناقشات لصالح الحكومة(٨٧) •

وفى وسط الجو المشحون بالتوتر أطلق ابراهيم الوردانى رصاص مسدسه على بطرس غالى فأصابه اصابات بالغة أودت بحياته •

واستمرت المناقشات فى الجمعية العمومية ، وفى النهاية تقرر رفض المشروع بأغلبية الآراء ، فكانت هذه هى المرة الأولى التى استطاعت فيها الجمعية العمومية فرض رأيها على الحكومة •

وهكذا نجح ضغط الرأى العام المصرى فى اجبار الانجليز والوزارة على العدول عن مشروع له مساس كبير بالاقتصاد المصرى •

٥ ـ مقتل بطرس غالى وأسبابه :

اجتاح الغضب النفوس بسبب رغبة الحكومة فى مد امتياز قناة السويس ومحاولات بطرس غالى اجبار أعضاء الجمعية التشريعية على قبوله ونتيجة لذلك رأت القيادة الثورية للحزب الوطنى ضرورة التخلص من بطرس غالى لمواقفه المثيرة للشكوك ضد الوطنيين ، وفى تمام الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الأحد ٢١ فبراير ١٩١٠ وبينما كان بطرس غالى خارجا من ديوان وزارة الحقانيــة أطلق عليــه « ابراهيم ناصف الوردانى » رصاصات مسدسه خر على أثرها مضرجا فى دمائه(٨٨) •

ورغم أن القيادة الثورية للحزب الوطنى كانت المسئولة عن الحادث كما يتضح من مذكرات محمد فريد(٨٩) فان الوردانى قد تحمل مسئولية

---

(87) Blunt : My Diaries Vol . IIp. 306 .

(٨٨) انور العمروسى : الجرائم السياسية فى مصر ج ١ ص ٢٨ •

(٨٩) مذكرات محمد فريد • كراس رقم ٩ ص ٢٤٦ •

هذا العمل وحده موضحا أن الذى دفعه الى ذلك هو توقيع بطرس غالى على اتفاقية السودان عام ١٨٩٨ والتى بمقتضـاها أصبح للانجليز السيطرة الفعلية عليه واشتراكه فى المحكمة المخصوصة التى حاكمت المتهمين فى حادث دنشواى يضاف الى ذلك اعادته لقانون المطبوعات الذى سلط سيفه على رقاب الصحف . ثم اهانته لأعضـاء الجمعية التشريعية أثناء مناقشة مشروع مد امتياز قناة السويس .

وقد حاولت الحكومة اجبار الوردانى كى يعترف على شركائه فى الجريمة ؛ ولكنه صمم على أنه هو الفاعل وأنه لم يشترك معه سوى اثنين هما يده وعقله[٩٠] ، وظل على موقفه هذا من بداية التحقيق معه حتى اعدامه .

وعلى أثر الحادث بدأت يد الاستعمار وأعوانه تنفث سمومها فأوعز البعض بأن سبب هذا الحادث يرجع الى التعصب الدينى وكادت لعبتهم تجد لهـا مرتعا خصيبا ، ولكننا نرى أن هذا الزعم غير صحيح فبطرس غالى لم يكن أول مسيحى يتولى الوزارة فقد سبقه نوبار ، وان السبب الرئيسى فى مصرع بطرس غالى كان ولاؤه الشديد للاحتلال ، وعقب ذلك عقدت المؤتمرات القبطية ، كما عقد المؤتمر المصرى الأول[٩١] تحت رئاسة رياض باشا ولكن حكمة الحكماء أوضحت أن حالة البلاد لا تسمح بتقسيم المصالح بين أبنائها تبعا لأديانهم[٩٢] .

---

(٩٠) محمود عاصم : المرافعات فى اشهر القضايا ــ المجموعة الجنائية الأولى القاهرة ــ لجنة نشر الثقافة القانونية ١٩٣٣ ص ٨٩ .

(٩١) عن هذا المؤتمر . انظر مجموعة اعمال المؤتمر المصرى الأول المنعقد فى هليوبوليس فى الفترة من ٢٩ ابريل الى ٤ مايو ١٩١١ القاهرة ــ المطبعة الأميرية ١٩١١ .

(٩٢) نفسه ص ٣ .

ومع أن الحزب الوطنى نفى عن نفسه أى علاقة بالحادث[٩٣] فإن أنظار الحكومة اتجهت الى تفتيش منازل زعماء الحزب الوطنى[٩٤] فى محاولة منها لمعرفة مدبرى الحادث لذلك تأخرت محاكمة الوردانى حوالى شهرين ، ثم تم التحقيق معه فى جو من السرية فلم يسمح لمحررى الصحف حضور التحقيق ، وفى أثناء التحقيق وجه عبد الخالق ثروت النائب العمومى تهمة القتل العمد لابراهيم الوردانى فذكر أنه « قتل بطرس باشا عامدا متعمدا[٩٥] » كما وجه تهمة المشاركة فى الحادث لآخرين[٩٦] وقد طالب النائب العمومى باعدام الوردانى عملا بالمادة ١٩٤ التى تنص على أن « كل من قتل عمدا مع سبق الاصرار على ذلك أو الترصد يعاقب بالاعدام » وعندما سأل القاضى الوردانى عن أسباب قتله لبطرس غالى قال انها أسباب سياسية محضة وليس بينه وبينه أى ضغائن شخصية ولا دينية كما ذكر أنه ليس له شركاء[٩٧] .

وقد ذكر محمود أبو النصر أحد المحامين الذين دافعوا عن الوردانى بأنه يشك فى أن الرصاصات التى أطلقت على بطرس باشا كانت القاتلة[٩٨] وانما العملية الجراحية التى أجريت له فى المستشفى على أثر الحادث كانت السبب وان المصاب كان يمكن أن يعيش لو ترك وشأنه بدون عملية ، وقد دفع ذلك المحكمة الى عرض الأمر على اللجنة الطبية التى قامت باجراء العملية لبطرس غالى فقررت أن العملية كانت ضرورية وأن المصاب كانت اصابته مميتة وانتهت المحكمة بالحكم باعدام ابراهيم

---

(٩٣) اللواء فى ٢١ ، ٢٢ فبراير ١٩١٠ تحت عنوان « الحادث الخطير لوفاة رئيس النظار » و « قتل رئيس النظار » .

(٩٤) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ ص ٩٢٥ .

(٩٥) المرافعات فى أشهر القضايا ص ٩١ .

(٩٦) للتفاصيل انظر : المرافعات فى أشهر القضايا ص ٩١ .

(٩٧) نفسه ص ٩٢ .

(٩٨) نفسه .

الوردانى شنقا فى ١٨ مايو ١٩١٠ ونتيجـــة لذلك قام رجال الحـــزب الوطنى بمحاولات كثيرة لتخفيف الحكم على الوردانى فأرسلت آلاف التلغرافات الى الخديو يطلب فيها أصحابها تخفيف الحكم على الوردانى بحجة أن القضية لم يتوفر فيها شرط الاعدام(٩٩) ولكن محاولاتهم ذهب سـدى .

وعلى كل حال فانه بمصرع بطرس غالى انتهت سياسة الوفاق بين الخديو والاحتلال فبموته أحس جورست أن رصاصات الوردانى قضت على آماله(١٠٠) .

---

(٩٩) دار الوثائق ، محافظ عابدين ــ ديوان خديو . التماسات جماعية محفظة رقم (١) تلغرافات .

(100) Storrs, Ronald : op. Cit p. 73 .

الفصل التاسع

اضطهاد الحركة الوطنية بعد مقتل بطرس غالى

١ ـ القوانين التى صدرت لاضطهاد الحركة الوطنية :

بعد اغتيال بطرس غالى عرض جورست على الخديو أن يوافق على اختيار اسماعيل سرى لتولى الوزارة فرفض كما اعترض على تعيين حسين رشدى أيضا ، وطلب من جورست أن يحصر الاختيار بين سعد زغلول ومحمد سعيد ، ولما كان جورست متخوفا من سعد وشدته[١] فقد وافق على اختيار محمد سعيد ، ومن البرقية التى أرسلها جورست الى جراى بشأن هذا الموضوع يتضح أن جورست اقترح ترشيح محمد سعيد لرئاسة الوزارة ، بالرغم من أنه لم يكن على قدر كبير من التعاطف مع الاحتلال وذلك لأن تعيينه يعتبر أفضل من تعيين شخص آخر غيره[٢] ويعنى بذلك سعد زغلول .

وقد طلب جورست من وزير الخارجية البريطانية الرد برقيا وبصفة مستعجلة على هذا الاقتراح الذى قدم من الخديو ، موضحا أن الخديو تعهد بعزل محمد سعيد من هذا المنصب اذ ظهر من الممارسة عدم تعاونه مع الانجليز[٣] ، وقد رد جراى بالموافقة على تعيين محمد سعيد[٤] .

ولما كلف محمد سعيد بتشكيل الوزارة حاول تسكين نشاط الحركة الوطنية ، بأن يشرك محمد فريد معه فى الوزارة ولكن فريد رفض الاشتراك فيها بقوله « كيف يطلب منى أن أشترك فى حكم البلاد فى ظل الاحتلال ، وأنا أجاهد الاحتلال ؟ وكيف يتفق النقيضان[٥] » .

---

١ ـ مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ ص ٩٢٧ .

(2) F.O 407 — 175 Part Lxxll, Gorst to Grey Cairo Feb 21,1910

(3) Ibid

(4) F.O 407 — 175 No . 12, Grey to Gorst Feb. 22,1910

(٥) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٤٥٤ .

وللتنكيل بالحركة الوطنية اتخذ الاحتلال من مقتل بطرس غـالى الحجة على أن يترك الدبلوماسية جانبا فألقى جراى خطابا فى البرلمان فى ١٥ يونيه ١٩١٠ صرح فيه بأن سياســة حكومته تقضى بالاحتفاظ باحتلال مصر لأنه من العــار أن تتخلى عن المسئوليات التى نشــأت حولنا هناك .

كما أمعنت الوزارة الجديدة فى محاربة الحركة الوطنية ، فصدر أمر عال بثلاثة قوانين تعطى السلطة التنفيذية الصــفة القانونيــة فى تصرفاتها المطلقة .

ويخص القانون الأول تهم الصحافة والمطبوعات وقد وضعه سعد زغلول بصفته ناظرا للحقانية ، ويقضى باحالة تهم الصحافة والمطبوعات الى محكمة الجنايات[٦] بعد أن كانت تنظرها محاكم الجنح وأن يكون حكمها غير قابل للاستئناف ، والسبب الذى دعا الى هذا القانون هو أن تهم الصحافة كانت تنظر فى المحاكم الابتدائيــة والاستئناف ، فرأت الحكومة أن تحويلها الى محاكم الجنايات يرهب الصحفيين من ناحيــة ويحرمهم احدى درجات التقاضى من ناحية أخرى[٧] » وقد ذكر لويد أن السبب الذى دفع الحكومة الى تقييد حرية الصحافة يرجع الى تهيج جرائد الحزب الوطنى وخصوصا اللواء للرأى العام[٨] ، ومع أن مجلس شورى القوانين قد قرر بجلسة ٣٠ مايو ١٩١٠ رفضه بأغلبية الأصوات لمشروع القانون فان الوزارة لم تأبه برأيــه[٩] ونتيجــة لذلك أرسلت

(٦) هو القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠ الصادر فى ١٦ يونية ١٩١٠ .

(٧) الرافعى : محمد فريد ص ١٦٨ — ١٦٩ .

وينكر لويد أن السبب فى تقييد حرية الصحافة يرجع الى كتابات اللواء الشديدة اللهجة .

(8) Lloyd : Egypt Since Cromer, Vol London 1933 p. 88 — 89

(٩) محاضر جلسات مجلس شورى القوانين . دور الانعقاد ١٩٠٩/ ١٩١٠ محضر جلسة ٣٠ مايو وأول يونيه ١٩١٠ .

البرقيات من كافة أنحاء البلاد الى ديوان الخديو يحتج فيها أصحابها على ذلك القانون[١٠] ويهدف القانون الثانى من منع طلاب المدارس من الاشتراك فى المظاهرات ، وذلك عن طريق تهديدهم بعقوبات مختلفة وذلك بفصل تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية الذين تقل درجاتهم فى المواظبة عن ٢٠ من ٣٠ خلال العام الدراسى وعدم قبولهم فى أى مدرسة أميرية أخرى ، وقد وافق مجلس شورى القوانين على ذلك واشترط أن تكون المظاهرة التى يشترك فيها التلاميذ مظاهرة سياسية .

أما القانون الثالث فهو خاص بتعديل قانون العقوبات[١١] بحيث يعاقب بالسجن كل من اشترك فى اتفاق بقصد ارتكاب الجنايات حتى لو لم يشترك فى ارتكابها[١٢] ، وذلك لما رأته الحكومة من نقص فى قانون العقوبات عند التحقيق فى قضية مقتل بطرس غالى[١٣] فرغم ثبوت التهمة على مهندسين وخمسة من الطلبة ثبت اشتراكهم فى

---

(١٠) محافظ عابدين ، تلغرافات ديوان خديو . انظر على سبيل المثال تلغراف من اللجنة الفرعية للحزب الوطنى بقسم عابدين .

(١١) هو القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩١٠ فى ١٦ يونيه ١٩١٠ .

(١٢) محاضر جلسات مجلس شورى القوانين . دور الانعقاد العادى ١٩٠٩/١٩١٠ الجلسة السابقة الذكر .

(١٣) بعد اغتيال بطرس غالى احست سلطات الاحتلال ان هناك نقصا فى قانون العقوبات فمرتكب الجريمة شاب ثبت انه ينتمى الى جمعية سرية وان آخرين اشتركوا معه فى التفكير فى ارتكاب الجريمة ، ومع ذلك فقد انفرد دونهم بالتنفيذ ، ولم يجد القضاء يومئذ سبيلا الى معاقبة أولئك الشركاء الذين تبادلوا الراى مع القاتل ، ولم يكونوا شركاء معه فى التنفيذ ، لذلك اضيفت مادة الى قانون العقوبات وهى المادة ٤٧ مكرر ، وقد جاء فى المذكرة الايضاحية لوزارة الحقانية ان الحكومة ارادت بهذه الاضافة ان تضرب على يد الاجتماعات او الاتفاقات التى يكون العبث بالنفس أو الأموال غرضا من أغراضها .

محمد عبد الله عنان : تاريخ المؤامرات السياسية . القاهرة — دار الهلال ١٩٢٨ ص ٣٥ .

التخطيط لارتكاب الجريمة ،فان هذه الجريمة لا توجد عليها عقوبة فى القانون المدنى[١٤] .

وقد وضع سعد زغلول هذا المشروع ووافق عليه مجلس شورى القوانين بعد تعديلات طفيفة ؛ وقد استهدفت الحكومة من القانون الأول التنكيل برجال الحزب الوطنى ويتضح ذلك من محاكمة محمد فريد بسبب تقريظه لكتاب « وطنيتى »[١٥] للشيخ على الغاياتى والحكم عليه بالحبس لمدة ستة شهور ففى أغسطس ١٩١٠ قدم كل من الشيخ عبد العزيز جاويش ومحمد فريد الى المحاكمة بتهمة كتابة مقدمة لكتاب « وطنيتى » الذى يتضمن الدعوة الى الثورة والتنديد بالظلم وبحكم الفرد ، فقد تحدث الغاياتى فى مقدمته لهذا الكتاب عن استسلام ملك فرنسا لويس السادس عشر لارادة حاشيته الظالمة ، وزوجته المستبدة المسرفة مارى انطوانيت التى كانت تحتقر الشعب الفرنسى ، كما بين هذا الكتاب ان ارادة الشعب كانت دائما فوق كل ارادة ، وان الويل دائما يلحق بالحكومات اذا غضبت عليها الشعوب[١٦] .

كما تضمنت هذه المقدمة تنديدا بحكم الخديو المطلق واسرافه فكتب على الغاياتى يقول « يأخذ الحاكم المستبد (يقصد الخديو) أموال الأمة باحدى يديه ؛ ويسومها سوء العذاب باليد الأخرى فهو يجيعها ليشبع ويفقرها ليغنى ، ويذلها ليعتز ثم يسد فى وجهها مناهل العلم لتنفسح أمامه مناهج الظلم[١٧] » ثم هدد الخديو بقوله « لكن يوم الظالمين يوم عصيب . هنالك يغير الله حالا بعد حال وتستوى الأمة على عرشها تدير دفة الحكم بيدها[١٨] » .

---

(14) Gorst to Grey . Cairo . April 12, 1910 No 20 Tel F.O Part Lxxll, 407 — 175 .

(١٥) ظهرت الطبعة الأولى منه فى يونية ١٩١٠ .

(١٦) على الغاياتى : وطنيتى . القاهرة — مطبعة منبر الشرق — الطبعة الثالثة ١٩٤٧ ص ٢٦ — ٢٧ .

(١٧) نفسه ص ٣٣ .

(١٨) نفسه ص ٣٣ .

ومع أن جميع القصائد التى احتواها الكتاب قد سبق للصحف نشرها فقد نبهت جريدة المؤيد السلطات الى خطورة الكتاب مما دفع الحكومة الى مطالبة النيابة بالتحقيق فيما ورد بالديوان ، فأمرت بمصادرته ، ووجهت تهمة التحريض على جريمــة القتل الســياسى والعيب فى حق الذات الخديوية ، والحض على كراهيــة الحكومة[١٩] الى محمد فريد وعبد العزيز جاويش وعلى الغاياتى ، ولــا كان محمد فريد فى أوربا فى ذلك الوقت للدفاع عن القضية المصرية قد أجلت محاكمتــه لحين عودته بينما حكم على الشيخ على الغاياتى غيابيا (وكان قد خرج سرا من القاهرة الى الاستانة) بالحبس لــدة سنة ، كما حكم على الشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة شهور .

ومع أن خصوم محمد فريد قد أشاعوا أنه لن يعود خوفا من الحكم عليه . فانه نفى هذه الشائعة وهو فى أوربا وعاد الى مصر بعد أن كتبت له ابنته خطابا تذكر له فيه الشائعات ، وتطلب منه العودة الى بلاده بقولها « ولنفرض أنهم يحكمون عليك بمثل ما حكموا به على الشــيخ جاويش ، فذلك أشرف من أن يقال بأنكم هربتم وما تحملتم الهــوان فى سبيل وطنكم .. وباسم الوطنية والحرية التى تضحون كل عزيز فى سبيل نصرتها أن تعودوا وتتحملوا آلام السجن[٢٠] » .

وقد بدأت النيابة التحقيق مع محمد فريد فى ٤ يناير ١٩١١ وقد تولى استجوابه محمد توفيق نسيم ، ونظرت القضــية أمــام محكمة الجنايات بالقاهرة فى ٢٣ يناير ١٩١١ وأصدرت المحكمة حكمها بحبس فريد لمدة ستة أشهر مع النفاذ .

وعند مراجعتنا للمقدمة التى كتبها محمد فريد ، وهى تحت عنوان

---

(١٩) أحمــد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ القســم الثــانى ص ٢٣٢ .

(٢٠) الرافعى : المرجع السابق ص ١٨٨ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ .

« تأثير الشعر فى تربية الأمم » نجد أنها تتحدث عن أثر الشعر فى ايقاظ الأمم من سباتها ، ومهاجمة استبداد حكومة الفرد لاماتتها للشعر الحماسى ، كما نجد دعوة من غريد للشعراء بعدم تملق الأمراء والتقرب من الوزراء ، لأن « الحكام زائلون والأمة باقية[٢١] » .

وبعد صدور الحكم على فريد قام أمين الرافعى بعمل استفتاء فى جريدة الشعب لمعرفة رأى علماء القانون عن السبب فى الحكم على فريد بستة شهور حبس ، بينما حكم على الشيخ جاويش بثلاثة أشهر مع أن التهمة واحدة ، فكانت الحجة أن فريد يعرف القانون أكثر من جاويش لذلك فانه يقتضى التشديد عليه فى العقوبة[٢٢] .

والجدير بالذكر أن هذه القوانين قد زادت من تذمر الوطنيين وقد أفصح سعد زغلول عن ذلك فى مذكراته بقوله « كنت فى أشد حالات القلق لأنى أشعر أن فى النفوس هياجا[٢٣] » كما تقاطرت برقيات الاحتجاج من كافة أنحاء البلاد ضد هذه القوانين ، وقامت المظاهرات وتدخل البوليس لقمعها باطلاق النار فى الهواء[٢٤] ومع أن سلطات الاحتلال استمرت فى سياسة الارهاب فان الحزب الوطنى ظل على سياسته فى اثارة الجماهير واستمرت حركة الطلبة فى المناداة بطلب الدستور مما أدى الى زيادة متاعب البوليس فى المحافظة على النظام بشوارع القاهرة كما برز تأثير الصحافة على الطبقات الوسطى التى أخذت تظهر عداءها السياسى للاحتلال وتنتقد هيبةالحكومة وسلطتها[٢٥] يضاف الى ذلك أن سياسة القهر والارهاب ضد الحزب الوطنى أدت الى

---

(٢١) على الغاياتى : المرجع السابق ص ١١ — ١٥ .

(٢٢) مجلة الهلال مجلد ١٩٣٠ مقال للاستاذ طاهر الطناحى بعنوان « مثال البذل والجهاد » محمد فريد ص ٣٣١ .

(٢٣) مذكرات سعد زغلول كراسة ١٣ ص ٧٢٢ .

(24) F.O 407 —174 No 13, Graham to Grey, Cairo. April 4,1909

(25) 407 — 174, No 187 LoWther to Grey Constantinoble Morch 15, 1909 .

ظهور الأفكار الارهابية التى تنادى بالدعوة الى الاغتيالات السياسية[٢٦] للتخلص من الخونة وأعداء الوطن •

ومما سبق يتضح أن سياسة الاحتلال فى قمع الحركة الوطنيه مد أدت الى زيادة حالات القلق فى البلاد واثارة النفوس ضد الاحتلال •

٢ ــ استئناف جهاد محمد فريد فى أوربا

فى ٢٢ مارس ١٩١٢ ألقى محمد فريد خطابه السنوى فى الجمعية العمومية للحزب الوطنى ندد فيها باقتراح اللورد كتشنر انشاء صندوق توفير للزراع ، وطالب أن يكون ذلك بأيدى صرافى البلاد ومع أن هذه الخطبة كانت خفيفة اللهجة عن خطب فريد السابقة فان الحكومة التى كانت تتربص به رأت أن القاء فريد رهن السجون يحد من نشاطه الوطنى ، ويرهب باقى الوطنيين لذلك أرسلت له اخطارا على يد ضابط بوليس يتضمن استدعاءه الى النيابة لاستجوابه عما ورد بخطبته ، ولما أحس فريد بنية الحكومة تجاهه فكر فى مغادرة البلاد الى الخارج

وقد أوضح ذلك فى مذكراته بقوله « ومن هذه اللحظة صممت على ترك مصر[٢٧] » •

ولما كان أمر مغادرة زعيم الحزب الوطنى للبلاد له خطورته فى التأثير على الحزب فقد استشار فريد أعضاء اللجنة الخاصة بمناقشة المسائل الهامة فى الحزب وعن ذلك يذكر « خابرت صادق بك رمضان وفؤاد بك سليم ومحمود بك فهمى المحامى واسماعيل لبيب واسماعيل حافظ أعضاء اللجنة الخصوصية التى كنا قد شكلناها للمداولة فى مسائل

(26) 407 — 173 No 836, LoWther to Grey, Therapia - oct , 11 — 1909 .

(٢٧) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . الجزء الأول ــ القسم الاول ص ١٤ •

الحزب الهامة قبل عرضها على اللجنة الادارية ، وفى صباح يوم الاثنين نزلت بالقطار من محطة الحلمية حيث كنت ساكنا الى محطة الزيتون ، وقصدت منزل الدكتور صادق وأخبرته بالحادثة وبعزمى على السفر . فوافق واتفقنا على الاجتماع بمنزل اسماعيل بك لبيب بالحلمية الجديدة بعد الاستجواب[٢٨] » .

ذهب فريد الى النيابة لاستجوابه وبعد الاستجواب سمح له بالانصراف فذهب الى منزل اسماعيل لبيب حسب الاتفاق وهناك قص على زملائه ما دار فى التحقيق فقرروا بالاجماع مغادرته للبلاد[٢٩] .

وقد أوضح فريد الطريقة التى غادر بها أرض الوطن فقال « ذهبت الى نادى الحزب الوطنى وذهب اسماعيل بك الى محل كوك للاستعلام عن السفن المسافرة الى الخارج فوجدنا أن الوابور الروسى « الملكة أولجا » يسافر الى الآستانة وبيريه فى يوم الثلاثاء فقررنا السفر فيه بالكيفية الآتية وهى أن اسماعيل لبيب يقطع تذكره لنفسه للاستانة وأنا أسافر من مصر يوم الثلاث باكسبريس الصباح الساعة ٧ صباحا كأنى مسافر الى الاسكندرية للمرافعة فى قضية بمحكة الاستئناف المختلطة ثم أرافقه الى الوابور فان ضبطت أو تعرف البوليس على أقول بأنى حاجز لوداعه وبما أنى سأكون بمفردى بلا شنط أو ملابس بل بلا تذكرة سفر فلا يمكن لأحد أن يظن بأنى مسافر[٣٠] .

ومع أن الوقت كان ضيقا أمام فريد ، والظروف تقتضى منه الاسراع فى العمل لأن الحكومة كانت جادة فى استصدار أمر بالقبض عليه فان أمرا هاما كان يشغل باله وهو الطريقة التى يمكنه عن طريقها ابلاغ زوجته بما اعتزم عليه فقد حرص على عدم ازعاجها ، ولكنه لم ير بدا

---

(٢٨) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . الجزء الأول . ص ١٤ .
(٢٩) نفسه .
(٣٠) نفسه ص ١٥ .

من أن يفضي اليها بالأمر فأفهمها بضرورة سفره وأوصاها بالصبر والجلد وطلب منها أن لا تخبر أولاده ولا أحد من أسرته بما اعتزم عليه حتى لا ينزعجوا[٣١] .

وفى صباح الثلاثاء ٢٦ مارس استقل فريد القطار فقابله كثيرون من اخوانه وأصدقائه فأخبرهم أنه ذاهب الى الاسكندرية للترافع فى قضية بالمحكمة المختلطة . وقد رافقه فى القطار اسماعيل لبيب وتغذيا بالاسكندرية ثم قصدا الباخرة الروسية المزمع ركوبها وكان اسماعيل لبيب قد اشترى لنفسه تذكرة السفر أما محمد فريد فقد ركب بـــدون تذكرة حتى لا يعرف أحدا عزمه على السفر فيحجزوه[٣٢] » .

احتجب فريد فى محل الأدب نحو عشر دقائق عند مرور مفتش الباخرة فلم يلحظ أحد وجوده[٣٣] وبعد تحرك الباخرة دفع فريد ثمن التـــذكرة معتذرا بأنه لم يجـــد الوقت الكافى لأدائه فى مكتب الشركة بالاسكندرية[٣٤] .

وعلى كل حال فقد خرج فريد من مصر واختلف الباحثون حـــول طبيعة هذا التصرف فمنهم من يعتبر خروجه تصرفا خاطئا لأنه عزل قيادة الحركة الوطنية عن الجماهير ونقل قيادتها من مركز اشعاعيا الى الاستانة ودول أوربا[٣٥] وانه ترك شعبا أحبه والتف حوله وأعجب به ومنح التأييد لحزبه ما لم يمنحه لأى حزب آخر وكان يجب عليه ألا يترك

---

(٣١) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٢٧٥ .
(٣٢) نفسه .
(٣٣) مذكرات محمد فريد . جـ ١ القسم الأول ص ١٧ .
بينما يذكر الرافعى ان فريد احتجب بغرفة اسماعيل لبيب حتى انتهى مفتش الحجر الصحى من المرور .
(٣٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٦ .
(٣٥) محمد صبيح ، مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية ــ كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٦٦ . ص ٥٣٠ .

مصر لأنها مركز الجهاد الحقيقى[٣٦] وأن دخوله السجن فيه تعبئة للرأى العام وايقاظا لهمـم الناس وشـحذا لوطنيتهـم وأنه كان من الممكن الافراج عنه بقوة الضغط الشعبى[٣٧] .

ومن الباحثين من يرى أن خروج فريد من مصر كان تصرفا صحيحا لأنه كان فى نية الحكومة شل حركته وابقاؤه رهن السجون بواسـطة سلسلة من المحاكمات التى لا تنتهى بحيث اذا خرج من سجنه تدبر له تهمة جديدة يدخل بسببها السجن ثانية وان خروج فريد من مصر سيتيح له متابعة جهاده فى الخارج ورفع صـوت مصر والمنـاداة بحـريتها واستقلالها[٣٨] حيث كان الرأى العام العالمى فى حاجة الى فهم واضح لأبعاد القضية المصرية كما أن التنظيمات الطلابية خارج مصر كانت فى حاجة الى جهود فريد الذى يعتبر رجل التنظيم السياسى فى مصر[٣٩] .

وهناك فريق يرى أن خروج فريد من مصر كان من أجل ملاحقة فتاة فرنسية كان يحبها وهى مدام دى روشبرون .

ومن وجهة نظرنا فنحن نرى أن نقل فريد لميدان الكفاح فى الخارج يعتبر استمرارا لمواصلة الجهاد وتأليبا للرأى العام الأوربى على الانجليز وأفيد للحركة الوطنية من تواجده وسط مؤامرات الحكومة وارهابها . فقد تابع فريد جهاده فى الخارج وكان أول عمـل بارز لـه هناك هو حضوره مؤتمر السلام فى جنيف فى ٢٦ سبتمبر ١٩١٢ ومطالبته بجـلاء الانجليز عن مصر واقناع أعضاء المؤتمر بأن الجلاء عن مصر هو خدمة للسلام العالمى[٤٠] .

---

(٣٦) د. رفعت السعيد . تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ص ٣٨ .
(٣٧) محمد صبيح : المرجع السابق ص ٥٣١ .
(٣٨) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٥ .
(٣٩) الجمهورية العدد ٥٧٧٥ فى ١٩٦٩/١٠/١٦ مقال للدكتور محمد انيس تحت عنوان كفاح فى المنفى .
(٤٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٨ — ٢٨٢ .

الفصل العاشر

كتشنر ونهاية الوفاق

١ ــ تعيين كتشنر معتمدا بريطانيا

٢ ــ النزاع بين كتشنر والخديو

٣ ــ اضطهاد الحزب الوطنى

٤ ــ محاولات الخديو تحسين علاقته بالحزب الوطنى

٥ ــ قيام الحرب [illegible] وعزل الخديو عباس الثانى

تعيين كتنشنر معتمدا بريطانيا

أدى اغتيال بطرس غالى الى انهاء سياسة الوفاق ، وتغيير سياسة بريطانيا فى مصر ، فعندما توفق جورست فى ١٢ يوليه ١٩١١ على أثر مرض قصير[١] استشارت وزارة الخارجية البريطانية اللورد كرومر فى من يخلفه ويستطيع تنفيذ سياستها الجـديدة فاقترح تعيين هربرت كتشنر[٢] •

وقد سبق تعيين كتشنر معتمـدا بريطانيا على مصر التوسـع فى تطبيق قانون المطبوعات بمنع استخراج رخص لأى جرائد جديدة[٣] ، ومنع دخول الجرائد السورية الى مصر بحجة نشرها لآراء لا تتفق مع وجود الاحتلال[٤] كما فتشت بعض دور الطباعة وتم التضييق على حرية التمثيل باصدار لائحة التياترات التى تتضمن التضييق على حرية التمثيل لدرجة أن افتتاح أى مسرح جديد صار متعـذرا طالمـا كان صاحبه من غير صنائع الحكومة والاحتـلال[٥] ، والهدف الذى دفـع الحكومة الى ذلك هو الحيلولة دون جعل المسارح مجـالا للانشـطة السياسية والاجتماعية وقد سرت أحكام هذه اللائحة على محلات سباق الخيل وبعض المقاهى وغيرها[٦] بقصد الحـد من الاجتماعات وارهاب المواطنين •

---

(١) لمـا علم الخديو بمرض جورست أثناء تواجده بلندن أسرع لزيارته ولمـا أحس بخطورة مرضه كان فى حال حزن شديدة .
مذكرات الأميرة جويدان ص ٦٦ •

(2) MarloWe : Anglo Egyptian Relations p. 205 .

(٣) العلم فى ٢٤ فبراير ١٩١١ •

(٤) نفسـه •

(٥) العلم فى ٢٠ اغسطس ١٩١١ •

(٦) العلم فى ٢٢ اغسطس ١٩١١ •

ولما حضر كتشنر الى مصر أخذت بعض الصحف تهول بتعيينه وتعلن عن قوة شكيمته ، وتذكر الناس بحادث الحدود الذى أرغم فيه الخديو على الاعتذار ، وتوضح لهم أن كتشنر جندى خشن وسيف بتار ، ذو طبيعة عسكرية تتسم بالعنف[٧] .

وقد ردت الأهرام على ذلك بمقال صورت فيه الموقف بوطنى مصرى من الفلاحين القرويين لم يترك قريته قط . وقد حدثوه عن زيارة المدير لقريته وصوره له عملاقا « حتى تخيل الباشا بالقوة أسدا وبالصوت رعدا وبالجسم جبلا وبالحلم نعمة ، وبالغضب نقمة . وبالقول حكمة ثم عقب كاتب المقال على ذلك بقوله « قالوا لنا الورد كتشنر قادم فارتعدت أقلام وطربت أقلام واصطكت ركب وارتجفت أيد[٨] ؛ ثم ختم كلامه بقوله « ان كتشنر عين قنصلا واذا ما حل فى أرضنا .. لا نريد على قولى وصل القنصل وهو ككل القناصل الانجليز فى مصر[٩] » .

ووصل كتشنر الى الاسكندرية تقله بارجة حربية بريطانيه فكأنه قد جاء قائدا للحرب لا رسولا للسلام .

ويذكر الرافعى أن كتشنر زار الخديو بسراى رأس التين زيارة خاصة فى اليوم التالى لوصوله[١٠] ولكن الواقع أن كتشنر لم يقم بزيارة الخديو بل أمر باستحضار قطار خاص سافر به مباشرة الى القاهرة .

وقد رفض كتشنر أن يكون على مستوى القناصل الآخرين فأصر على أن تكون مقابلته للخديو فى التشريفات وحده[١١] كما أخذ يتصدر المواقف متجاهلا الخديو ، وقد حدث فى حفلة رسمية فى عابدين أن طلب

---

(٧) د. ابراهيم عبده : جريدة الأهرام فى ٧٥ سنة . القاهرة — دار المعارف ١٩٥١ ص ٢٧٧ .

(٨) نفسه ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٩) الأهرام فى ٢٢ يوليه ١٩١١ .

(١٠) الرافعى : محمد فريد ص ٢٤٥ .

(١١) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ص ٣٤ .

اللورد كتشنر أن يستقبل مع موظفيه فى احتفال خاص ، ولكن الخديو استند الى التقاليد والبروتوكول ، واعترض على أن يستقبل كتشنر فى احتفال خاص ، وطلب أن يكون معتمد انجلترا فى طليعة رجال السلك السياسى فقط مما ضايق كتشنر فأظهر اعتراضه على الموقف بأن سار فى المؤخرة مع قناصل الدول الصغرى ، وقبل أن يحيى الخديو قال له بصوت عال أظن أن هذا دورى ، وفى مساء هذا اليوم سافر كتشنر فى سياحة داخل البلاد فأمر أن يفتح له الباب الأكبر بمحطة القاهرة رغم أنه مخصص للملوك[١٢] ، كما أصر على أن يحضر الى قصر عابدين مرتديا زى الفيلد مارشال ومصحوبا بكل مظاهر تكريم أمير البلاد[١٣] وفى ديسمبر ١٩١١ وبمناسبة عيد الأضحى ذهب كتشنر لحضور التشريفات الخديوية بسراى عابدين فى غير الموعد المحدد لمعتمدى الدول الأجنبية فأجيب الى طلبه فى الحال ، ثم أنه أخذ يتولى بنفسه افتتاح المشاريع الهامة ، ويرأس حفلاتها ويطوف فى البلاد ويقابل وفود الأعيان مقابلة مليك البلاد فكان ذلك ايذانا بانقضاء عهد سياسة الوفاق ودعوة سياسة السيطرة الانجليزية[١٤] . ونتيجة لذلك احتجب الخديو فى قصره بسراى القبة وابتعد عن التدخل فى شئون البلاد ، وترك ادارتها لكتشنر ولمحمد سعيد رئيس النظار لدرجة أنه لم يعد يرأس جلسات مجلس النظار الا نادرا[١٥] .

وتبعا لذلك قام الحزب الوطنى بدراسة الموقف فعقد اجتماعا لمناقشة الأساليب التى يجب أن يتبعها الحزب بعد تعيين كتشنر ، وتلا محمد فريد خطبة ركز فيها على ضرورة مواصلة اليقظة الشعبية والابتعاد عن سماع الشائعات التى يرددها أنصار الاحتلال والكشف عن نواياهم .

---

(١٢) روجه لابلان : مصر وانجلترا فى عهد محمد على الى عهد الملك فؤاد ــ ترجمة ميخائيل بشاره داود .. القاهرة مطبعة رمسيس بالفجالة ١٩٢٣ ص ٦٩ .

(١٣) جريدة المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ١٩٥١/٧/٥ .

(١٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٤٥ .

(١٥) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ص ٢٧٥ .

ومع أن البعض يرى فى سياسة كتشنر عودة الى عهد كرومر[١٦] فاننا نختلف مع هذا الرأى لأن كرومر فى بداية قنصليته فى مصر ظــل قنصلاً مثل باقى القناصل الجنراليين ولم يقم بزيارة الأقاليم الا بعــد تثبيت مركز الاحتلال بعقد الاتفاق الودى عام ١٩٠٤. أما كتشنر فقد بدأ من حيث انتهى كرومر فوضع الخديو خلفه وتدخل فى كل شئون البلاد، لدرجة أن تدخله وصل الى شئون المعية[١٧] ، ولتصفية الحركة الوطنية عمد كتشنر الى الامعان فى اضطهاد الصحافة الوطنية واتخاذ الاجراءات الارهابية ضد الوطنيين فأصيب الحــزب الوطنى فى عهــده بضربة قاصمة ، وقد عمد كتشنر من ناحيــة أخرى الى كسب الفــلاحين الى جانبه[١٨] بهدف اصــلاح أحــوال الطبقــات الدنيا من المصريين فقام بزيارات متعددة للريف المصرى واهتم بمشروعات الرى ولا سيما خزان أسوان ، وخفف من عبء الأزمة الزراعية على الفلاحين فقام بتأمين أقواتهم ، وأصدر قانون الخمسة أفدنة الذى حمى الفلاحين من أيدى المرابين[١٩] وأنشأ وزارة خاصة بالزراعة لأول مرة فى مصر[٢٠] ولمــا أراد كتشنر شل نفوذ الخديو فى الجمعية العمومية صدر القانون النظامى بانشاء الجمعية التشريعية[٢١] فى أول يوليو ١٩١٣ مشتملا على حقوق أوسع من حقوق المجلسين السابقين بحيث تكون نسبة المنتخبين فيها

---

(١٦) محمود حلمى مصطفى : التنظيمات الادارية والحكومية وآثارها فى مصر ١٨٨٢ — ١٩١٤ . رسالة ماجستير غير منشورة ص ٤٢٤ .

(١٧) مذكرات سعد زغلول . كراسة رقم ٣ .

(١٨) د. محمد انيس ، د. حراز : ثورة ٢٣ يوليه ص ١٥٦ .

(١٩) احمد شفيق : المرجع السابق ص ٢٧٤ .

(٢٠) تقرير كتشنر عن الماليــة والادارة والحالة العموميــة فى مصر والسودان ١٩١٣ . القاهرة .. ترجمة المقطم ص ٦ .

(٢١) كانت تتألف من ثلاثة وثلاثين عضوا منهم ستة عشر عضــوا ينتخبون انتخابا عاما على درجتين وسبعة عشر عضوا تعينهم الحكومة ومنهم الرئيس وأحد الوكيلين ، واقتصر اختصاص الجمعية على حق اقتراح القوانين وابداء الرغبات .

أكثر من الجمعية العمومية حتى لا يكون للخديو دخل فى تعيينهم من جهة ولأن المنتخبين من جهة أخرى سيكونون من كبار ملاك الأراضى وهم الطبقة الموالية للاحتلال والمعادية للخديو[٢٢] .

النزاع بين كتشنر والخديو

تعددت المصادمات بين الخديو وكتشنر وحاول كل منهما احـــراج الآخر ، فحين طلب كتشنر من الحكومة اعتماد مبلغ كبير لبناء وتجديد الثكنات والحصون فى الثغور المصرية اعترض الخديو على ذلك بحجة الرجوع الى الباب العالى فى مثل هذه الأمور مما ضايق كتشنر وزاد من عدائه للخديو منتهزا كل الفرص المواتية لمهاجمته[٢٣] .

ولمـــا أراد الخديو بيع سكة حديد مريوط نظرا لأنها لم تأت بالربح الذى كان ينتظره عرض الأمر على كتشنر ولمـــا تباطأ كتشنر فى الرد رأى الخديو بيعها الى شركة ايطالية يعضدها بنك روما ، وقد انتهــز كتشنر ذلك فاتهم الخديو بأن له صلة بالايطاليين ، وانه يساعدهم فى نظير تسهيل شرائهم لسكة حـــديد مريوط[٢٤] وأن له خططا معـــادية للانجليز ، وطالب كتشنر بايقاف هذا العمل بحجة أن الخديو يبيع أرضا من أملاك الحكومة المصرية وليست من أملاكه ، ولمـــا أثير الأمر فى البرلمـــان الانجليزى طلب السير ادوارد جراى من كتشنر شراء السكة الحديد فتم ذلك بعد مفاوضات انتهت ببيعها الى الحكومة مقابل مبلغ ٣٩٠٫٠٠٠ جنيه ، وقد اعتبر الخديو ذلك صفقة خاسرة[٢٥] .

ولمـــا كان موقف محمد سعيد رئيس النظار من هذه الأزمة سلبيا

---

(٢٢) د. محمد انيس وحراز : ثورة ٢٣ يوليو ص ١٥٦ .

(٢٣) احمد شفيق : المرجع السابق ص ٣٢٦ .

(٢٤) مذكرات محمد فريد ، ملف رقم ٢ الفترة من ١٩١٣/٧/٢٤ الى ١٩١٤/٣/١ .

(٢٥) الرافعى : المرجع السابق ص ٣٤١ .

ازداد حنق الخديو عليه ، ولم يطق صبرا على بقائه فى الوزارة فحاول اسقاطه ولكن كتشنر أفهمه خطورة ما سيقدم عليه[٢٦] .

وكرر الخديو محاولاته ، وعرض على كتشنر تعيين مصطفى فهمى رئيسا للنظار بدلا من محمد سعيد ولما كان كتشنر يعرف من مصطفى فهمى أنه صنيعة الاحتلال القديم فقد قبل ما عرضه الخديو ووافق على احلاله محل محمد سعيد باشا لأن الاحتلال لا يهمه شخص رئيس الوزارة بقدر ما يهمه ولاؤه للاحتلال[٢٧] .

وبدأت المفاوضات مع مصطفى فهمى الذى استدعى الى القصر لأخذ رأيه فاشترط تعديل قانون المطبوعات والغاء القوانين الاستثنائية والعفو عن الذين حوكموا بمقتضاها[٢٨] .

وقد تنحى مصطفى فهمى عن مهمة تأليف الوزارة نتيجة الخلاف الذى نشب بسبب تمسك كتشنر بأحد المرشحين وانتهى الأمر بتعيين حسين رشدى رئيسا للوزارة[٢٩] .

ولما كان كتشنر ينتهز كل فرصة للحد من سلطة الخديو ووضعه فى حيز محدود فقد حاول ابعاد ادارة الأوقاف عن سلطة الخديو ، فرأى وضعها كنظارة مستقلة نظرا لعدم انتظام العمل بها وتلاعب الخديو فى أموالها وتعيين محاسبيه وجواسيسه فيها بمرتبات باهظة مع عدم كفاءتهم[٣٠] » وصرفه لكثير من ايرادات الأوقاف الخيرية فى شئونه الخاصة[٣١] .

---

(26) Llyod : op. cit p. 173 .

(٢٧) الرافعى : المرجع السابق ص ٣٤٢ .

(٢٨) مذكرات محمد فريد . ملف رقم ٣ ص ٧٦ .

(29) Llyod : op. cit VOLI p. 173 .

(٣٠) مذكرات محمد فريد ملف ٢ ص ٥٩ .

(٣١) نفسه .

ولمـا عرض الأمر على الخديو عارض فى ذلك موضحا أن النظـر فى ادارة الأوقاف يخص الباب العالى ويجب أخذ رأيه أولا مما أغضب كتشنر وجعله يفكر فى خلع الخديو فأرسل الى عماد الدين وهبى وكيل دائرة الأمير سعيد حليم الى الاستانة للتفاهم فى شأن خلع الخـديو عباس الثانى وتولية الأمير مكانه على خديوية مصر ، ولكن الأمير اعتذر عن ذلك بحجة أن مركزه لدى الباب العالى كصدر أعظم يتيح له أن يخدم مصر من أن يكون خديويا لها[٣٢] .

أما عن استفتاء الباب العالى فى تحويل ادارة الأوقاف الى وزارة فكان بالموافقة مما جعل الخديو يخسر صفقة هائلة من الأموال كانت تحت يده[٣٣] .

ولمـا تيقن الخديو من نوايا كتشنر العدائية نحوه انزوى فى قصره وتطلع الى مساندة الوطنيين له فحاول التقرب الى الحزب الوطنى الذى ناصبه العداء منذ فترة وسعى الى عقد صلح مع محمد فريد كما فكر فى التنازل عن العرش لولى عهده الأمير محمد عبد المنعم .

وعن تفاصيل فكرة تنازل الخديو عن العرش ذكرت مجلة آخر ساعة المصورة أن هذه الفكرة جاءت من جانب الخديو بعـد أن ضاق ذرعا بتدخل الانجليز فى شئون البلاد ومحاولة اللورد كتشنر الاتفاق مـع الصدر الأعظم البرنس سعيد حليم باشا على اعلان خلع الخديو عباس وتولية البرنس خديويا على مصر[٣٤] .

وقد رأى الخديو عباس الثانى أن يريح كتشنر ويستريح هو نفسه من عناء المشاحنات التى لم تكن تنقطع لتتصل من جديد لأتفه الأسباب،

---

(٣٢) احمد شفيق : المرجع السابق جـ ٢ القسم الثانى ص ٣٢٧ .

(٣٣) مذكرات محمد فريد ملف ٣ ص ٧٩ .

(٣٤) مجلة آخر ساعة المصورة العدد ٥٧٩ بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٤٥ ص ١٢ تحت عنوان « الخديو عباس الثانى يوسط فارس نمر باشا فى تنازله عن العرش » .

ولمـا فكر فيمن يختاره لمباحثة اللورد كتشنر فى هذا الأمر رأى أن فارس نمر هو خير من يقوم بهذه الوساطة لمـا له من مركز خاص لدى دار المعتمد البريطانى ؛ فاستدعاه وكاشفه برغبته وطلب منه الاتصـال بالحكومة البريطانية فى هذا الشأن ولكن فارس نمر أقنعه بأهمية الحديث مع كتشنر فى هذا الموضوع أولا ، ولمـا اقتنع الخديو برأيه قابل فارس نمر كتشنر وفاتحه فى الأمر ، ولكن اللورد ارتاب من نوايا الخـديو وظن الأمر مناورة فقال لفارس نمر انه لا يريد أن تكون له عـلاقة بمثل هذه المسألة[٣٥] • ولمـا أخبر فارس نمر الخديو بما حدث طلب منه عرض الأمر على الحكومة البريطانية فسافر نمر الى لندن فى منتصف يوليه ١٩١٤ وبادر بكتابة مذكرة مفصـلة عن الموضـوع حسب طلب الحكومة البريطانية[٣٦] ؛ ولكن اعلان الحرب العالمية الأولى أضاع الأمل فى الحصول على موافقة انجلترا على تنازل الخديو لنجله[٣٧] •

اضطهاد الحزب الوطنى

تعرض الحزب الوطنى ابان رئاسة محمـد فريد له الى حمـلات ضارية من جانب الخـديو وحكومته من ناحيـة ؛ ومن جانب سلطات الاحتلال من ناحية أخرى وذلك بهدف الحد من نشاطه الثورى والقضاء على الروح الوطنية ، ومع ذلك فقد شق الحزب طريقه وسط هـذه الظروف الصعبة يدير دفة الحركة الوطنية •

ونتيجة للارهاب السياسى الذى تعرض له زعماء الحزب وأنصاره تحولت سياسة الحزب الى تشجيع الأفكار الارهابية[٣٨] ، وقد ظـل فريد متمسكا باستقلاله عن الخديو مما جعل العداء مستحكما بينهمـا

---

(٣٥) آخر ساعة المصورة : العدد السابق ذكره .

(٣٦) احمد شفيق : المرجع السابق ص ٣٢٧ ــ ٣٢٩ .

(٣٧) آخر ساعة المصورة : المقال السابق .

(38) 407/174, No 836, LoWther to Grey, Therapia Oct, 11,1909

حتى وصل الأمر بفريد أن رفض الوقوف أثناء عزف السلام الخديو في حفلة لرعاية الأطفال بدار الأوبرا مما استرعى أنظار الحاضرين وأحدث ضجة في داخل السراي ولما خاطب حسين رشدي محمد فريد في هذا الشأن أجابه بأنه ليس هناك قانون يحتم عليه الوقوف ، وكانت هذه الظاهرة بمثابة اعلان محمد فريد حربا عدائية ضد الخديو وخروجا على التقاليد المرعية(٣٩) .

وللتنكيل برجال الحزب الوطني حوكم الشيخ عبد العزيز جاويش بسبب مقالة نشرها باللواء تحت عنوان « ذكرى دنشواي » عدتها النيابة طعنا في حق بطرس غالي رئيس المحكمة المخصوصة التي حاكمت المتهمين ، وأقامت عليه الدعوى العمومية أمام محكمة عابدين الجزئية . وبعد أن سمع القاضي مرافعة النيابة ودفاع المحامين حكم على الشيخ جاويش بغرامة قدرها أربعون جنيها ولكن النيابة استأنفت الحكم كما استأنفه الشيخ جاويش ونظرت القضية أمام محكمة الجنح المستأنفة فحكمت بتعديل الحكم الابتدائي الى الحبس ثلاثة شهور للشيخ جاويش مما دفع الناس الى الاستياء الشديد(٤٠) .

يضاف الى ذلك أن رجال البوليس السياسي قاموا بمراقبة أعضاء الحزب الوطني وكتابة التقارير [illegible]مية عن أحوال البلاد وذلك بناء على طلب اللورد كتشنر(٤١) الذي أراد تصفية العناصر الوطنية ذات الميول المتطرفة عن طريق تعريضهم للمحاكمات والارهاب وشتى ضروب الاضطهاد(٤٢) .

وقد بدأت الحكومة في استجواب قادة الحزب الوطني ؛ وقامت

---

(٣٩) احمد شفيق : المرجع السابق جـ ٢ القسم الثاني ص ٢٦٨ .

(٤٠) الرافعي : محمد فريد ص ١٠٥ .

(٤١) العلم في ٢٧ اكتوبر ١٩١٢ .

(٤٢) الرافعي : المرجع السابق ص ٢٨٦ .

النيابة بتفتيش دفاتر الحسابات الخاصة بجريدة العلم(٤٣) بحجة البحث عن أصل خطبة لمحمد فريد ، كما قدمت الحكومة فريد للمحاكمة بتهمة التحريض على كراهية الحكومة فى خطبته التى ألقاها فى اجتماع الجمعية العمومية السنوى للحزب الوطنى فى ٢٢ مارس ١٩١٢ ، ومع أن هذه الخطبة كانت معتدلة بالنسبة للخطب السابقة التى تلاها فريد فقد حكم عليه غيابيا بالحبس لمدة سنة مع الشغل كما حكم على اسماعيل حافظ مدير جريدة العلم وعلى فهمى كامل مدير اللواء بالحبس لمدة ثلاثة شهور لنشرها الخطبتين فى جديدتيهما(٤٤) وقد أعقب ذلك اغلاق الحكومة لجريدة وادى النيل كما أغلقت جريدة الأخبار بتهمة العيب فى الذات الخديوية(٤٥) كما لفقت الحكومة تهمة التآمر على الخديو وكتشنر ومحمد سعيد رئيس الوزراء الى بعض شباب الحزب الوطنى فقد اتهم جورج فلبيدس اللبنانى الأصل والذى كان يعمل مأمور الضبط بالقاهرة ثلاثة من أعضاء الحزب الوطنى وهم امام واكد ومحمود طاهر الطالبين ، ومحمد عبد السلام المحرر باللواء بتدبير خطة لاغتيال الخديو وكتشنر ورئيس النظار وغيرهم ، ولما لم يتمكنوا من التنفيذ عدلوا عن خطتهم(٤٦) كما زعم فلبيدس أنه تمكن من معرفة المؤامرة عن طريق شاب يدعى مصطفى كامل وهو ابن شقيقة الزعيم مصطفى كامل ثم ذكر أن رجال البوليس السياسى كانوا يراقبون المتهمين لدرجة أن محمد طاهر أحس بمراقبتهم لـه أثناء محاولته اغتيال رئيس الوزراء أثناء مروره بالاسكندرية(٤٧) فمر هاربا الى القاهرة وأبلغ زملائه بمراقبة الحكومة لهم فغيروا خطتهم واكتفوا بقتل كتشنر ، وكلفوا محمد طاهر للقيام بهذه المهمة ولكنه لم يستطع تنفيذ الخطة لاحكام الرقابة عليه .

---

(٤٣) العلم فى اول مايو ١٩١٢ .

(٤٤) العلم فى ٢١ مايو ١٩١٢ .

(٤٥) نفسه .

(٤٦) محمد سعيد كيلانى : السلطان حسين كامل — فترة مظلمة من تاريخ مصر ص ٢٢ .

(٤٧) العلم فى ٤ يوليه ١٩١٢ .

وأخيرا انتهى الأمر بأن اجتمع المتهمين الثلاثة فى قهوة بشبرا وقرروا قتل الخديو وكتشنر ومحمد سعيد[٤٨] .

ومع أن اتهام فيلبيدس للشبان الثلاثة لم يكن له من سند فقد طلبت النيابة العمومية محاكمة المتهمين ، ويتلخص الاتهام فى أن الشبان الثلاثة اجتمعوا فى قهوة بشبرا تتكون من طابقين الأسفل متصل بحديقة ذات أشجار ملتفة الأغصان وتحت هذه الأشجار جلس الشبان الثلاثة على ثلاث موائد وكان البوليس يراقبهم وتمكن من سماع مناقشة امام واكد مع طاهر العربى فى فشله اغتيال رئيس الوزراء وكتشنر كما سمع عن عزم هؤلاء توسيع نطاق جمعيتهم وضرورة انضمام شبان جدد اليها[٤٩] وعندئذ هاجم رجال البوليس السياسى الذى كان يراقب تحركاتهم .

وقد ظلت المحكمة تنظر القضية حتى ١٣ أغسطس ، وفى هذا اليوم أصدرت حكمها على امام واكد بالأشغال الشاقة لمدة خمس عشر سنة ، ومحمد طاهر العربى ، ومحمد عبد السلام بالسجن لمدة خمس عشرة سنة[٥٠] .

واشتد الارهاب فى البلاد لدرجة أن سعد زغلول كتب قائلاً ان « الجرائد ساكتة فى هذه الأيام عن الحكومة رغبا ورهبا وأغلب الناس ساخطون[٥١] » كما أوضح أن الاتصاف بالوطن والوطنية أصبحا من

---

(٤٨) العلم فى ١٩١٢/٧/٤ .

(٤٩) المقطم فى ١٩١٢/٨/١٢ .

(٥٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٨٧ . والجدير بالذكر ان فيلبيدس الذى اذاق المصريين الوان العذاب والاضطهاد اتهم بالرشوة ، وابتزاز الأموال وحكم عليه بالسجن واعترف بعد الحكم عليه ان قضية مؤامرة شبرا كانت ملفقة .

(٥١) دار الوثائق : مذكرات سعد زغلول كراسة رقم ٢٠ ص ١٠٠٠ .

الأمور التى يهرب منها الناس ، وكثرت البلاغات عن مؤامرات ملفقة ، ودخل رجال النيابة والشرطة بيوت الأهالى الآمنين بحثا عن المنشورات.

واستغلت سلطات الاحتلال فرصة العثور على منشورات فى أغسطس ١٩١٢ مع الطالب أحمد مختار الذى جاء على ظهر سفينة من الاستانة الى الاسكندرية بهدف الدعوة الى الثورة ضد الاحتلال[٥٢] فى تصعيد وسائل الارهاب وبحجة افتراض وجود جمعية سرية من الشبان اتسعت حركة الاعتقالات فى القاهرة والاسكندرية والمدن الأخرى كما تخطت هذه الحركة حدود مصر الى الخارج اذ وجهت النيابة تهمة الاشتراك فى وضع هذه المنشورات الى الشيخ جاويش الذى كان مقيما بالاستانة؛ فاستصدرت من الحكومة العثمانية أمرا باعتقاله واعتقال بعض الشبان المصريين فقبض عليهم ورحلوا الى مصر ، وظلوا فى السجن مدة طويلة رهن التحقيق ثم حفظت القضية بالنسبة لهم أما الطالب أحمد مختار فقد حكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات[٥٣] .

وانتهز الجواسيس وعملاء السلطة فى كافة أرجاء البلاد لاستدراج الأهالى فى الحديث عن سوء الأحوال فى البلاد[٥٤] .

وفى ٣١ أغسطس ١٩١٢ أصدرت الوزارة قرارا بتعطيل جريدة اللواء نهائيا بحجة أنها عينت محررا مسئولا دون أن تحصل على اذن بذلك من ادارة المطبوعات ، كما أن على فهمى كامل قد صدرت عليه أحكام قضائية عن أمور مخلة بالأمن وبذلك انتهت حياة جريدة اللواء التى حملت لواء الكفاح الوطنى ، وكانت مدرسة لتعليم الوطنية .

وفى ٧ نوفمبر ١٩١٣ قررت الوزارة تعطيل جريدة العلم نهائيا لأنها نشرت مقالا لمحمد فريد عن رأيه فى الحروب البلقانية وما أصاب

---

(٥٢) العلم : فى ٢١ اغسطس ١٩١٢ .
(٥٣) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٨٧ .
(٥٤) العلم فى ٣٠ سبتمبر ١٩١٢ .

تركيا فيها من هزائم ، ونتيجة لاغلاق العلم عادت جريدة الشعب الى الظهور واتخذها الحزب الوطنى لسان حاله[٥٥] .

ولم تقتصر الحكومة على ارهاب الوطنيين فى داخل مصر بل امتد نشاطها الى الخارج فأوفد رجال البوليس السياسى الى أوربا لمراقبة الطلبة المصريين هناك داخل وخارج أماكن دراستهم[٥٦] .

ونتيجة لكل ذلك تدهورت أحوال الحزب الوطنى ، وبقيام الحرب العالمية الأولى ينتهى الدور القيادى للحزب الوطنى فى ادارة دفة الكفاح الوطنى فى مصر .

محاولات الخديو تحسين علاقته بالحزب الوطنى

حاول الخديو استعادة علاقته بزعماء الحزب الوطنى حتى يتمكن من مواجهة تسلط كتشنر فبدأ اتصالاته بمحمد فريد سرا خشية عيون الاحتلال ، ولكن فريد رفض أن يجعل للحزب الوطنى أى صلة بالخديو .

وتعددت المساعى من أجل التوفيق بين فريد والخديو فتقابلت مدام روشبرون مع فريد فى محاولة لاقناعه بالصلح مع الخديو ، وقد أخبرها فريد بأنه يقبل الصلح بشرط أن يكون الكلام بينه وبين الخديو بدون وسيط[٥٧] ، ولما كان الخديو يخشى أن يصل نبأ مقابلته لفريد الى عيون الاحتلال تأخر اتمام الصلح .

وأرسل الخديو الى فريد أحد أصدقائه منذ عهد الدراسة وهو توفيق

---

(٥٥) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٥٦) العلم فى ٨ اغسطس ١٩١٢ .

(٥٧) مذكرات محمد فريد ملف رقم ٢ ص ٦٤ .

بك زاهر القاضى لمفاتحته فى موضوع الصلح بينهما ولمـا عرض الأمر على فريد ذكر أنه لا يعارض فى اتمام الصلح بشرط أن يتصل الخديو برجال الحزب الوطنى فى مصر ويقبل شروطهم •

واستمر الخديو يبذل محاولاته لجذب فريد الى صفه فأرسل بعض رجاله لهذا الغرض ، وأخيرا وافق فريد على الصلح مع الخديو بشرط أن يوافق الخديو على اعلان الدستور •

وقد تمت المقابلة بين فريد والخديو فى الاستانة حيث تم الصلح بينهما ووعد الخديو باصدار مرسوم يعلن فيه الدستور كما عبر عن ارتياحه للصلح مع فريد الذى وصفه بأنه رجل مبادىء لا يتغير مهمـا قاسى فى سبيل المحافظة على مبادئه وتنفيذا لوعد الخديو أصدر منشورا فى ١١ نوفمبر ١٩١٤ باعلان الدستور الكامل فى مصر[٥٨] •

قيام الحرب العالمية الأولى واعلان الحماية على مصر وعزل الخديو :

فى ١٨ يونيه ١٩١٤ غادر اللورد كتشنر القاهرة لقضاء أجازته فى انجلترا وفى نفسه رغبة فى اقناع الحكومة الانجليزية بخلع الخـديو بحجة كراهيته للانجليز ، ولمـا شعر الخديو بما اعتزمه كتشنر حاول أن يظهر شعبيته لدى الشعب المصرى أمام الانجليز فى محاولة للعدول عن اتخاذ مثل هذا القرار فزار بعض الأقاليم وعقب ذلك سافر الى تركيا ترقبا لوقف مساعى كتشنر والحكومة الانجليزية لدى الباب العـالى بخصوص خلعه[٥٩] •

ولمـا وصل الخديو الى الآستانة اجتمع ببعض الطـلاب الموالين

---

(٥٨) عن نص هذا المنشور : انظر : الرافعى : محمد فريد ص ٣٤٤ — ٣٤٥ .

(٥٩) مجلة الاثنين فى ١٩٤٥/١٠/٢٢ تحت عنوان « منعت من العودة الى الوطن » .

للحزب الوطنى والذين يدرسون فى تركيا فهتفوا بسقوطه ونددوا بمؤامراته ضد الحزب فتشاءم الخديو من الموقف • وقام بعد ذلك بزيارة السلطان محمد رشاد ثم زار الصدر الأعظم الأمير سعيد حليم وبينما كان خارجا من الباب العالى عقب زيارته للصدر الأعظم أطلق عليه شاب مصرى — يدعى محمد مظهر ويعمل طالبا بالمدرسة البحرية العثمانية — الرصاص من مسدسه فأصابه أربع رصاصات ثلاثا منها جرحت ذراعه وساعده الأيسر والرابعة اخترقت الخد الأيسر وكسرت بعض أضراسه وجرحت لسانه فكانت اصابته بليغة وما ان لمح البوليس التركى الجانى يرتكب جريمته حتى عاجله بالرصاص فأرداه قتيلا(٦٠) وبذلك أخفى عملية تدبير الاغتيال والمشتركين فيها •

ويعتقد البعض أن حادث الاعتداء على الخديو كان دسيسة مدبرة من رجال الصدر الأعظم سعيد حليم لأنه كان يطمع فى عرش مصر(٦١) وبذلك اغتال البوليس التركى الجانى حتى يدفن السر معه كما أن الخديو لم يستبعد أن تكون هذه المؤامرة قد دبرت من قبل الأتراك(٦٢) ولكن رواية محمد فريد للحادث توضح أن الذى أطلق النار على الجانى هو ياور الخديو وليس البوليس التركى اذ يقول فى « ٢٥ يوليه أول رمضان ١٣٣٢ أطلق محمود أفندى مظهر مسدسه على الخديو فأصابه فى وجهه وذراعه •• فأطلق ياور الخديو الرصاص على الشاب فقتله(٦٣) » مما يجعلنا نتحفظ فى القول بأن حادث الاعتداء مدبرا من قبل الصدر الاعظم ويؤكد ذلك ما ذكره محمد فريد أيضا من أن الشاب الجانى كان مصابا بلوثة فى عقله اذ يقول « قبض على شاب فى الشارع هو ابن أحمد بك

---

(٦٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٣٤٣ .

(٦١) المصور فى ٢٦ اكتوبر ١٩٤٥ مقال بقلم الدكتور حسن همت طبيب الخديو الخاص تحت عنوان « صفحات لم تنشر من تاريخ مولاى الخديو السابق » ص ١٤، وايضا الرافعى : المرجع السابق ص ٣٤٣ .

(٦٢) مذكرات الملك عبد الله . عمان . مجلة الرائد ص ١٢٨ — ١٢٩

(٦٣) مذكرات محمد فريد ملف ٣ ص ٨١ .

مظهر المرحوم رئيس محكمة بنى سويف ، كان قد هجر نوض طلب للعلم ويظهر أنه مصاب بعض الشىء فى عقله لأنه شرع من نحو سنة ونصف فى قتل نفسه(٦٤) » ٠

وعلى كل حال فقد نقل الخديو الى المستشفى وذهبت وفود من أعيان البلاد وكبرائها الى الآستانة للاطمئنان عليه وتهنئته بنجاته كما زاره الأمير عبد الله ، ونصحه بالسفر الى مصر قبل اندلاع الحرب ؛ ولكن الخديو أوضح أن صحته لم تساعده على ذلك(٦٦) فظل بالمستشفى طريح الفراش فى بلد لم يكن يطمئن فيه على حياته حتى قيام الحرب العالمية الأولى(٦٧) ؛ وكان اندلاع الحرب وتولية كتشنر وزارة الحربية البريطانية(٦٨) فرصة لخلع عباس الثانى كما كان لانضمام تركيا الى صف ألمانيا ضد الانجليز فرصة لبسط حماية الانجليز على مصر ٠

ولما قارب الخديو عباس من الشفاء حاول أن يخرج من الآستانة ليعود الى مصر حيث كان يشعر أن الموقف من الناحية الشعبية فى جانبه وأنه بمجرد ظهوره سيضع الانجليز أمام الأمر الواقع ولكن الانجليز منعوه من العودة وطلبوا منه أن يلجأ الى ايطاليا فقط ، وذلك لخشيتهم من قيامه بحركة ضدهم فى مصر(٦٩) وقد أوضح الخديو ذلك بقوله « لما رأيت الحوادث تتوالى بسرعة قررت العودة الى مصر فى الحال؛ وعلى الرغم من حالتى الصحية كنت أقوم بواجباتى نحو بلادى ؛ فأصدرت الأوامر لرجال اليخت بالاستعداد للسفر فأخبرنى مستشار السفارة البريطانية بأنه مكلف أن يحيطنى علما بأن البلاد ليست فى

---

(٦٤) مذكرات محمد فريد ٠ ملف ٣ ص ٨١ ٠
(٦٥) الرافعى : المرجع السابق ص ٣٤٣ ٠
(٦٦) مذكرات الملك عبد الله ص ١٢٩ ٠
(٦٧) المصور : المقال السابق ٠
(68) Llyod : Egypt Since Cromer .V.I p. 174
(٦٩) مذكرات محمد فريد ملف رقم ٣ ص ٨٦ ٠

حالة هدوء تام[٧٠] » ثم أشار عليه بالسفر الى روما وعدم الذهاب الى مصر[٧١]، والواضح أن بريطانيا قررت استغلال الأوضاع الدولية لتشديد قبضتها على مصر فعقب اعلان الحرب العالمية الأولى ، عقد مجلس النظار برئاسة حسين رشدى وأصدر فى ٥ أغسطس قرارا جاء فى المادة الأولى منه : « مادامت الحرب قائمة بين (الحلفاء وألمانيا) فلا يجوز لأى انسان مقيم أو مار بالديار المصرية أن يعقد مشارطه أو اتفاقا أو أى نوع كان بالذات أو بالوساطة مع الحكومة المحاربة لصاحب الجلالة البريطانية .. الخ » .

كما نصت المادة ١٣ منه على :

« ان القوات البحرية والحربية التابعة لصاحب الجلالة البريطانية يجوز لها أن تباشر جميع حقوق الحرب فى الموانى المصرية وفى أرض القطر المصرى من سفن حربية أو مراكب تجارية أو بضائع يجوز احالة النظر فيه الى احدى محاكم الغنائم البريطانية وقد بنى هذا القرار على أن وجود الجيش البريطانى فى مصر يجعل القطر عرضة لهجوم أعداء انجلترا على البلاد الأمر الذى يقضى باتخاذ جميع الوسائل اللازمة لدفع مثل هذا الهجوم على البلاد .

وبذلك حدت حكومة رشدى باشا موقفها على أساس ان الاحتلال أمر واقع وقواته موجودة فى مصر مما سوف يعرضها لما قد تتخذه ألمانيا ضد أعدائها أينما كانوا[٧٢] . ورغم أن رئيس الوزراء المصرى كان قد حذر بريطانيا من أن اعلان الحماية على مصر قد يؤدى الى قيام

---

(٧٠) مجلة الاثنين فى ١٩٤٥/١٠/٢٢ .

(٧١) مذكرات الملك عبد الله ص ١٣١ .

(٧٢) الأهرام فى ١٩٦٩/٣/٧ . دراسة قام بهـا مركز الدراسات التاريخية لمصر المعاصرة بالأهرام تحت عنوان ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ .

ثورة فان الحكومة البريطانية بدأت تفكر فعلا فى اعلان سيادتها على مصر بل وصل بها الأمر أن تجاوزت مستوى اعلان الحماية الى اعلان ضم مصر الى ممتلكات التاج البريطانى •

وأخذت الحكومة البريطانية تمهد للموقف فأعدت وزارة خارجيتها نص القرار تمهيدا لاذاعته كما طلبت من المعتمد البريطانى فى القاهرة (ملن شيتهام) اتخاذ اجراءات الأمن اللازمة والاتصال سرا بالأمير حسين كامل ليعرض عليه أن يكون خديويا لمصر واستطلاع رأى حسين رشدى رئيس الوزراء ، ولكن المعتمد البريطانى طلب من حكومته بناء على اتفاق تم بينه وبين قائد الجيوش البريطانية فى مصر الاحجام عن اعلان الحماية نظرا للأحوال غير المستقرة فى البلاد ومع ذلك فقد نشأت فكرة بين أعضاء مجلس الوزراء الانجليزى تنطلق من أن اكتفاء باعلان الحماية على مصر لم يعد مقبولا بل المطلوب هو ضم مصر الى ممتلكات بريطانيا يحكمها مباشرة حاكم عام بريطانى ولا تحكمها المواجهة الشكلية السابقة القصر الخديو أو الحكومة المصرية[٧٣] •

وبلغت مرحلة الاقتناع بالفكرة أنها أعدت للتنفيذ . فقد فاتح سير ادوارد جراى وزير الخارجية البريطانية لورد كتشنر لما له من خبرة فى مصر أن يتعاون معهم فى ترشيح الحاكم الجديد لمصر من كبار الانجليز » •

وقد دخل هذا الوضع موضع التنفيذ حيث أصدر مجلس الوزراء البريطانى قرارا بضم مصر الى الممتلكات البريطانية وان هذا القرار قد أبلغ فعلا الى القاهرة بعد أسبوعين من بداية مناقشة هذه الفكرة. ويلاحظ فى هذا البلاغ التاريخى أن بريطانيا قررت الغاء الجنسية

---

(٧٣) الأهرام فى ٨ مارس ١٩٦٩ ص ٧ . وثائق وزارة الخارجية البريطانية المنشورة .

المصرية ومنح جميع المصريين وكانوا حوالى ١٢ مليونا الرعوية البريطانية[٧٤] .

وفيما يلى نعرض نص البرقية التى توضح ذلك نظرا لأهميتها « ترى حكومة صاحبة الجلالة أن أشد الخطوات فعالية هى اعلان ضم مصر ، وبذلك يمكن التخلص من الصعوبات الخاصة بمسألة تولى الخديو منصبه ، ويمنح المصريون على الفور الرعوية البريطانية[٧٩] » .

ونظرا لخطورة هذا القرار طلبت الحكومة البريطانية معرفة وجهة كل من المعتمد البريطانى فى مصر والقائد العام للقوات البريطانية بالنسبة لتأثير ذلك على الموقف الداخلى قبل أن تصل الى قرار نهائى بشأن اعلان الضم وقد بعث جراى الى حكومتى فرنسا والروسيا بمذكرة تفصيلية عن الأسباب التى حدت بالحكومة البريطانية لاتخاذ قرار الضم واختتم جراى المذكرة الموجهة الى فرنسا بقوله «ان انجلترا مستعدة للتنازل عما لها من حقوق وامتيازات فى مراكش فى مقابل أن تتنازل فرنسا عما لها فى مصر » .

وقد أجابت الروسيا القيصرية على هذا الاقتراح باعلان موافقتها على قرار الضم .

كما بدأت الخارجية البريطانية اتصالاتها الدولية لضمان عدم حدوث أى رد فعل دولى معاكس وفيما يلى نص الأمر الملكى بضم مصر الى انجلترا ..

---

(٧٤) الاهرام : ١٩٦٩/٢/٨ .

قرار ضم مصر فى مجلس بلاط الملك ــ قصر بكنجهام
يوم ... نوفمبر ١٩١٤
بحضور حضرة صاحب الجلالة المعظم

حيث أن بريطانيا العظمى ظلت طوال سنوات عديدة مضت تحتل مصر عسكريا ضمانا لسلامة الحدود المصرية ولحسن أداء واستقرار الحكومة المصرية .

وحيث أنه أصبح من الضرورى لحكومة صاحب الجلالة نتيجة لنشوب الحرب بين جلالته وصاحب الجلالة الامبراطورية سلطان تركيا أن تعتبر نفسها مسئولة بصفة دائمة عن سلامة مصر وحكومتها لما فيه صالح المصريين .

وحيث أن تحقيق هذا الهدف يتطلب ضرورة الغاء سيادة صاحب الجلالة الامبراطورية سلطان تركيا على مصر وانهاء اعتبار مصر جزءا من الممتلكات العثمانية لذلك . فانه يسر جلالته الآن بناء على نصيحة مجلس البلاط أن يأمر ــ وقد أمر بما يلى :

١ ــ ابتداء من هذا التاريخ وبعده تضم مصر وتشكل جزءا من ممتلكات جلالته .

٢ ــ هذا الأمر يمكن أن يعتبر قرار « ضم » مصر فى المجلس بتاريخ ١٩١٤ وعلى صاحب الفخامة سير ادوارد جراى أحد وزراء الدولة الرئيسيين لجلالته أن يصدر التوجيهات اللازمة بهذا الصدد .

وفجأة وبعد أن اتخذت الاجراءات اللازمة لضم مصر وصلت برقية من فرنسا قلبت الموقف رأسا على عقب ، وقد بعث هذه البرقية السفير البريطانى لدى حكومة فرنسا الى السير ادوارد جراى وزير خارجية بريطانيا . وكان هذا بعد ثلاثة أيام فقط من ابلاغ فرنسا رسميا بعزم بريطانيا ضم مصر الى ممتلكاتها وفى هذه البرقية يوضح السفير البريطانى فى باريس أن ضم مصر الى الممتلكات البريطانية بعد أن قامت من قبل بضم قبرص سيسبب صدمة للرأى العام واقترح السفير على

ضوء مقابلته لوزير الخارجية الفرنسى الاكتفاء بوضع بديل للخديو عباس واعلان مصر محمية بريطانية بدلا من ضمها •

وقال ان سفير روسيا فى باريس شديد التفاؤل لأن عملية ضم مصر لبريطانيا سيتيح الفرصة لتسوية مسألة البحر الأسود التى كانت روسيا تطالب بها كما أشارت البرقية الى ضرورة استشارة فرنسا رسميا وتبادل المذكرات معها اذا كان أمر ضم مصر لبريطانيا لا مفر منه حتى يتسنى للشعب الفرنسى أن يدرك أنه كان هناك اتفاق بين الحكومتين قبل اعلان هذه المسألة الدقيقة •

وهكذا رأت انجلترا أن فرنسا تعارض الضم وروسيا تنتهز الفرصة لتطالب بشىء من التوسع الاقليمى وانتهى الأمر بأن أبلغت انجلترا سفيرها فى فرنسا يوم ١٩ نوفمبر أى بعد ٥ أيام فقط من الابلاغ الأول الخاص بقرار ضم مصر الى الممتلكات البريطانية بأن سلامة الموقف الداخلى فى مصر هو أهم هدف لها فى الوقت الحاضر •

وقالت فى برقية أرسلتها الى روسيا أنها لا ترغب فى احداث تغيير كبير فى النظام القائم فى مصر تفاديا لحدوث اضطرابات داخلية وانه من الخير تأجيل البحث فى جميع التعديلات الاقليمية حتى يتم الاتفاق عليها بين الحلفاء حين تضع الحرب أوزارها •

كما أن الأمر الذى رجح الحماية على الضم أن جيش الاحتلال كان فى ذلك الوقت قليل العدد وكان معظمه من القوات الهندية ، وأن انجلترا لكى تواجه تغييرا جذريا فى مصر ، كان لابد لها من أن تمد جيشها بقوات اضافية وكان ذلك يتطلب جهدا ووقتا طويلين •

وظلت بريطانيا مترددة أكثر من شهر كامل قبل أن تعلن الحماية على مصر ، وفى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ أذاعت على العالم بلاغا أعلنت فيه حمايتها على مصر واستندت فى ذلك على دخول تركيا الحرب الى جانب ألمانيا ضد بريطانيا[٧٥] وفى اليوم التالى أعلنت الحكومة البريطانية خلع الخديو عباس الثانى وتولية السلطان حسين كامل[٧٦] •

---

(٧٥) الوقائع المصرية فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ .
(٧٦) الوقائع المصرية فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ .

الفصل الحادى عشر

عباس الثانى خديو مصر الأخير فى المنفى

١٩١٤- ١٩٤٤

نتيجة لاصطدام الخديوى عباس الثانى بالانجليز خلال فترة حكمه وعدم وقوفه بجانب سياستهم فى الكثير من الحالات فكر الانجليز أكثر من مرة فى التخلص منــه، وقــد واتــتهم الفرصــة أثناء تواجده بالآستانة واطلاق النار عليه هناك، ثم قيام الحرب العالمية الأولى فحالوا بين وبين العودة إلى مصر، وقاموا بعزله[1]، وفرض الحراسة على أملاكه باعتباره من إعداء بريطانيا وأعلان الحماية على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ونقل السلطة إلى السلطان حسين كامل فى ١٩ ديسمبر من نفس العام ثم إلى الأمير احمد فؤاد فى ١٧ اكتوبر ١٩١٧ والــذى أصبح ملكا بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢.

وقد نظر معظم المصريين إلى الخديو المخلوع على أنه صاحب الشرعية الحقيقيــة، وأنه كان ضحية لتعسف الانجليز وغضبهم عليه مما وفر له قدرا من الشعبية، وجعل البعض يعتقد أن عباس الثانى سيعود إلى حكم البلاد ان عاجلا أو آجلا، وهذا مــا ردده النــاس فــى هتافاتهم فى القاهرة والأقاليم وفى أمثالهم وأهازيجهم الشعبية "الله حى عباس جــى يــضرب البمبه فى رأس العمدة وهو جاى" والمقصود بالعمدة هنا المعتمد البريطانى اللورد كتشنر الذى كان يحكم مصر.

ولما تزايدت مطالب المصريين بعودة عباس الثانى إلى الحكم واستمرت المظــاهرات فى أوائل الحرب تأييدا له ، وسرت بين الشعب موجة من الحنق والحقد على السلطان "حسين كامل" الذى قبل العرش منحة من الانجليز، واعتبرته الأمة خائنا لبلاده، وخارجا على الاجماع الوطنى لاستسلامه للمحتلين استسلاما معيبا، كما ظل المصريون يعاملون الخديوى المخلــوع على أنه صاحب الشرعية مما جعل سلطات الاحتلال تسارع بتحريم ذكر اسمه.

ومع ذلك لم يهدأ المصريون الذين أحبوا هذا الخديو واتجهوا إلى ذكر اســم "عبــاس" دون الوقوع تحت طائلة القانون فقام الموسيقار "سيد درويش" بتأليف وتلحين أغنية تبدأ أبياتها من حروف تكوّن اسم عباس حلمى إذ يقول فيها:

عواطفك دى أشهر من نار

بس اشمعنى جافيتنى يا قلبك

انت اللطف وليه احتــــــار

---

(١)تردد فى تلك الأونة ان الانجليز عرضوا على عباس ان يتنازل عن العرش لولى عهده الأمير محمد عبد المنعم ولكنه رفض.

سيد الكل أنا طوع أمـــــرك

حالى صبح لم يرض حبيـــب

لوم الناس زودنى لهيـــــب

ما قلت أن الوصول قريـــب

يا مليكى والأمـــر لربـــــك

كما ردد الأهالى الأغانى للمطالبة بعودة عباس إلى حكم مصر ولم يـأبهوا بعقـاب السلطة الانجليزية ومنها :

يا أمة الاسلام ليش حزينة

إن كان على عباس بكره يجينا

ويدق طبل الفرح فى أراضينا

وإلى جانب ذلك فقد عبر الأديب العالمى "نجيب محفوظ" فى روايته "بين القـصرين" عن رغبة المصريين فى عودة عباس عندما قالت أمينة لزوجها "ربنا يعيد لنا أفندينا عبـاس" وفى قول الشيخ "متولى عبد الصمد" أسال الله المنان ان يعيد إلينا أفندينا عباس مؤيدا بجـيش من جيوش الخليفة لا يعرف له أول من آخر بقيادة محمد فريد.

وكانت الأبناء قد ترددت وقتها حول اقتراب الجيش العثمانى بقيادة محمد فريد لاخراج الانجليز وطردهم من مصر بواسطة عساكر السلطان وعودة الخديوى المخلوع إلى عرشه كما تكونت لجنة سرية خاصة برئاسة "عبد اللطيف الصوفانى" أحد أعضاء الحزب الوطنى لرفـع نداء "الله حى عباس جى" الذى يردده الصغار والكبار معا. وتمنى المصريون انتصار تركيـا على الانجليز، وتمسك معظمهم بالولاء للخلافة.

ومنذ ذلك الوقت أخذ عباس الثانى يخطط للعودة إلى العرش استنادا إلى الشعبية التى كان يتمتع بها داخل البلاد، وإلى علاقاته الطيبة مع بعض رجالات الحزب الوطنى وبعـض الجهات والأفراد الذى كان يمدهم بالمال لإحداث هزات فى مصر تجبر بريطانيا على إعادته إلى الحكم وإلى جانب ذلك فقد اعتمد على بعض رجالات الحكم فى تركيا والمانيا فى عودته إلى عرشه كل ذلك جعل كل من جلس على عرش مصر بعده يرتاب فـى الأمـر، وجعـل الصراعات الخفية بين أنصار الخديو المعزول وبينه تبرز إلى الوجود، فبذل الملك فؤاد كافـة الجهود لتثبيت أركان حكمه وحكم أسرته وإقامة ملكية مطلقة وكان ساعده الأيمن فـى ذلـك "حسن نشأت" رجل القصر الأول ، أما عباس فقد تمنى نجاح الحملة التركية الألمانية فى طرد الانجليز من مصر وإعادته إلى عرشه ، لذلك بدأ حملة سياسية واسعة النطـاق فـى أوربـا

خاصة المانيا ضد فؤاد ومدى أحقية ذلك الفرع من أبناء إسماعيل فى الحكم[١] وإلى جانب ذلك فقد عمل على استقصاء لأخبار مصر وما يجرى فيها، كما كان حريصا على مقابلة كبار المصريين الذين يزورون أوربا لكى يعرف منهم حقيقة الحال وكان يدفع لبعضهم مرتبات شخصية لكى يوافوه بالأخبار.[٢]

وظل عباس يسعى للعودة إلى العرش بأى ثمن مما أفزع الملك فؤاد خاصة بعد أن عرف أن حجم اتصالات الخديو السابق تدل على خطورته التى يجب أن يحسب لها كل حساب وإن عباس لم يجد طريقا يقربه من العودة إلى عرشه إلا وسلكه واستمرت الأمور على ذلك حتى تم عقد معاهدة لوزان التى تنازلت تركيا بمقتضاها عن حقوقها التاريخية فى مصر مم ل دعاوى عباس من شرعية العودة إليها خاصة وأن تركيا لم تعد السند الذى يكفل له العودة إلى عرشه.

ولمساندة السلطان فؤاد فى موقفه ضد الخديو المخلوع انتحلت الحكومة البريطانية لنفسها حق التدخل فى نظام وراثة العرش لتثبيت سلطته فأبلغته قرارها بالاعتراف بالأمير فاروق ونسله من الذكور كأولياء عهد للسلطة المصرية[٣]، وإلى جانب ذلك فقد صدر فى ١٧ يوليو ١٩٢٢ القانون رقم ٢٨ الخاص بإقرار تصفية أملاك الخديو عباس الثانى وتضييق ماله من حقوق محافظة على النظام الموضوع لتوارث العرش وحرمانه من دخول الأراضى المصرية أو أن يباشر فيها بنفسه أو بواسطة غيره أى حق من الحقوق السياسية وان تصادر أمواله وتؤول إلى خزانة الحكومة.[٤] وأن يمنع من السكن أو الاقامة فى الأراضى المصرية.[٥]

ونتيجة لذلك انتهز الملك فؤاد فرصة وجود قضايا مرفوعة من الأميرة "اقبال هانم" ضد الخديو عباس الثانى والحكم لها ومعارضة الخديو للحكم وقبول محكمة الاستئناف لهذه المعارضة فاصدر مرسوما بانه لا يجوز للخديو السابق ان يتقاضى باسمه امام المحاكم بأى صورة من الصور .[٦]

ونظرا لتضييق الأمور على الخديو المخلوع فقد سعى لاسترضاء الانجليز لمساعدته فى العودة إلى عرشه فى نظير ان يقوم بتنفيذ كل ما يريده الانجليز، ويعمل فى السير على سياستهم ولما لم تستجب حكومة لندن لمحاولاته ونتيجة لاصدار "اللورد اللنبى" المندوب السامى البريطانى فى القاهرة بلاغا أعلن فيه أن عباس الثانى مبعد عن القطر المصرى، وانه

---

(١)للتفاصيل انظر محمد انيس صفحات مجهولة من التاريخ المصرى والجدير بالذكر أن المصريين انزعجوا أشد الانزعاج من وجود حاكم على عرش مصر تعينه سلطات الحماية البريطانية نظرا لأن شرعية حكم البلاد كانت تستمد من الفرمانات السلطانية.

(٢)آخر ساعة المصورة فى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٥.

(٣)الرافعى : فى اعقاب الثورة ، جـ١، ص ٦٢.

(٤)المجموعة الدائمة للقوانين والقرارات المصرية، قانون رقم ٢٨ بتاريخ ١٧ يوليو ١٩٢٢ بإقرار تصفية أملاك الخديو السابق عباس حلمى ، وتضيق ما له من الـ

(٥)مذكرة تفسيرية عن القانون رقم ٢٨ الخاص بإقرار تصفية أملاك الخديو السابق عباس حلمى باشا وتضييق ما له من الحقوق

(٦)مضابط مجلس النواب . مضبطة الجلسة التاسعة والعشرين فى ١٤ فبراير ١٩٢٧.

وذريته قد حرموا نهائيا من كل حقوق الوراثة ولن أملاكه تم التحفظ عليها باعتبارها من أملاك الأعداء انقلب عباس على الانجليز وشرع مع حاشيته فى تكوين جمعية للتحريض على الثورة ضدهم مما على السلطات البريطانية تضعه تحت الرقابة المستمرة فى قصره باستنبول وتضييق الخناق عليه وهذا ما جعله يترك قصره ويخرج إلى أوربا بجواز سفر الباني ومع ذلك ظلت المخابرات البريطانية تراقبه وتتبعه وقد استقر الأمر بعباس الثانى فى ايطاليا وأخذ فى الاتصال برجالات الحرب الوطنى من هناك مما جعل السلطات البريطانية توجه إليه ضربة قاصمة حيث أصدرت الحكومة المصرية فى ١٩ يوليو ١٩٢٢ قانونا يقضى بإقرار ما قامت به السلطة العسكرية البريطانية أثناء الحرب من تصفية أملاك عباس الثانى الخديو المخلوع والذى جاء فى مادته الأولى بأنه "لا تقبل ولن تقبل أمام أية هيئة قضائية فى الديار المصرية أى دعوى رفعت ولم يحكم فيها أو ترفع فيما بعد من عباس حلمى باشا أو أى شخص آخر ويكون الغرض منها بالذات أو بالواسطة إبطال اى تصرف من التصرفات المذكورة أو الرجوع فيه او تعديله ، ويجب على المحكمة حتما وبحكم القانون رفض مثل هذه الدعوى أيا كانت الحالة التى هى عليها".

كما حظرت المادة الثانية ان يهبط الخديوى السابق بالاراضى المصرية، وإذا فعل ذلك تعيده السلطة التنفيذية إلى الحدود فورا ، ولا يجوز له أن يباشر فى مصر بنفسه أو بواسطة غيره أى حق من الحقوق السياسية أو أن تكون له يد على مال ثابت او منقول او ان يمتلك مثل ذلك المال بعقد من عقود المفاوضة أو التبرع كما لا يجوز ان يكون له استحقاق فى اى وقف

كل ذلك وضع حدا نهائيا لتطلعات عباس الثانى فى العودة إلى مصر، وجعله يستشيط غضبا من الانجليز فهاجم سياستهم وطالب المصريين بمقاطعة البضائع الانجليزية والاعتراف بحق المصريين فى العيش بحرية دون قيود، وطالب الأحزاب الوطنية ان تنسى خصوماتها وتتمسك بالكفاح وإلى جانب ذلك فقد فكر فى القيام بمغامرة جريئة وهى التنكر باسم شخص آخر والابحار باتجاه المياه المصرية، والوصول إلى الاسكندرية على احدى البواخر، ولكنه تراجع عن موقفه بعد ان كشفت احدى الصحف الأمر، ولما صعب على الخديو امر العودة إلى عرش مصر أخذ فى البحث عن عرش اخر خال ليعين فيه ، فحاول ان يعينه الفرنسيون ملكا على سوريا أو فلسطين وثابر على ذلك المجهود واستمر يسعى إلى دور سياسى يمكنه من الوصول للعرش حتى عام ١٩٤١ خاصة وأن هناك أشخاصا حصلوا منه على اموال عديدة مثل "شكيب ارسلان" لمساعدته فى هذا الغرض مستغلين فى ذلك حبه للسلطة فملأوا خياله بتقارير وهمية.[1]

([1])Thomas Mayer: Abbas Hilmi II As Reflected in some of his papers , P 280- 284.

ونتيجة لما سببه تواجد عباس الثانى فى ايطاليا من مشاكل مع الانجليز، فقد انتهـزت الحكومة الايطالية أول فرصة لاخراجه من البلاد، وأخذت تتلمس الذرائع لتنفيذ ذلـك، ولمـا شعر الخديو بالأمر انتقل إلى سويسرا وبدأ يزاول نشاطه من هناك حيـث اتـصل بأعـضاء الحزب الوطنى المشاركين فى مؤتمر الشرق الذى كان منعقدا بلوزان على أمل بحث شـئون الولايات العثمانية القديمة بما فيها مصر والشام ولكن قرارات هذا المؤتمر لم تكن فى صالحه حيث وقفت بجانب المطالب البريطانية مما خيب أماله .

ونتيجة لذلك توارت أخبار الخديو المعزول خاصة بعد أن تخلى رجـالات الحـزب الوطنى عن سياسة الموالاه لتركيا وعن اعتبار الخديو عباس الحاكم الشرعى للبلاد، واعلان معظم هؤلاء الولاء للملك فؤاد، كل ذلك جعل الخديو المعزول يرفع الراية البيضاء فسعى إلى وضع حد لاسترداد حقوقه التى كانت موضع نزاع بينه وبين الملك فؤاد فأوفد إلى مصر فـى يناير ١٩٣١ مندوبا عنه لمفاتحه "صدقى باشا" رئيس مجلس الوزراء وقتذاك معلنا رغبته فى التنازل ، والاعتراف بالملك فؤاد ملكا شرعيا فى سبيل استرداد أمواله ولما عرض صـدقى على الملك الفكرة ابتهج بها وأقرها ثم جرت المفاوضة على شروط التنازل[١]، وقـد وقعـت وثيقة التنازل فى ١٢ مايو ١٩٣١ وفيها تنازل الخديوى السابق عن كل دعوى على عـرش مصر وأعلن اتباعه لدستور المملكة المصرية واحترامه لنظام توارث عرش المملكة المصرية

ومراعاة لما أبداه الخديوى المخلوع صدر مرسوم بقانون رقم ٨١ بالترخيص للحكومة بمنح سموه مرتبا سنويا يتفق مع ماضيه ومع مكانته من الأسرة المالكة، لذلك تقرر منحه مدى حياته مرتبا سنويا قدره ثلاثون الف جنيه ابتداء من يناير ١٩٣١ ويكون هذا المرتب شخصيا لا يجرى فيه التوارث ولا يجوز التنازل عنه أو الحجز عليه.[٢]

وفيما يلى نص وثيقة التنازل التى وقعها الخديو: "أنى موقن بأنى خدمت بلادى بأمانة واخلاص وأنى كرست لها مدى ثلاث وعشرين سنة بالرغم من دقة الظروف، كل قواى وخير أيام حياتى وأنى اتمنى من صميم قلبى سعادة مصر ورخاءها وقد تتبعت عن كثب ما أحرزته البلاد وما تزال تحرزه من أسباب التقدم فى جميع النواحى، وأنى مغتبط بما اراه من خطاهـا الثانية فى توثيق سبيل استقلالها والتوفيق بين نظامها السياسى وبين حاجاتها وأمانيها ورغبة منى فى تحديد موقفى حيال نظام مصر السياسى وتأكيد إخلاصى نحو ذات ملكها المعظم فأنى أعلن اتباعى للدستور المقرر بالأمر الملكى رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٠، وأصرح بأنى سأتوخى فى جميع الظروف خطة مطابقة للنظام المقرر لقوانين البلاد، وعلى وجـه الخـصوص أعلـن احترامى للأمر الملكى الصادر فى ١٣ ابريل ١٩٢٢ بوضع نظام لتوارث عـرش المملكـة

---

(١) الرافعى : فى أعقاب الثورة ، جـ٢، ص ١٧٤.
(٢) المجموعة الدائمة للقوانين والقرارات المصرية مرسوم بقانون رقم ٨١ فى ٢١ مايو ١٩٣١ بالترخيص للحكومة المصرية بمنح سمو الخديو السابق مرتبا سنويا.

المصرية، والقانون نمرة ٢٨ سنة ١٩٢٢ الخاص بإقرار تصفية املاكى وهما جزءان لا يتجزءان من الدستور المصرى ولقانون التضمنيات نمره ٢٥ لسنة ١٩٢٣ وأعلن اتباعى لها جميعا.

ولما كنت أقر لحضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد ابن اسماعيل بأنه ملك مصر الشرعى، فأنى اعلن بهذا تنازلى عن كل دعوى على عرش مصر ، كما أعلن تنازلى عن كل مطالبة ناشئة عن أنى كنت خديويا لمصر أيا كان وجهها سواء عن الماضى أو المستقبل مع تأكيد ولائى المطلق الدائم لجلالة الملك فؤاد اعرب لجلالته والأمير فاروق ولى عهد المملكة بعين عنايته ، وليزيد فى اسعاد مصر فى حاضرها ومستقبلها.

ومع ذلك فعندما قامت الحرب العالمية الثانية نكث عباس عن اتفاقه وقام بأبراز تأييده للألمان بهدف اعادته إلى عرشه فالكتاب الانجليز يتحدثون عن الخديو عباس الثانى كمؤيد للألمان فيقول "كيرك" أنه كان على فاروق ان يدرك أن دعاوى عباس فى العرش المصرى ربما وجدت تأييدا فى حالة انتصار المحور " كما تحدثوا عن ورود رسالة من "أغا خان" كان قد طلب إرسالها للفوهرر عثر عليها بين وثائق الخارجية الالمانية وهى تظهر ولاءه وولاء الخديو عباس لألمانيا وعطفهما على المحور. [١]

وعلى أى حال فقد توفى عباس فى الحادية والسبعين من عمره، بعد أن مكث احدى وثلاثين سنة فى الخارج[٢] شهد فيها حربين عالميتين وقد كان قبل نشوب الحرب الأخيرة يقيم فى يخته " نعمة الله" تارة فى شواطئ فرنسا، وتارة فى شواطئ ايطاليا وأخرى فى أسبانيا أو تونس ومراكش حاملا معه كفنه ، وهذا الكفن عبارة عن "حرام من الكتان وكان يقول أننى انتقل مع الشمس لأنها حياة الوجود فحيثما كانت الشمس أذهب إليها. وقد قضى الخديو سنواته الأخيرة فى كتابة مذكراته عن حياته فى مصر والخارج وعن الحوادث التى شهدها والرجال الذين عرفهم وقد كتبت هذه المذكرات بالفرنسية، ونشرتها بالعربية جريدة المصرى فى عام ١٩٥١ ثم أصدرتها بعد ذلك دار الشروق.

(١) انظر جورج كيرك: موجز تاريخ الشرق الأوسط ص ٣٤.
(٢) خرج الخديو من مصر سنة ١٩١٤ وهو فى سن الأربعين .

خاتمة

وهكذا أثبت هذا البحث عدم صحة الرأى القائل بأن الخديو عباس الثانى كان وطنيا فى أثناء حكمه ، فقد اتضح أنه لم يكن وطنيا بل كانت له بعض المواقف الوطنية التى أراد بها الضغط على المعتمد البريطانى كرومر حتى يعيد له سلطاته المسلوبة .

اننا لم نحكم على الخديو عباس الثانى من خلال موقف معين أو بعض المواقف وانما الحكم كان نابعا من خلال تتبع دوره فى فترة الثلاثة وعشرين عاما التى حكم فيها مصر .

لقد اتضح أن معارضة الخديو للاحتلال لم يكن مبعثها وطنيا بل هو مبعث شخصى : وانه وان كان للخديو مواقف وطنية فان هذا لا يعنى أنه كان يبغى مصلحة مصر بل يرجع ذلك الى أنه بمجرد ارتقائه العرش وجد أن المعتمد البريطانى لم يترك له من مظاهر الحكم سوى الشكل الرسمى والعنوان الظاهر فحاول تصحيح وضعه ولم يجد من يشد أزره سوى الحركة الوطنية المصرية فالتجأ اليها وساعدها بغية تكوين جبهة ضد الاحتلال ، ولما أحس بخطورة ذلك على مركزه وعرشه سرعان ما انضوى تحت لواء الاحتلال وتحول الى حاكم مستبد متقلب يحرص على الاحتفاظ بعرشه ويسعى لتنمية ثروته ، وعندما لمح له الانجليز باعادة بعض سلطانه فى نظير ضرب الحركة الوطنية لم يتورع فى الوفاق مع جورست وضرب الحركة الوطنية ، ولما دخلت سياسة الوفاق فى دور الاحتضار وجاء كتشنر بشخصيته العسكرية

المتعالية وتجاهل الخديو وحد من سلطاته التجأ عباس الى الحركة الوطنية التى ناصبها العداء أيام جورست وسعى لعقد صلح مع محمد فريد مما يفسر لنا أن الخديو لم يكن يبحث سوى عن مصلحته .

أما عن الحزب الوطنى فقد رحب بمساندة الخديو له فى أول الأمر وتمسك مصطفى كامل بالحفاظ على العلاقات الودية معه حتى لا يمكن الانجليز من احداث شقاق بين الأمة ولكن عندما اتضح له توالى خضوع الخديو للاحتلال قطع صلته به ، مما يوضح طبيعة العلاقة المستقلة بينهما .

فالحزب الوطنى لم يكن تابعا للخديو أو متعلقا بأذياله بل اتخذه وسيلة من وسائل الكفاح لا غاية ، أما عن محمد فريد فعندما تولى زعامة الحزب الوطنى كان موقفه من الخديو متشددا فقد هاجمه وندد بتوثيقه للعلاقة مع المعتمد البريطانى جورست كما أن الخديو انتقد فريد ورماه بالتسرع وظل يتربص به لوضعه رهن السجون بواسطة سلسلة من المحاكمات .

اننا لا ننكر دور الخديو فى مساندة الحركة الوطنية ، ولا ننكر المساعدات التى قدمها الى مصطفى كامل ولكن هذا لا يعنى أن الحركة الوطنية كانت ربيبة القصر أو أن مصطفى كامل كان عميلا للخديو .

لقد دار نقاش حول تقييم الحزب الوطنى فهناك من يرى أنه ليس أكثر من مجرد صنيعة للخديو من ناحية وللسلطان العثمانى من ناحية أخرى ، وهناك من يرى أنه عميلا لفرنسا ورأى ثالث يقول أن الحزب الوطنى به لمسات اشتراكية ويستندون على ذلك باهتمامات فريد للعمال والفلاحين وطرحه لبرامج ذات صبغة اشتراكية ، ولكن بعد هذه الدراسة يتضح أن الحزب الوطنى لم يكن سوى حزبا وطنيا خالصا يسعى لخير

مصر ويتلمس كافة السبل فى سبيل اجلاء الاحتلال عن أرض الوطن فهو ان التجأ للخديو أو للسلطان أو لفرنسا فلم يكن ذلك الا لشد أزر الحركة الوطنية والمطالبة بالجلاء .

وعلى كل حال فقد أدى الحزب الوطنى دورا هاما فى تشكيل تاريخ مصر النضالى فى أحرج فتراته وبقيام الحرب العالمية الأولى ينتهى دور الحزب الوطنى فى حركة النضال بعد أن قام بتهيئة الطريق أمام ثورة عام ١٩١٩ .

ثبت المصـــادر

أولا : وثائق غير منشورة :

(أ) دار الوثائق القومية :

١ ــ محفظة تحت عنوان أوراق تتعلق بالسيد جمال الدين الأفغانى •

٢ ــ ديوان خديو • رقم ١٦ لعام ١٨٩٢ ورقم ١٨ لعام ١٨٩٣ ومحفظة رقم ١٢ التماسات جماعية •

٣ ــ ديوان معية سنية عربى صـــادر افادات وتحريرات عن الفتـــرة التاريخية من ١٨٩٢ الى ١٩١٤ وهى تحت أرقام ١٣٠٩ ــ ١٣١٠ ١٣٣٢ ــ ١٣٣٣

٤ ــ مجالس نيابية • مجلس شورى القوانين • محفظة ٣/٢/أ •

٥ ــ محافظ الثورة العرابية أرقام ٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٤١ •

٦ ــ محافظ مجلس الوزراء حربية أرقام ١ ، ٣ ، ١٠ ، ١٣ •

(ب) دار المحفوظات العمومية

ملف خدمة ومعاش السير الدون جورست • دولاب ٤١ عين (١) محفظة ٨٤١ دوسيه ٢٢١٨٥ •

(ج) متحف مصطفى كامل بميدان صلاح الدين بالقلعة

ويوجد به بعض المراسلات التى أرسلها مصطفى كامل وهو فى باريس الى أخيه على فهمى كامل والى أحمد حلمى المحرر باللواء والى محمد فريد •

(د) مجلدات وزارة الخارجية البريطانية Foreign Office

المصورة من دار الوثائق العامة بلندن ومودعة بكلية الآداب جامعة عين شمس وتحوى تقارير معتمدى انجلترا فى مصر المرسلة الى وزارة الخارجية البريطانية فى الفترة من ١٩٠٩ الى ١٩١٩ .

(ه) المذكرات

١ — مذكرات تاريخ ابراهيم الهلبادى بك (٣ أجزاء) .

٢ — مذكرات سعد زغلول كراسات رقم ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ .

٣ — مذكرات محمد على علوبه . ذكريات اجتماعية وسياسية .

٤ — مذكرات محمد فريد . القسم الأول تحت عنوان تاريخ مصر من ابتداء عام ١٨٩١ مسيحية .

(ب) أوراق محمد فريد . مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ — ١٩١٩ .

٥ — مذكرات مصطفى كامل . وهى عبارة عن رسائل متبادلة بين مصطفى كامل وعبد الرحيم أحمد وتلغرافات خاصة بحادث الحدود .

ثانيا : وثائق منشورة :

— تقارير المعتمدين البريطانيين كرومر وجورست وكتشنر . القاهرة مطبعة المقطم .

— تقرير الحزب الوطنى عن سنة ١٩٠٧ . القاهرة . مطبعة اللواء ١٩٠٨ .

— مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من مجلس النظار ومن النظارات عن عام ١٨٩٦ .

— محاضر جلسات مجلس شـــورى القوانين ديسمبر ١٨٩٣ ، ديسمبر ١٨٩٤ .

— الكتب الزرقاء الانجليزية Blue Books وقد تم الاستعانة بها كما يتضح من هوامش البحث .

— Parliamentary Debates

تم الاستعانة بها كما هو موضح بهوامش البحث مكان حفظها مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم 73454

ثالثا : المصادر والمراجع العربية

١ — ابراهيم عبده (الدكتور)

جريدة الأهرام — تاريخ مصر فى خمس وسبعين سنة القاهرة — دار المعارف ١٩٥١ .

٢ — أحمد أمين :

زعماء الاصلاح فى العصر الحديث . القاهرة — النهضة المصرية سنة ١٩٤٨ .

٣ — أحمد بهاء الدين :

أيام لهـــا تاريخ . القاهرة — روز اليوسف العدد الثالث ابريل سنة ١٩٥٤ .

٤ — أحمد تيمور :

تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائـــل الرابع عشر القاهـــرة سنة ١٩٤٠ .

٥ — أحمـــد رشـــاد :

مصطفى كامل حياته وكفاحه . القاهرة .

٦ ــ احمد شفيق :

(أ) مذكراتى فى نصف قرن • الجزء الأول والثانى ــ القاهــرة مطبعة مصر الطبعة الأولى ١٩٣٦ •

(ب) حوليات مصر السياسية جـ ١ القاهرة ــ مطبعة شفيق باشا الطبعة الأولى ١٩٢٦ •

(جـ) أعمالى بعد مذكراتى • القاهرة • مطبعة مصر ١٩٤١ •

٧ ــ أحمد عبد الرحيم مصطفى :

(أ) تاريخ مصر السياسى من الاحتلال الى المعاهدة • القاهرة ــ دار المعارف ١٩٦٧ •

(ب) علاقة مصر بتركيا فى عهد الخديو اسماعيل ١٨٦٣ ــ ١٨٧٩ القاهرة ــ دار المعارف ١٩٦٧ •

٨ ــ أحمد لطفى السيد :

قصة حياتى • القاهرة ــ كتاب الهلال ١٩٦٢ •

٩ ــ الياس الأيوبى :

تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا ١٨٦٣ ــ ١٨٧٩ المجلد الثانى • القاهرة ــ دار الكتب المصرية ١٩٢٣ •

١٠ ــ بشارة تقلا باشا :

مختارات من أقواله المنشورة بالأهرام القاهرة ــ مطبعة الأهرام سنة ١٩٠٢ •

١١ ــ تشارلز آدمز :

الاسلام والتجديد فى مصر ــ ترجمة عباس محمود ــ القاهرة سنة ١٩٣٥ •

١٢ ــ تيودور روزشتين :

تاريخ المسأله المصرية ١٨٧٥ ــ ١٩١٠ ــ ترجمة عبد الحميد العبادى ومحمد بدران . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة ١٩١٤ . القاهرة . مطبعة المحروسة ١٨٩٩ .

١٣ ــ جرجى زيدان :

(أ) تاريخ الماسونية العام .

(ب) تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر جـ ١ ــ القاهرة ــ مطبعة الهلال ١٩٠٢ .

١٤ ــ جمال المسدى :

دنشواى . القاهرة ــ الهيئة العامة للكتاب .

(ب) محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر . أملاها على طلبه ليسانس التاريخ بآداب القاهرة ١٩٦٧ .

١٥ ــ جوليت آدم :

انجلترا فى مصر ــ ترجمة على فهمى كامل ــ القاهرة . مطبعة شركة العلم والدفاع الوطنى .

١٦ ــ جويدان (الأميرة) :

مذكرات الأميرة جويدان زوجة الخديو عباس الثانى القاهرة ــ دار الهلال العدد ٣٥٦ فى أغسطس ١٩٨٠ .

١٧ ــ راشد البراوى :

مجموعة الوثائق السياسية جـ ١ المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس . القاهرة ــ النهضة المصرية الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ .

١٨ ــ رفعت السعيد :

تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر •

١٩ ــ رئاسة مجلس الوزراء :

السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الى ١٢ فبراير ١٩٥٣ •

٢٠ ــ روجه لامبلان :

مصر وانجلترا من عهد محمد على الى عهد الملك فؤاد ــ ترجمة ميخائيل بشاره • القاهرة ــ مطبعة رعمسيس ١٩٢٣ •

٢١ ــ شهدى عطية الشافعى :

تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ ــ ١٩٥٦ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٩٥٧ •

٢٢ ــ طاهر الطناحى :

الساعات الأخيرة • القاهرة ــ دار الهلال •

٢٣ ــ عاطف فؤاد (الدكتور) :

الزعامة السياسية فى مصر • عرض تاريخى وتحليل سيسيولوجى، القاهرة ــ دار المعارف الطبعة الأولى ١٩٨٠ •

٢٤ ــ عباس محمود العقاد :

١ ــ سعد زغلول سيرة وتحية ، القاهرة ــ مطبعة حجازى سنة ١٩٣٦ •

٢ ــ محمد عبده • القاهرة ــ وزارة التربية والتعليم ١٩٦٣ •

٢٥ ــ عبد الرحمن الرافعى :

(أ) الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى • القاهرة النهضة المصرية • الطبعة الثانية ١٩٤٩ •

(ب) مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال • القاهرة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٤٨ •

(جـ) مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية • القاهرة ــ النهضة المصرية الطبعة الرابعة ١٩٦٢ •

(د) محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية • تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٩ • القاهرة • النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٤٨ •

٢٦ ــ عبد العزيز حافظ دنيا :

رسائل تاريخية من مصطفى كامل الى فؤاد سليم الحجازى • القاهرة • النهضة المصرية ١٩٦٩ •

٢٧ ــ عبد اللطيف حمزه (الدكتور) :

(أ) أدب المقالة الصحفية فى مصر جـ ٥ مصطفى كامل صاحب اللواء • القاهرة • دار الفكر العربى الطبعة الأولى •

(ب) أدب المقالة الصحفية فى مصر جـ ٦ ــ أحمد لطفى السيد فى الجريدة • القاهرة ــ دار الفكر العربى ــ الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٤ •

(جـ) مستقبل الصحافة فى مصر • القاهرة ــ دار الفكر العربى سنة ١٩٥٧ •

٢٨ ــ عبد المنعم الدسوقى الجميعى (الدكتور) :

(أ) الجامعة المصرية القديمة نشأتها ودورها فى المجتمع • القاهرة ــ دار الكتاب الجامعى ١٩٨٠ •

(ب) عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية القاهرة ــ دار الكتاب الجامعى ١٩٨٠ •

٢٩ ــ على ابراهيم عبده (الدكتور) :

المنافسة الدولية فى أعالى النيــل ١٨٨٠ ــ ١٩٠٦ القاهــرة ــ الانجلو المصرية ١٩٥٨ ٠

٣٠ ــ على الفاياتى :

وطنيتى ٠ القاهرة ٠ منبر الشرق ــ الطبعة الثالثة ١٩٤٧ ٠

٣١ ــ على فهمى كامل :

(أ) رسائل مصرية فرنسية ٠ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٩٠٩ ٠

(ب) مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا ــ سيرته وأعماله من خطب وأحاديث ورسائل سياسية وعمرانية (٦ أجزاء) القاهرة ــ مطبعة اللواء ١٩٠٨ ٠

٣٢ ــ فتحى رضوان :

كفاحنا فى نصف قرن

مصطفى كامل : القاهرة ــ دار المعارف ١٩٧٤ ٠

٣٣ ــ قلينى فهمى :

مذكرات قلينى فهمى باشا جـ ١ ٠ القاهرة ٠

٣٤ ــ لويس مليكه (الدكتور)

سيكلوجية الجماعات والقيادة ــ ديناميات الجماعة جـ ١ ٠ القاهرة النهضة المصرية ١٩٦٣ ٠

٣٥ ــ محمد أحمد أنيس (الدكتور) :

(أ) ثورة ٢٣ يوليه وأصولها التاريخية ــ بالاشتراك مع الدكتور حراز ٠ القاهرة ٠

(ب) صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل • القاهرة
الانجلو المصرية ١٩٦٢ •

(جـ) محـــاضرات فى تاريخ مصر المعاصر • ألقيت على طلبـــة
ليسانس الآداب بقسم التاريخ عام ١٩٧٤ •

٣٦ ــ محمد أحمد خلف الله (الدكتور) :

عبد الله النديم ومذكراته السياسية • القاهرة الانجلو المصرية
سنة ١٩٥٦ •

٣٧ ــ محمد توحيـــد :

كيف يبحث الوطن فى مسألة الأحزاب السياسية فى مصر القاهرة•

٣٨ ــ محمد حسين هيكل :

(أ) شخصيات مصرية وغربية • القاهرة ــ روز اليوسف •

(ب) مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ القاهرة النهضة المصرية
سنة ١٩٥١ •

٣٩ ــ محمد رشيد رضا :

تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده • الجزء الأول القاهرة
مطبعة المنار • الطبعـــة الأولى ١٣٥٠هـ •

٤٠ ــ محمد سعيد كيلانى :

السلطان حسين كامل • فترة مظلمة فى تاريخ مصر •

٤١ ــ محمد شفيق غربال :

تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ــ بحث فى العلاقات المصرية
البريطانية من الاحتلال الى عقد معاهدة التحالف ١٨٨٢ ــ ١٩٣٦
القاهرة ــ النهضة المصرية ١٩٥٢ •

٤٢ ــ **محمد صبيح :**

مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية ــ كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين . القاهرة ــ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦ .

٤٣ ــ **محمد عبد السلام الزيات :**

الاتجاهات المعاصرة فى التنظيم السياسى القاهــرة ــ الانجلو المصرية .

٤٤ ــ **محمد فؤاد شكرى (الدكتور) :**

مصر والسودان ــ تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر . القاهرة ــ دار المعارف .

٤٥ ــ **محمد مصطفى صفوت (الدكتور) :**

(أ) الاحتــلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه القاهرة ــ دار الفكر العربى ١٩٥٢ .

(ب) مصر المعاصرة وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة ــ النهضة المصرية ١٩٥٩ .

٤٦ ــ **محمود عاصم :**

المرافعات فى أشهر القضايا . المجموعة الجنائية الأولى القاهرة ــ لجنة نشر الثقافة القانونية ١٩٣٣ .

٤٧ ــ **محمود فهمى (المهندس) :**

البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر . الجزء الأول . القاهرة ــ المطبعة الأميرية ١٣١٢هـ .

٤٨ ــ **محمود كامل :**

أشهر القضايا المصرية . القاهرة .

٤٩ ـ محيى الدين رضا :

أبطال الوطنية . مصطفى كامل ـ محمد فريد القاهرة ـ مطبعة الصباح ١٩٢٣ .

٥٠ ـ مصطفى كامل :

« المسئلة الشرقية » القاهرة ـ مكتبة الآداب الطبعة الأولى سنة ١٨٩٨ .

٥١ ـ مكى شبيكة :

السودان فى قرن ١٨١٩ ـ ١٩١٩ القاهرة لجنة التأليف والترجمه سنة ١٩٤٧ .

٥٢ ـ الملك عبد الله :

مذكرات الملك عبد الله . عمان ـ مطبوعات مجلة الرائد .

٥٣ ـ نجيب مخلوف :

نوبار باشا وما تم على يده . القاهرة ـ المطبعة العمومية .

٥٤ ـ ولى الدين يكن :

المعلوم والمجهول . جزءان . القاهرة مطبعة الشعب ١٩٠٩ .

٥٥ ـ يونان لبيب (الدكتور) :

الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى . القاهرة ـ الانجلو المصرية ١٩٧٠ .

رابعا : المراجع الأفرنجية :

1. Alexander, J. :

The Truth about Egypt, Cassell 1911.

2. Blunt W.S. :

— Secret History of the English occupatinn of Egypt London.

— My Diaries. London.

3. Charles — Roux :

Histoire de La Nation Egyptienne. vols. II.

4. Cocheris, J. :

Situation internationale de l'Egypte et du Sudan, Paris 1903.

5. Colvin, A. :

The Making of Modern Egypt. London 1906.

6. Comanos Pasha.

Memoires.

7. Cromer : Earl of :

— Modern Egypt, 2 vols. London 1908.

— Abbas II. London 1915.

8. Crouchely, A.E. :

The Economic Development of Modern Egypt, London 1938.

9. Dicey, E. :

The Egypt of the Future. London 1907.

10. George, Arthur :

The life of Lord Kitchener, vol. 1.

11. Landau, Jacob :

Parliaments and Parties in Egypt, New York, 1954.

12. Langer, W.L. :

The Diplomacy of Imperialism 1890 — 1902, vol. 1, New York 1951.

13. Lioyd, Lord :

Egypt since cromer vol. 1, London 1933.

14. Little, Tome :

Egypt, London 1958.

15. Malet, Sir Edward :

Egypt 1879 — 1883 London, 1909.

16. Marlowe, John :

Anglo Egyptian Relations 1800 — 1953, London 1954.

17. Milner, A. :

England in Egypt. London 1899.

18. Ronald Storrs :

Orientations, 1943.

19. Ronald Wingate :

Wingate of the Sudan, 1955.

20. Safran, Nadav :

Egypt in search of Political community, 1961.

21. Tignor, Robert :

Modernization and British Colonial Rule in Egypt 1882 — 1914, U.S.A. 1966.

22. Traill, H.D. :

Lord Cromer. London 1897.

23. Zetland, M. :

The life of Lord Cromer.

خامسا : الدوريات

(أ) الدوريات العربية

١ ــ آخر ساعة نوفمبر ١٩٤٥ ، أغسطس ١٩٥٧

٢ ــ الاثنين أكتوبر ١٩٤٥

٣ ــ الأخبار ديسمبر ١٩٠٧

٤ ــ أخبار اليوم ديسمبر ١٩٤٥

٥ ــ الأستاذ ، نوفمبر ١٨٩٢ ، يناير ومارس ومايو ١٨٩٣

٦ ــ الأهرام يناير ــ مارس ١٨٩٥ ، يناير ١٩٠٦ ، يوليو ١٩١١ ، مارس ١٩٦٩ ، أغسطس ١٩٧٣ ، يوليو ١٩٧٩ .

٧ ــ الجمهورية أكتوبر ١٩٦٩

٨ ــ العلم فبراير وأغسطس ١٩١١ ، مايو ويوليو وأغسطس وسبتمبر سنة ١٩١٢ .

٩ ــ الكاتب : يونيه ١٩٧٤

١٠ــ اللواء : يناير وفبراير ويوليه ١٩٠٠ ، فبراير ويوليو وديسمبر ١٩٠٢ ، فبراير ١٩٠٣ ، ابريل وأكتوبر وديسمبر ١٩٠٤ ، وفبراير ومايو وأكتوبر ١٩٠٧ ، فبراير وابريل ومايو وأكتوبر ونوفمبر ١٩٠٨ ، فبراير وابريل وأكتوبر ١٩٠٩ .

١١ــ المجلة التاريخية المصرية : العدد الأول المجلد الثانى فى مايو ١٩٤٩ والمجلد الثانى والعشرون عام ١٩٧٥ .

١٢ ــ المصرى : ابريل ــ مايو ١٩٥١

١٣ ــ المصور : أكتوبر ١٩٤٥ ، نوفمبر ١٩٧٤

١٤ ــ المقتطف : ديسمبر ١٩٠٥

١٥ ــ المقطم : يناير ١٨٩٥ ، يونيه ١٩٠٦ ، يناير ١٩٠٨

١٦ ــ منبر الشرق : أغسطس ١٩٥٢

١٧ ــ المؤيد : ابريل ١٨٩٣ ، ديسمبر ١٨٩٤ ، مارس وأغسطس ١٨٩٦
أكتوبر ونوفمبر ١٨٩٧ ، أغسطس ١٩٠٢ ، يوليه ١٩٠٣ ، أكتوبر
سنة ١٩٠٨ .

١٨ ــ الهلال : يونيو ١٩٠٠ ، مارس ١٩٠٨

١٩ ــ الوطن مارس ١٩١٥

٢٠ ــ الوقائع المصرية : يناير ١٨٩٢ ــ ديسمبر ١٩١٤

(ب) الدوريات الأجنبية :

1. Le Bosphore Egyptien. Novemre 1892, Janvier 1893. Février 1895, August 1906.

2. Le Courrier d'Orient. Novembre 1898.

3. L'Echo d'Orient. Novembre 1895.

4. La Réforme. Janvier 1894, Septembre 1898.

فهـــرست